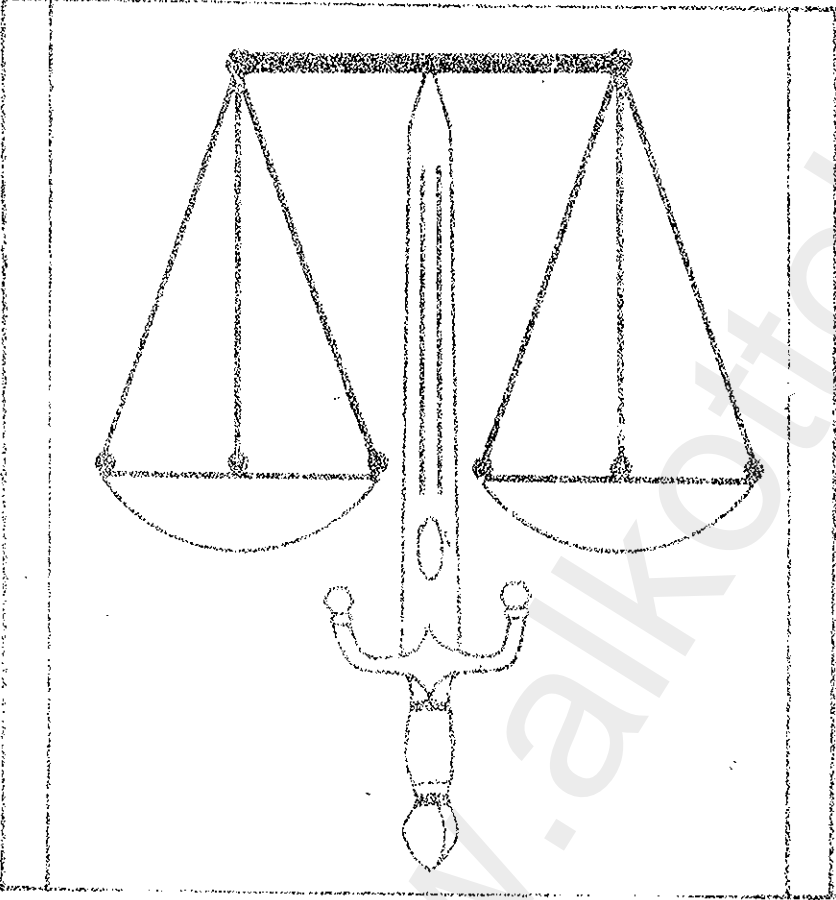


اصول

علم الاجرام



الكتاب في اصول علم الاجرام

ايتيانا القائل في الجاني المصنف

www.alkottob.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب
من دساها (١) .

تشير هذه الايات الكريمة بوضوح الى حقيقة النفس الانسانية بكل
تفاصيلها ودقائقها ، ومن يتدبر في هذه الايات الملحمة يبدو له جليسا
تأصيلها الحقيقية الصراع بين الخير والشر ، وازدواج طبيعة الانسان ، اذ
الانسان بأصل تكوينه مستعد فطرة لان ينهج نهج الخير او نهج الشر ،
وقد تجسدت هذه الحقيقة بالجريمة الاولى التي اقترفها الانسان ضد اخيه
الانسان ، وحين تفجر هذا الصراع في نفس قابيل فسولت له نفسه قتل
اخيه هابيل ، ومن هذا يتأكد لنا ان الجريمة حقيقة بشرية وظاهرة قديمة
لازمت الانسان منذ ان وطأت قدمه الارض ، فلم تفارقه وستظل كذلك قائمة
مستمرة الى حيث شاء الله ولكن ظروفها وعواملها ووسائل تنفيذها تتغير
بتغير الزمان والمكان ، ومواكبة الرقي الاجتماعي والحضارى للمجتمع ، وفي
هذا دحض لمن يقول بإمكانية استئصال الجريمة والقضاء عليها قضاء
ميرمسا .

وكذلك يتضح لنا ان الجريمة الاولى ان دابت على قسوة الانسان
فانها من جانب اخر تدل دلالة على نبل الانسان وسموه وترفعه عن اقتراف
الجريمة ، لان قابيل حين اصر على قتل هابيل لم يجابهه الاخير بمثل
اصرار اخيه ، بل اثر ان يضحى بنفسه ليكون بذلك مثلاً رائعا للتضحية
والايثار ، وهل دليل اوضح على ايثار هابيل وتضحيته من اجل الغير ،

١ - سورة ، الشمس الايات ٧ - ١٠ .

وهذا السمو الذي تجلى في سلوكه تبينها ان الخير في المال يكون هو المنتصر
للمسبيين الاتيين :

الاول : تضحية هابيل بنفسه واشاره أن يكون مظلوما لا ظلما مجنيا عليه
لا جانبا (والوجود بالنفس اقصى غاية الجود) .

الثاني : لم يتأصل عامل الفجور في نفس قابيل بل نازعه عامل التقوى حين
حضسه على التوبة فجعله من النادمين ، مصداقا لقوله : ((فآلهمها
فجورها وتقواها)) ، وقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة كاملة : قال
تمالي وهو اصدق القائلين : -

واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما
ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين ، لئن
بسطت الى يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتنك اني اخاف الله رب
العالمين ، اني اريد ان تبوأ بأثمي وأثمك فتكون من اصحاب النار . وذلك
جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين ،
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال يا ويلتي
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي فاصبح من النادمين (٢)

هذا وما دام الانسان يحمل عاملي الخير والشر ، وما دام الصراع
بينهما يبقى مستمرا فان من الضروري ان تأخذ هذه الحقيقة مكان الصداه
في كل دراسته وبحث يتصدى ان لتحليل السلوك الانساني وعلى هذا الاساس
توخي المؤلف العمق والاصالة ليحيط بعمق النفس الانسانية وليسيسر
اغوارها ، وما دامت الجريمة هي احدى النتائج الرئيسة لهذا الصراع فانها
تشغل بال العديد من الفقهاء والعلماء والفلاسفة والمصلحين وجميع الباحثين

في ميدان التفكير الانساني والحضارة الانسانية ، باستقصاء اسبابها وتحليل
العوامل الدافعة ايها ، تمهيدا للوصول الى افضل الوسائل الممكنة لمكافحتها
للقضاء عليها او الحد منها قدر الامكان . باستئصال كل ما يعكر صفو الحياة
الهادئة ، ومن اجل أن ينعم الانسان بالرخاء ويأمن الخوف ، ومتى اضحى
الخوف امنا والبغضاء مودة واخاء ، واطمأنت الجفون وشبعت البطون ، فلا
خوف من سارق ولا رهبة من جبار .

ثم ان الاية الخاصة بنفس الانسان تكشف عن حقيقة علمية اخرى
تتعلق بسلوك الانسان ، وهي ان الظاهرة الجرمية ليست امرا وراثيا ، لان
السلوك الانساني يدور بين الخير والشر ، لما يحمله الانسان من الاستعداد
نهما اضع الى ذلك ان اسلوك الاجرامي لو كان وراثيا لتساوى فيه قابيل
وهاييل لانهما من اصل واحد .

كما ان الانسان ليس مسيريا ولا مجبرا على اقرار الجريمة لا بالعامل
اوراثي ولا بأى عامل اخر داخليا كان ام خارجيا ، والا لاصبح من العبث
ارسال الرسلين واصلاح المصلحين وتوجيه الموجهين ، ولكان العقاب في هذه
الحالة ظلما لاعدا ، وترك العقاب يعني اطلاق العنان للمجرمين والمنحرفين
ليسعوا في الارض فسادا ، ويعني التجاوز عن اهم مبدأ تقوم عليه الحياة
ويقره القرآن الكريم في قوله تعالى : ((وكنم في انقصاص حياة يا اولسى
الالباب لعلكم تعقلون)) (٣) .

وقد حاولنا ان نقدم ما في وسعنا من جهد في هذا البحث معتمدين
منهجنا خاصا بنا ، مع الاقرار بفضل من سبقنا بالكتابة في هذا الموضوع ،
فعرضنا اهم النظريات الرئيسية في تفسير السلوك الاجرامي عرضا علميا
موضوعيا مع موازاتها باحكام الفقه الاسلامي الذي اغفله اغلب الباحثين

العرب عند تحليلهم لهذا السلوك ، لقناعتنا الكاملة ان في ذخائر الفقه الاسلامي من المبادئ والنظريات ما لا يقل في رقي الصناعة ، وفي احكام انصنعه عن احداث المبادئ والنظريات الفقهية التي نتلقاها اليوم عن الفقه الوضعي الحديث (٤) .

متضرعين الى العلي التقدير ان يجعل بحثنا هذا خدمة للحقيقة ، ضالة المخلصين التي طالما هفت الاقنثة اليها ، ومن البديهي ان هذه الحقيقة لاتتجنى الا باعتماد البحوث المستندة الى المناهج العلمية المقارنة ، اذ الافكار والاراء كالمصاييح كلما تعددت زادت انارتها وسهلت تلمس الحق نطالبيها .

وباعتماد المنهج الاستقرائي والاستنباطي مفتاح المنهج العلمي التجريبي المعاصر ، وتحري الحقيقة باسلوب موضوعي بعيد عن السذات والهوى ، وبالامتنانة باحصائيات انجرائم والدراسات التطبيقية والبيدانية يسر الله كتابة هذا البحث الوجيه الذي تأمل ان يسهم جديا في بناء فكير قانوني اصيل مستمد من اصالة هذه الامة وقيمها الاخلاقية الفاضلة وتراثها الفقهى المجيد . وقد تبني اعلان الرباط (٥) هذه الحقيقة بقوله : -

ان اساس وحدة الامة العربية وعنوان مجدها وعزتها ومصدر قوتها واصالتها هي : الشريعة الاسلامية التي انعم الله بها على هذه الامة .
وبناء على ماتقدم ، فقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيمها الى
ثلاثة ابواب : -

-
- ٤ - الاستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهورى انقضاء ، العدد الاول السنة الثانية مارس ١٩٣٦ .
٥ - المصادر عن المؤتمر الاول لوزراء العدل العرب ، القدى انعقد في مدينة الرباط في المملكة المغربية للفترة من ١٤ - ١٦ كانون الاول ١٩٧٧ .

الباب الاول : المبادئ العامة في علم الاجرام

الباب الثاني : التفسير العلمي للظاهرة الاجرامية

الباب الثالث : عوامل السلوك الاجرامي

املين ان نكون بهذا العمل قد ادينا واجبتنا العلمي بما يسهم في تشييد
صرح البناء الاجتماعي السليم الذي يوفر للفرد الملجأ الامن والملاذ الروحي
والحصن الاخلاقي ، وتحقيقا للهدف المنشود في توفير العدل والطمأنينة
والاستقرار ، راجين من الله ان يجعل جهدنا هذا خالصا لوجهه الكريم
وان يأخذ بأيدينا لما فيه الخير لابناء بلدنا وامتنا انه سميع مجيب .

www.alkottob.com

الباب الاول

المبادئ العامه في علم الاجرام

ويتضمن الفصلين الاتيين :

الفصل الاول / التعريف بعلم الاجرام وبيان طبيعته

الفصل الثاني / اساليب المنهج العلمي التجريبي
في علم الاجرام

www.alkottob.com

الفصل الاول

التعريف بعلم الاجرام وبيان طبيعته

لعل جدلا لم يحتدم حول علم من العلوم كالجدل الذي احتدم حول علم الاجرام ، سواء بالنسبة لتعريفه وما يشمله هذا التعريف من عناصر تبين حقيقته ، او بالنسبة لكونه علما مستقلا عن غيره من العلوم لان ذلك يتطلب الاستعانة بكل علم يعنى بدراسة شخصية كروح وجسد ، او بالنسبة لكونه مقسما الى عدة فروع يختص كل منها بمبحث الظاهرة الجرمية من زاوية معينة .

وبالنظر لما تمتاز به الظاهرة الجرمية من ذاتية متشعبة الجوانب سواء بصفتها ظاهرة في حياة الفرد او في حياة المجتمع .

فقد اقتضت طبيعة هذا الفصل تقسيمه الى المباحث الثلاث الاتية :

- المبحث الاول : ظهور علم الاجرام وتطوره
- المبحث الثاني : صلة علم الاجرام بالعلوم الجنائية الاخرى
- المبحث الثالث : فروع علم الاجرام

www.alkottob.com

المبحث الاول

ظهور علم الاجرام وتطوره

علم الاجرام (Criminologie) بالمعنى الفني لكلمة علم حديث النشأة شأنه في ذلك شأن العلوم المتصلة بدراسة الانسان ، التي لم تتطور الا بتطور المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر الاجتماعية والبحث في حقائق الحياة (١) .

الا ان هذا لا ينفى وجود بعض الاشارات التي وجدت في كتب الاقدمين التي يمكن ان يستدل منها على ان لهذا العلم تاريخ موغل في القدم يرجع الى ابيوقراط وسقراط وارسطو وافلاطون . حيث ذهب هؤلاء الفلاسفة في تحليلهم لشخصية المجرم الى ان مرتكب الجريمة يتصف بنفس منحرفة نتيجة عيوب خلقية وجسمية .

وفي اوائل القرن التاسع نادى عالم الاجتماع اوجست كومت (١٧٩٩ - ١٨٥٧) (Auguste comte) بضرورة اتباع المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الاجتماعية ، ولما كانت الجريمة من اهم هذه الظواهر لذا فان البحث في اسبابها كان من اوائل الموضوعات التي لفتت انظار علماء الاجتماع اليها ، فظهرت مدرسة البيئه او الوسط الاجتماعي الفرنسية - البلجيكية (٢) التي حمل لواؤها كيتليه في بلجيكا ومثلها في فرنسا كل من جيرى وتارد ودوركهايم ولاكاساني وسالي وجولي .

١ - د . رؤوف عبيد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٩ .

٢ - د . عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، محاضرات القيت علي طلبة دبلوم القانون الجنائي بكلية الحقوق - جامعة القاهرة ، ٩٧٤ - ١٩٧٥ مسحوبا بالرونيتو ص ٦ .

فقد اصدر العالم الفرنسي جيرى (GERRY) (١٨٠٢-١٨٦٦) في سنة ١٨٣٣ كتابا بعنوان ((بحث في التوازن الادبي)) ، عمد فيه الى دراسة احصائيات الجرائم في فرنسا ، وحلل في ضوئها اثر بعض العوامل الفردية والاجتماعية على الجريمة كالجنس والسن والحرفه ومستوى الثقافة : كما قام بمقارنة احصائيات الجريمة في فرنسا ومثيلاتها في انكلترا وذلك في المؤلف الذى اصدره سنة ١٨٦٤ ، انتهى فيسه الى عدة نتائج اهمها : ان اسباب ظاهرة الاجرام وتتكرر سنويا بنفس الصورة ، وان الصلة بين الفقره والجريمة غير متحققه ، فبعض الجرائم تزداد مع زيادة الرخاء الاقتصادى ، وكذلك فان الصلة بين الجهل والجريمة غير متحققه ، فبعض الجرائم تزداد رغم ارتفاع المستوى الثقافى .
وفي سنة ١٨٣٥ اصدر العالم البلجيكي كيتليه (١٧٩٦ - ١٨٧٤) مؤلفا بعنوان :

((الانسان وتطور مكاته)) : ضمنه دراسة تأثير بعض العوامل الفردية والاجتماعية على الجريمة كالظروف الاقتصادية والطقس والجنس كما قام بتوزيع المجتمعات الى فئات بحسب السن والنوع ، على اساس اسلوبك الاجرامى لهذه الفئات ، واولى اهتمامه بالاحصائيات الجنائية فحرص على تنظيمها وتبويبها على اساس علميه مما حدى ببعض الباحثين الى اعتباره المؤسس الاول لعلم الاحصاء الجنائى ، وقد انتهى كيتليه الى القول بأن الظاهرة الاجرامية بوصفها ظاهرة اجتماعية تخضع لقواعد عامة تحكمها شأنها في ذلك الظواهر الطبيعية الاخرى (٣) ، معتبرا الجريمة كواقعة

٣ - وقد تبنى نفس هذا الاتجاه في مؤلفه ((الاحصاء الاخلاقي) ات يقول ((ليس من الكفاية بمكان ان نعتبر الانسان كسجم اجتماعي او نكتفي برد دراسة الشخصية الفردية للانسان الى فعله ، وانما من الاهمية ان نحث الفرد على مراعاة الحياة القانونية التي تنظم نشاطاته وتوصل على توحيدها مع نشاطات الاخرين .

عدديه فرديه (شخصيه) تبدو في تدبذباتها الدورية كعمل رياضي خاضع لظروف الساعة الاقتصادية والاجتماعية ، وهذا النظر لا يرتبط بالمجرم الذي يضرب صفحا عن خصائصه الواقعية بل بالحساب الاحصائي عن الانسان المتوسط الذي لا وجود له في الواقع وانه من الممكن اقامة علم متكامل لدراسة هذه الظاهرة على اساس الاسلوب الاحصائي (٤) .

وقد تأثر بهذه الافكار عدد كبير من العلماء الذين ركزوا جهودهم على دراسة العوامل الاجتماعية للجريمة ، كالعالم الاجتماعي جابريل تارد من انصار مدرسة ليون ، والتي تذهب في تحليلها للظاهرة الاجرامية الى القول بأن الجرم يكون ضحية يائسه للنظام الاجتماعي والاقتصادي القوائم وبالتالي يحل فيها لخطأ جماعي محل الخطأ الفردي حتى ليبدو فيها ان جميع الناس جناة فيما عدا المجرم .

ويعد اميل دور كهايم (١٨٥٨ - ١٩١٧) مؤسس المدرسه الحديثه لعلم الاجتماع القانوني ، ومن انصار مدرسة الوسط الاجتماعي ايضا ، فقد ذهب الى القول بأن دراسة التاريخ تؤكد لنا انه كلما كان المجتمع متحضرا ومتطورا كلما كانت العقوبة اقرب الى الرحمة ، وعنى العكس من ذلك فانه كلما كان المجتمع متخلفا برزت العقوبات انراذعه التي تتميز بالعنف والقسوه ، كما ان العقوبة تكون اشد كلما كانت السلطة المركزية اقوى .

كما عني دور كهايم ايضا بكل اشكال الروابط الاجتماعية وصلتها بالجريمة باعتبارها ظاهرة اجتماعية اعتيادية تقع في المجتمعات مهما اتصفت بالتباين من حيث انظمتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، لان الجريمة هي الثمن الذي ينبغي ان تدفعه للتقدم الحضاري وللتغيير الذي تقتضيه

٤ - د . فوزية عبد الستار ، دروس في علم الاجرام وعلم العقاب ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ٢٢ .

عجلة الحياة المتطورة باستمرار ، ورغم ذلك فقد اعطت هذه المدرسة السى المجتمع الدور الاساس في تحقيق الظاهرة الاجرامية نتيجة اهماله وعدم التزامه بالقيام بالاعباء الملقاة على عاتقه في تربية الفرد وتهذيبه ، اضافة الى تركه يتربى في بيئه فاسده تدفعه للانداج تدريجيا في زمرة المجرمين وبالتالي ارتكاب الجريمة ، فانوسط الاجتماعي وفقا لتعاليم هذه المدرسة يمثل المصدر الرئيسي لمجرائم ، فهو يمثل الغذاء الذى تقتات عنيه الكائنات الحيه لان العوامل الفردية وحدها لاتتقوى على دفع الشخص الى الجريمة وتجعل منه مجرما لذا ومن اجل مكافحة الظاهرة الجرمية يجب ان تتجه هذه المكافحة اساسا الى تغيير انوسط الاجتماعي ، وتجعل منه اكثر ايجابية والتزام للقيام بالدور الامول منه في تربية الفرد وتوجيهه (٥) .

ورغم التأييد الذى حصلت عليه هذه المدرسة ، فأنها لم تسلم من النقد الذى وجه اليها ، فقد اخذ عليها مبالغتها في الاعتداد بالعوامل الاجتماعية المسهله للجرام ، وتقليلها من اهمية دور العوامل الفردية ، بحيث ظهر تساؤل عن سبب ارتكاب بعض افراد المجتمع للجريمة وليس جميعهم ، على الرغم من ان الجميع محاطون بظروف اجتماعية واحدة ، فالاجابة على هذا التساؤل يمثل في نظرنا انتقادا اساسيا يوجه الى هذه المدرسة باستبعادها لعوامل الفردية عند تفسيرها للظاهرة الجرمية .

وفي النصف الثانى من القرن التاسع عشر ظهرت المدرسة الوضعية الايطالية ، وانتهى اتجهت الى البحث عن اسباب الجريمة في التكوين الجسماني للمجرم ، وكان الرائد الاول لهذه المدرسة هو العالم الايطالى نومبروزو ، انذى مكنته خدمته في الجيش الايطالى من اجراء البحوث اللازمة التى كانت الاساس في بلورة نظريته التى ضمنها كتابه الشهير (الانسان المجرم) الذى اصدره سنة ١٨٧٦ ووضح فيه النتائج التى توصل اليها عند تفسيره

٥ - د * عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام . المرجع السابق ص ٦

المظاهرة الجرمية وتتلخص في ان هناك صفات مشتركة بين الافراد المنحرفين يتميزون بها عن غيرهم . وان الصفات المذكورة تدل على الهمجية والبدائية انتقلت اليهم بالوراثة عبر القرون وانها تتمثل فسي شذوذهم من الناحيتين العضوية والنفسية معا ، واطلق لومبروزو على الشخص الذي توجد به هذه الصفات اسم المجرم بالميلاد او بالفطرة .

ولم تسلم هذه النظرية من النقد ايضا ، فقد اخذ عليها انكارها التام لعامل البيئة والظروف الاجتماعية في تكوين السلوك الاجرامي ، فضلا عن انتقادات عديدة اخرى سنوضحها فيما بعد .

وامام وجاهة حجج المنتقدين وقوة منطقتهم ، حاول بعض تلاميذ لومبروزو ادخال العديد من التعديلات على ارائه الاولى المتخفيف من تطرفها وقد مهدت هذه المحاولات السبيل لظهور المدرسة الايطالية الجديدة بزعامة العالم الايطالي (انريكوفري Enrice Ferri) (١٨٥٦ - ١٩٢٩) الذي ان يبرز اهمية عامل البيئة في تكوين الجريمة ، حيث ذكر في كتابة علم الاجتماع الجنائي (La Souciolalagerimnell الصادر سنة ١٨٨٤ ، ان الجريمة خلاصة تفاعل ثلاثة انواع من العوامل هي : -

١ - العوامل الانثروبولوجية ، ويدخل فيها السن والنوع والخصائص العضوية والفسولوجية . . . الخ .

٢ - العوامل الاجتماعية ، وتشمل كثافة السكان والظروف الاقتصادية والعادات . . . الخ .

٣ - العوامل الطبيعية ، كالمناخ وتأثير الفصول الاربعة ، والليل والنهار والحرارة والموقع الجغرافي . . الخ (٦)

Ferri. Socolgia criminal. Vol, Torino.
P. 57

مخلص الى اقول بأن هذه العوامل الثلاث ان تفاعلت فأن الجريمة تصبح نتيجة حتمية لهذا التفاعل * ومن تظافر هذه العوامل الثلاث ينشأ ما اسماه استاذ فرى قانون الكشافة الجنائي ، ومقتضاه انه اذا تفاعلت ظروف اجتماعية معينة مع عوامل انثوبولوجية معينة وعوامل طبيعية معينة فإن هذا التفاعل يتم بالصيغة التي يتم فيه التفاعل الكيماوى بين المسواد المختلفة . اى انه لا بد ان تنتج نسبة معينة من الجرائم لانتقل زيادة ولانقصانا ، وان الجريمة نتيجة حتمية لعوامل معينة ، ومتى ما توافرت بالنسبة للانسان فانه يجد نفسه مسيرا الى ارتكاب الجريمة وليس مخيرا وبالتالي فإن مسؤوليته الجنائية لا يمكن ان تقوم على اساس المسؤولية الخلقية وانما تقوم على اساس اخر: هو ان المجتمع يتحتم عليه ان يحصن نفسه ضد حملة ميكروبات الجريمة او مصادر الخطر عليه * وقد كان لهذه النظرية مردودها الايجابي في كافة التشريعات ، حيث كان لها الفضل في اقرار نظام التدابير الاحترازية بوصفها مجموعة من الاجراءات تواجه خطورة اجرامية كامنة في شخص يرتكب جريمة لتدر رأها عن المجتمع ، كما كان لها الفضل في توجيه القاضي نحو البحث في الظروف الخاصة التي تحيط بكل مجرم من اجل تطبيق الجزاء الذى يتناسب مع شخصية الجرم عقوبة كان ام تدبيرا احترازيا *

مما تقدم يتضح لنا ان البحث في اسباب الجريمة تناوله متخصصون في علوم مخدلفة هي علم الاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس ، الا انه مما يؤسف له ان التنسيق بين هذه الجهود كان مقفودا ، فالجهود التي بذلها المتخصصون في كل من هذه العلوم كانت فردية ولم تتمكن من الاستفادة من الجهود التي بذلها المتخصصون الآخرون ، رغم ان هدف جميع الباحثين كان واحدا ولذا فقد ظهر علم الاجرام كمجموعة من البحوث المتفرقة توجهها اراء مختلفة باساليب متناقضة ، وهكذا بدأت تبرز عند تفسير الظاهرة

الاجرامية مجموعة ظروف فردية واجتماعية ، لان دراسة هذه الظاهرة تتطلب البحث فيها من مختلف جوانبها وعدم التركيز على جانب معين منها على حساب الجوانب الاخرى ، وقد تميز القرن الحالي بظهور التعاون بين علماء الاجرام في هذا المجال وانشاء هيئات علمية متخصصة حيث اتجهت الجهود الى التنسيق بين الدراسات السابقة وتنميتها على اساس التكامل بين التخصصات المذكورة للاستفادة من معطياتها جميعا في تفسير الظاهرة الجرمية وتحديد العوامل التي تساهم في تكوينها (٧) .

وبهذا الصدد فقد تبني بعض العلماء فكرة قيام علم اجرام جديد يهتم بدراسة وبحث جميع العوامل التي ساهمت في وقوع الجريمة ، من عوامل تكوينه عضوية ونفسية الى عوامل اجتماعية وبيئية ، ولتحقيق هذا الهدف لابد من الاستعانة بدراسة مختلف العلوم التي لها علاقة مع هذا العلم كالانثروبولوجيا الجنائية وعلم النفس الجنائي وعلم الاجتماع الجنائي ، اضافة الى دراسة بعض العلوم التي يمكن ان تساعد في تحديد وبيان الدوافع الحقيقية المخفية للسلوك الاجرامي ، كالاحصاء والتحليل النفسي والاقتصاد ، وفي ظل هذا التصور لما ينبغي ان يتضمن علم الاجرام المعاصر يمكن القول بانه قد استكمل كل عناصره الايجابية كسي يتمكن من تسليط الضوء المطروب على العوامل والاسباب التي تساهم في تكوين الظاهرة الاجرامية .

ولذا فقد ظهرت في النمسا نواة لمدرسة خاصة في علم الاجرام بجهود الاستاذ هانز جرونس استاذ القانون الجنائي في جامعة جوائز والذي قام بانشاء المعهد الاجرامي في سنة ١٩١٢ م من اجل دراسة جميع نظريات علم الاجرام المختلفة ، ومن اهم ما يميز هذه المدرسة هو ان جميع روادها من

اساتذة القانون الجنائي(٨) وهي بهذا تختلف عن المدارس الايطالية والفرنسية حيث نجد ان العدد الاكبر من روادها كانوا من الاطباء وعلماء الاجتماع .

وافتتحت كلية الحقوق بجامعة ستوكهولم في سنة ١٩٣٠ معهدا للمعلوم الجنائية ، وفي سنة ١١٣٤ انشأت الجمعية الدولية لعلم الاجرام ، كما انشأت في روما سنة ١٩٥٦ مدرسة لعلم الاجرام الاكلينيكي تابعة لمعهد علم الانسان المعنمي ومقره روما .

كما عقدت عدة مؤتمرات دولية لعلم الاجرام كان اولها مؤتمر روما سنة ١٩٣٨ ثم تلاه مؤتمر الدولي الثالث لعلم الاجرام الذي انعقد في لندن سنة ١٩٥٥ ، المؤتمر الدولي الرابع لعلم الاجرام في لاهاي سنة ١٩٦٠ .

وقد اخذت المعاهد والهيئات المتخصصة في دراسة علم الاجرام تتزايد تدريجيا في كافة انحاء العالم ، وعلى صعيد العالم العربي ، فقد انشأ المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في القاهرة وتبعه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في بغداد .

Hans Grass. Kriminol gisher. 1981, P.6

المبحث الثاني

صلة علم الاجرام بالعلوم الجنائية الاخرى

يهتم علم الاجرام بدراسة ظاهرة الجريمة والتحرى عن اسبابها ،
ولاجل تحقيق هذا الهدف فلا بد له من الاستعانة بكل علم يعني بدراسة
شخصية الانسان المجرم كروح وجسد ، لذا فان علم الاجرام وثيق الصلته
بالعلوم الطبيعية المختلفة كعلم وظائف الاعضاء والامراض العقلية والعصبية
والنفسية وغيرها من العلوم الاجتماعية والطبيعية التي لها علاقة وثيقة
بدراسة حقيقة الانسان ، لان صلة علم الاجرام بالعلوم المذكورة لا يقل اهمية
عن صلته بالعلوم الجنائية الاخرى ، وبهذا الصدد فقد ذكر الاستاذ ثورستن
سيليسن : -

((ان الانسانية لايعوزها الوقوف على اسرار الطبيعة بقدر ما هي
بحاجة لتعرف على نفسية افرادها والبواعث المحركة لسلوكهم)) .
ولعدم اتساع المجال هنا لبحث علاقة علم الاجرام بكل هذه العلوم
فاننا سنقتصر البحث على دراسة صلة هذا العلم بكل من قانون العقوبات
وقانون اصول المحاكمات الجزائية .

www.alkottob.com

المطلب الاول

علم الاجرام وقانون العقوبات

قبل البدء ببحث العلاقة بين علم الاجرام وقانون العقوبات لابد لنا من التعريف بكل منهما ، فالمقصود بعلم الاجرام هو : (ذلك العلم الذى يدرس الظاهرة الاجرامية في حياة كل من الفرد والمجتمع من اجل التوصل الى تحديد العوامل التي تساهم في تكوين هذه الظاهرة ، تمهيدا للوصول الى افضل الوسائل المقضاه عنى هذه العوامل او الحد منها قدر الامكان .

اما قانون العقوبات فيعرف بأنه (مجموعة القواعد القانونية الامر- التي تضعها الدولة لتنظيم المصالح بشكل احكام ملزمة ، تصف بموجبها الافعال المجرمة والجزاء المقرر لكل فعل عند ارتكابه) (٨) .

ومن التعريف المتقدم لعلم الاجرام يتضح لنا ان لهذا العلم كيانا مستقلا عن قانون العقوبات وتبرز مظاهر الاستقلال من حيث موضوع البحث ومن حيث منهجه ، فمن حيث موضوع البحث ، فان طريقة دراسة قانون العقوبات للجريمة تنصب بالدرجة الاولى على كونها حقيقة قانونية ، لذا فانها تشمل تحديد انواع الجرائم واركائها ، والجزاءات المقررة لها اضافة الى تحديد المبادئ العامة التي تخضع لها .

اما علم الاجرام فانه يتناول دراسة الجريمة من خلال البحث عن العوامل المختلفة المحيطة بالمجرم الفردية منها والاجتماعية والتي تدفعه الى ارتكاب الجريمة ، اما من حيث منهج البحث فان قانون العقوبات يبحث في دراسة وتفسير القاعدة القانونية لغرض استخلاص المبادئ العامة ، ومن ثم

٨ - د ذنون احمد شرح قانون العقوبات العراقي - دراسة مقارنته ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ط ١ ١٩٧٧ ص ٥

تحديد الاستثناءات التي ترد عليها. اما علم الاجرام فانه يعتمد في دراسة
على الاساليب التجريبية التي تقدمها لنا دراسة مختلفة اساليب النهج
التجريبي في نطاق هذا العام لغرض تجديد طبيعة العلاقة بين العوامل الفردية
والاجتماعية وبين السلوك الاجرامي ومحاولة استخلاص ضوابط عامه
تحكم حدوث الظاهرة الاجرامية اضافة الى ما تقدم فان هناك ثمة صلة وثيقة
بين علم الاجرام وقانون العقوبات بالرغم من مظاهر الاستقلال السابقة لكل
منهما، فمن ناحية فان علم الاجرام يعتمد على قانون العقوبات في تحديده
موضوعه من خلال التعريف القانوني للجريمة وهذا يعني ان مفهوم الجريمة
في علم الاجرام هو نفس مفهومها في قانون العقوبات ومن ناحية اخرى فان
علم الاجرام يعين المشرع الجنائي على تفهم عوامل الجريمة من اجل وضع
افضل النصوص لمعالجتها(١) *

ومن اوضح مظاهر تأثر قانون العقوبات بعلم الاجرام تبدو في اتجاه
المشرع نحو التوسع في تطبيق نظام التدابير الاحترازية ، لان معرفة اسباب
الاجرام تسمح للمشرع بأن يحمي النظام الاجتماعي على نحو اكثر
فاهمية ، وذلك بتجريم بعض الافعال او الحالات التي لا تنطوي على ضرر
فعلي ومصالح المجتمع ولكنها تنذر بصورة واضحة باحتمال وقوع الضرر
والمقصود بالتدابير الاحترازية مجموع من الاجراءات توجه خطورة اجرامية
كامنة في شخص يرتكب جريمة لتدبرها عن المجتمع ، ويوضح هذا التعريف
الخصائص الاساسية للتدابير الاحترازية . ومن حيث انه يتضمن مجموعة
من الاجراءات تقتضيها مصلحة المجتمع في مكافحة الاجرام ، ومن ثم كان لها
طابع الاجبار والقسر فهي تفرض على من يثبت انه مصدر خطر على
المجتمع ولا يترك الامر فيهما الى خياره ولو كانت في ذاتها تدابير علاجية

٩ - د . عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ص ١ ، ٢

او اساليب اجتماعية مساعدة يستفيد منها بصورة مباشرة . ومصدر الالزام في هذا الهدف الاخير للتدبير هو حماية المجتمع من الاجرام وليس من المنطق ان يكون تحقيق هذه المصلحة رهنا بمشيئة فرد ، وقد لا تتلائم هذه المشيئة مع تلك المصلحة (١٠) وقد اخذ المشروع العراقي بنظام التدابير الاحترازية حيث نص عليها في الفصل الرابع من الباب الخامس من الكتاب الاول من قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ وتعديلاته في المواد (١٠٣ - ١٢٧) .

لذا فان من شأن توثيق الصلة بين علم الاجرام وقانون العقوبات سد الفراغ الحاصل بين مبدأ الشرعية الجنائية وبين تطبيق القاعدة الجنائية التي تخولنا اتخاذ سبل الحماية ، فيقدر ما يقترب علم الاجرام من القانون المذكور يصغر حجم هذه الثغرة .

المطلب الثاني

علم الاجرام وقانون اصول المحاكمات الجزائية

لعلم الاجرام علاقة وثيقة بقانون اصول المحاكمات الجزائية وتبرز هذه العلاقة من خلال التأثير العميق الذي تعدته دراسة الظاهرة الاجرامية في هذا القانون ، ومن اهم مظاهر تأثر قانون اصول المحاكمات الجزائية بعلم الاجرام هي : الاخذ بنظام الفحص السابق على الحكم ، والدعوة الى تخصص القضاة الجنائي ، والاخذ بنظام قاضي التنفيذ .

١٠ - ا.د محمد شلال حبيب ، التدابير الاحترازية دراسة مقارنة ، الدار العربية للطباعة بغداد ، ط ١ ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ، ص ٥ .

واما بصدد نظام الفحص السابق على الحكم ، فمقتضاه ان يقوم القاضي قبل فرض الجزاء الجنائي بجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات عن المتهم سواء منها ما يتعلق بحالته النفسية او بظروفه الاجتماعية التي نشأ فيها ، وذلك من اجل التوصل الى معرفة اسباب ارتكاب الجريمة وتحديد الخطورة الكامنة في شخصية (١١) صحيح ان نتائج علم الاجرام قد تكون احيانا غير معروفة وكثيرا ما تؤدي بنا الى طريق مسدود الا انه لامناص من الاستعانة بهذا العلم . فدراسة تاريخ الجنائي قبل ارتكاب الجريمة يعطينا مؤشرا واضحا لما هو عنده من خطوره (١٢) ، ويمكن تعريف الخطورة الاجرامية بانها : - حالة نفسية تتكون لدى الشخص نتيجة عوامل داخلية وخارجية تجعله اكثر ميلا لارتكاب جريمة في المستقبل (١٣) ، ولاهمية هذا النظام في ميدان القضاء الجنائي فقد اقترحنا انشاء مكتب الارتباط للمخبراء والذي يتولى مسألة تقديم المشورة والخبرة الفنية والنفسية والطبية والاجتماعية الى القضاء وذلك بعد ان يقوم هذا المكتب بعرض استفسارات القضاة على المختصين في هذا المجال ، وتبدو اهمية المكتب في انه يبقى على اتصال دائم بخيرة الاختصاصيين ومواكبة احدث وسائل الخبرة .

واما الدعوة الى تخصيص القاضي الجنائي طبيعة السلطة التقديرية المخولة للقاضي بمقتضى القانون ، ومن اجل ان يمارس قاضي الموضوع هذه السلطة على الوجه المطلوب ، فان هذا يستلزم اعداد قاضي متخصص

١١ - د . عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ، ص ٣

١٢ - M - Mougest, Le Traitement de munaurs
inadaptes dans un etablissement Breton. P. 158 ets.

١٣ - د . محمد شلال حبيب ، الخطورة الاجرامية - دراسة مقارنة ، دار الرسالة للطباعة ، بغداد ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ، ص ٣٢ .

ذى كفاءة عالية تمكنه من القيام بهذه المهمة ، لان فهم القاضي حقيقية الشخصية الاجرامية الماثلة بين يديه وتعيين مدى خطورتها ، وقدرته على مناقشة التقارير التي يقدمها الخبراء في هذا الشأن وتقييمها يتطلب منه تكويننا علميا خاصة دون الاعتماد على ثقافته القانونية الجردة ومعلوماته العامة فقط ، وهذا يستلزم بالضرورة اعادة النظر في تأهيل القضاة الجنائيين مهنيا ، واعدادهم اعدادا علميا جيدا ليكونوا في مستوى متطلبات النظريات الحديثة في علم الاجرام والعلوم الجنائية الاخرى من اجل ادراك الفلسفة التي تقوم على النظام الاصلاحى والعلاجي بجانب النظام العقابى والامام بنصوص القانون ، حتى تجيء نظرتهم للمسؤولية الجنائية من حيث تقريرها ، وللجزاءات الجنائية من ناحية تقديرها وحسن اختيارها اكثر تناسقا وملائمة لشخص الجاني وظروفه واكثر ابقاء لحاجات المجتمع ومصالحه (١٤) .

واما عن نظام قانس التنفيذ فقد برزت اهميته من خلال الدعوة اليه في المؤتمرات الدولية ، حيث اوصى مؤتمر برلين العقابى لسنة ١٩٣٥ بضرورة الاخذ بنظام قاضي التنفيذ ، وكما دعى الى الاخذ به مؤتمر علم الاجرام المنعقد في روما سنة ١٩٣٨ ، ومقتضى هذا النظام هو وجوب الاعتداد الشخصية الاجرامية مما يحتمل معه ان يكشف تنفيذ العقوبة او التدبير التدبير الاحترازى ، دون الاقتصار على الفترة التي يحكم بها عليه فقط ، وذلك على اساس ان القاضي قد لاتتاح له الفرصة الكافية للاحاطة بحقيقة الشخصية الاجرامية مما يحتمل معه ان يكشف تنفيذ العقوبة او التدبير الاحترازى المحكوم به عن عدم موافقته لظروف الجاني او عدم كفايته لدرء

١٤ _ استاذنا المرحوم عبد الجبار عريم ، نظريات علم الاجرام ، مطبعة المعارف ، ط ١٩٧٦ ، بغداد ، ص ٢٦٢ - ٢٧١ .

الخطوره الكامنة في شخصه ، ولذا ينبغي ان يمنح للادارة العقابية قدرا من السلطة تستطيع بموجبها تعديل العقوبة او التدبير الاحترازي المحكوم به متى ما ثبتت لها عدم تناسبه او عدم كفايته . الا انه مما يجب التنويه اليه في هذا الصدد هو ان ترك هذه السلطة الواسعه للادارة العقابية تستعملها بمنأ عن رقابة القضاء يخشى منه اساءة ممارستها . لذا فإنه يجب ان يكون استعمال هذه السلطة تحت رقابة وشراف قاضي يسمى قاضي التنفيذ (١٥) .

لذا فإن الطريقة المثلى التي تمكنا من ان نعيد بناء شخصية الجاني على اسس سليمة تتمثل في دراسة سلوكه وتقييم الفعل الجرمي الذي ارتكبه مع الاحاطه بشخصيته المتعرف على اهم سماته من قبل قاضي التنفيذ طيلة الفترة التي يقضيها في المؤسسات العقابية والاصلاحية والعلاجية للتأكد من زوال خطورته الاجرامية (١٦) .

١٥ - الدكتور عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ، ص ٤ .

المبحث الثالث

فروع علم الاجرام

ان من اثار النشأة الخاصة لعلم الاجرام هي ظهور هذا العلم مقسما الى عدة فروع يتميز كل منها بتوجيه اهتمامه نحو البحث في اسباب الظاهرة الاجرامية في ناحية معينة منها بالنظر لاتساع مجال علم الاجرام ، فأن كثيرا من العلوم المختلفة التي لها صلة وثيقة بهذا العلم تدخل ضمن نطاق بحثه واهتمامه ، الامر الذي جعل هذه المسألة موضع جدل فقهي واسع لتعيين مدى حدود هذا العلم (١٧) وكان من نتائجه ان تبلور تعريف على الاجرام بالصيغة التي ذكرناها ، ومن هذه الفروع التي يطلق على كل منها اصطلاح (العلم) تجاوزا يتكون علم الاجرام في وضعه الراهن واهم هذه الفروع هو ما يأتي :-

١ - علم الاثروبولوجيا الجنائية :

ويعني هذا العلم بدراسة المظاهر العضوية والنفسية للانسان المجرم او بمعنى اخر يدرس الجريمة باعتبارها ظاهرة فردية ، وكما ان علم

١٧ - وهذا ما حدى بالبعض ان يقول بانه ((لعل جدلا لم يحتدم حول علم من العلوم كالجدل انذى احتدم حول علم الاجرام سواء بالنسبة لكونه (علما) او بالنسبة لكونه (مستقلا) عن غيره من العلوم الجنائية ، او بالنسبة لتعريفه ومايكشف عنه هذا التعريف من موضوعات تدخل ضمن نطاق هذا العلم ويرجع هذا الجدل الى ان الظاهرة الاجرام ذاتية متشعبة الجوانب سواء بصفتها ظاهرة في حياة الفرد ام في حياة المجتمع)) .
د . عبد الفتاح الصيفي : علم الاجرام . المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر الاسكندرية ، بلا تاريخ ص ٨ ، د . عبد الفتاح الصيفي و د . محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، دار المطبوعات الجامعية - الاسكندرية ، ص ٥ .

الانثروبولوجيا العام يدرس الانسان كروح وجسد فأن علم الانثروبولوجيا الجنائية يبحث هذه الالوجيه في الانسان المجرم واهذه الدراسة جانبين (١٨) :-

الاول : دراسة الصفات العضوية للمجرم :

سواء ما يتعلق منها باعضاء الجسم الخارجية لمعرفة ما اذا كانت هذه الاعضاء عادية ام شاذة ، وتحديد مقدار هذا الشذوذ او مايتعلق باجهزة الجسم الداخلية وكيفية ادائها لوظيفتها كالجهاز الدموي وانهضمي والعصبي .

الثاني : دراسة نفسية المجرم :

اي الجوانب المختلفة لشخصيته كعواطفه ومشاعره وغرائزه وخاصة درجة نشاط الغرائز والحاجات التي تتولد عنها كغريزة الدفاع والقتال وغريزة اتملك والغريزة الجنسية وغير ذلك من الغرائز .

٢ - علم النفس الجنائي :

وهو يهتم بدراسة الاحوال النفسية للمجرمين كمستوى ذكائهم وغرائزهم وانفعالاتهم لغرض تحديد العوامل النفسية التي يعزى اليها سبب حدوث الجريمة ويرى بعض الفقهاء ان هذا العلم هو جزء من علم الانثروبولوجيا لانه لم يعد هناك مجال للمقول بفصل هذا العلم عن علم الانثروبولوجيا الجنائية فالتغيرات العضوية يمكن ان تؤثر على الجوانب

١٨ - ويضيف البعض هذه الدراسة جانب اخر هو / دراسة الافرازات الغددية د . يسر انور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام - ، وعلم العقاب ، دار النهضة العربية - القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٥١ -

النفسية مما يقتضي عدم تجاهل شخصية الفرد في اى مظهر من مظاهرها (١٩)
فالجسم والنفس هما الوجهان لعملة واحدة هي الانسان فأى مرض عضوى
يؤثر على نفسية الانسان واى حالة نفسية تعطي اعراضا عضوية وهذا ما حدا
بالعلماء الى ايجاد فرع جديد للأمراض اطلقوا عليه اسم : فرع الامراض
العضوى نفسية ويدخل في نطاق دراسة هذا الفرع كثير من الامراض المعروفة الان
كقرحة المعدة والاثني عشر والربو والقولون والصداع وزيادة دقات
القلب وبعض الامراض الجلدية ، لذا فإن علاج هذه الاعراض الجسميية
الوحدها لن تؤدي الى النتيجة المرجوه (كما يقول هؤلاء العلماء) وانما يجب
الاعتماد على العلاج النفسي اضافة الى العلاج البدني لذا فإن العمل النفسية
البيولوجية التي تكشف عن وجودها الطرق المناسبة والجهود المخلصة التي
تبذل لتحديد كل نوع من أنواع العلاج وصولا الى احسن النتائج بفضل
التقدم اندى احرزته العلوم الطبيه والعلوم النفسية في ميادين التشخيص
والعلاج ، ومن شأن ذلك جميعا ان يساهم في تقدم الدراسات الخاصة بعلم
الاجرام (٢٠) .

١٩ - د . يسر انور علي ود . امال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام وعلم
العقصاب المرجع السابق ص ٥١ .

٢٠ - بيير دينيكر ، تطبيقات مناهج الطبيه النفسية في علم الاجرام ، تقرير
مقدم الى المؤتمر الدولي الرابع لعلم الاجرام ، راجع اعمال المؤتمر الدولي
الرابع لعلم الاجرام ، لاهاي ، ٥-١٢ ايتول ١٩٦٠ ، المجلة القومية العدد
الثاني تموز ١٩٦١ المجلد الرابع ص ١٥٧ و١٥٨

٣ - علم الاجتماع الجنائي :

يعرف علم الاجتماع بأنه : ذلك العلم الذى يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة وصفية تفسيرية ، اما علم الاجتماع الجنائي فيعرف بأنه : ذلك العلم الذى يتولى دراسة الجريمة باعتبارها ظاهرة اجتماعية وبمعنى اخر هو : العلم الذى يقتصر على دراسة المجتمع من خلال ما يحدث فيه من طواهر إجرامية ، لذا فهو يعنى بتحديد العلاقة بين الظروف البيئية المختلفة عموماً والظروف الاجتماعية خصوصاً وبين ظاهرة الاجرام من اجل التوصل الى معرفة المدى الذى تساهم به هذه الظروف في وقوع الجرائم .

وقد عرف الاستاذ فيرى علم الاجتماع الجنائي بأنه : حاة الجريمة وحالة الدفاع الاجتماعي ضدها) (٢١) اى ذلك العلم الذى يشمل الانظمة الجنائية كافة ، ومن ضمنها انقانون الجنائي . ويتولى بالدراسة الجريمة والدفاع الاجتماعي ضدها ، اى رد فعل المجتمع ضد هذه الظاهرة بصفتها ضرراً يصيب المجتمع او خطراً يكدر او يعكر صفو النظام الاجتماعي ، لذا يمكن القول بأن المجتمع هو المهتد دائماً بارتكاب اجرائم ، كما تشمل هذه الدراسة الجريمة بصفتها ظاهرة فردية مناهضة للمجتمع وموجهة ضده وبصفتها ظاهرة اجتماعية ، ومن اجل التوصل الى الهدف الاساسي الذى يسعى اليه المجتمع وهو / الوقاية والعلاج .

ينذهب دور كهائم تأثراً برأى جابرييل تارد الى ان مظهر الجرم وخطورته لاتظهر الا في الوسط الاجتماعي . لان وجود المجتمع كاصل يمكن ان يوجد دائماً الافعال الفردية الى جانب المجتمع ، فالفعل الفردى للمجرم يتمثل بعصيانه للمجتمع الذى يمثل احد اعضاءه (٢٢) فالجريمة ظاهرة اجتماعية شأنها

٢١ - Ferri, Principi Di Diritto Criminal. torino, 1923,

utet p. 100 et suiv

٢٢ - G. Tarde. La Crimialite Comparee. 4 ed padis.

1969. p. 132

شأن كل الظواهر الأخرى التي تقع في المجتمع لذا فإنه متى ما توفر لها أسباب الوجود حملت الفرد على اقتراف الجرم، لذا يؤكد دور كهاليم بان المجتمع هو المسؤول عن ارتكاب احد افراده الجريمة لانه ارتكب الجريمة تحت تأثير النظام الاجتماعي القائم والظروف التي المت به، سواء كان سببها البيئية السيئة او سوء الحانة الاجتماعية او ظروف الحياة القاسية الأخرى، فالجريمة محتمة عليه، فهو اداة طبعه للظروف التي احاطته وساقته الى فعل انسياق الانعام امام راعيها (٢٣) لذا فإنه يجب الا ينظر الى الجريمة كقرينة للذنب الذي لا يقر الضمير، لان العقوبة في هذه الحانة تصبح وسيلة للدفاع عمن المجتمع واندلك فان لفظ العقوبة بحسب رأى انصار هذا الاتجاه خطأ شائع، لان فكرة التفكير لاترد الا مع الذنب، ونظرا لانعدام الذنب ففكرة التفكير تنعدم تبعاله، لذا فان الجزء يطبق ليس بوصفه غاية في اذاته وانما وسيلة الوصول الى الدفاع عن الكيان الاجتماعي وحماية أمنة في المستقبل (٢٤)، وعلى هذا فتكون الواقعة الجرمية لاتعني كونها مسألة جريمة وعقاب وانما تعني اعتداء ودفاع لا يبعد شبح الخطورة عن المجتمع المتعين عليه ان يحمي ذاته .

وتبرز اهمية علم الاجتماع الجنائي للقانون الجنائي بشكل واضح و متميز لانه اذا كان على الفقيه ان يأخذ بنظر الاعتبار عند بنائه للنظام القانوني الظروف الاجتماعية السائدة، فانه ليس بمقدوره ان يتجاهل ظاهرة الاجرام لدى مجتمع معين في فترة زمنية معينة، والقواعد العامة التي تحكم هذه الظاهرة (٢٥) .

٢٣ - د محمد شلال حبيب : الخطورة الاجرامية - دراسة مقارنة، المرجع السابق ص ٥١، ٥٢ .

٢٤ - Marc Ancel, La defense social nouvelles, paris, 1966. p. 201-258

٢٥ - د يسر انور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان، علم الاجرام وعلم الاجرام وعلم العقاب المرجع السابق ص ٥٤ و ٥٥ .

www.alkottob.com

الفصل الثاني

اساليب المنهج العلمي التجريبي في علم الاجرام

يقتضي التفسير العلمي المظاهرة الاجرامية معرفة ودراسة حركة الاجرام ، وما تتعرض له من تغيير باختلاف الزمان والمكان وذلك من اجل التوصل الى معرفة الاماكن والجماعات التي تتركز فيها هذه المظاهرة ومن ثم معرفة العوامل التي تساهم فيها والظروف التي ادت الى انتشارها في فترة زمنية معينة وانحسارها في فترة اخرى . وينبغي كذلك دراسة المجرمين بجمع انماطهم وانوقوف على الظروف المحيطة بهم لمعرفة العوامل الخاصة المتصلة باجرامهم (١) .

لذا فان تطبيق المنهج التجريبي في مجال الدراسات الاجرامية يقتضي تحديد طرقه واساليبه التي تلائم موضوع هذه الدراسات باعتبار ان للجريمة وجهين : -

- اولهما : اجتماعي : وفيه الجريمة كظاهرة اجتماعية .
- وثانيهما : فردي : وفيه تبدو الجريمة كظاهرة فردية .

وعلى ذلك كان من الضروري البحث عن الوسائل والاساليب الملائمة لدراسة كل من هذين الوجهين بحيث تنتمي دراسة الوجه الاجتماعي للجريمة الى طرق البحث الاجتماعي وتنتمي طرق دراسة الوجه الفردي للجريمة الى طرق البحث الفردية ، لذا فأننا سنتكلم عن هذه الطرق فسي بحثين نخصص اولهما لطرق البحث الاجتماعية ، ونوضح في ثانيهما طرق البحث الفردية .

١ - د عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ص ١٠ .

www.alkottob.com

المبحث الاول

طرق البحث الاجتماعية

تتعدد طرق البحث الاجتماعية في مجال الدراسات الجنائية بالشكل الذي تحقق استخدام المنهج التجريبي ، وتنصب هذه الطرق على دراسة الجريمة باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، وقد اتسع نطاق هذه الدراسة ليشمل عدة طرق ، ومن اهمها الاحصاء ودراسة الحالة والمسح الاجتماعي ودراسة البيئة والمقارنة .

المطلب الاول

الاحصاء

تعد طريقة الاحصاء من اكثر الطرق ملائمة للدراسات المتصلة بالظاهرة الاجرامية سواء من حيث حجمها او من حيث حركتها ، لان هذه الدراسة لايمكن الا حاطه بها عن طريق الاحصاء ، فبالاحصاء يمكن تفسير العلاقة بين الظاهرة الاجرامية وبين سائر الظواهر الاجتماعية التي تؤثر في السلوك الاجرامي ، وبه يمكن ايضا ان تفسر الرابطة بين الجريمة وبين العوامل الخارجية والظروف البيئية المختلفة كالعوامل الاجتماعية والطبيعية والاقتصادية والثقافية ، واثر هذه العوامل في السلوك الاجرامي .

اولا - طرق الاحصاء :

الاحصاء طريقتان يختلف كل منهما عن الاخر باختلاف ما اذا كان موضوع البحث يتمتع بنوع من الاستقرار والثبات ، او انه حركسي وديناميكي ، ويطلق على الطريقة التي تعالج الموضوع الاول : طريقة الاحصاء الثابتة (المكانة) ، وعلى الطريقة الثانية طريقة الاحصاء المتحركة (الزماني) .

أ - طريقة الاحصاء الثابتة (المكاني)

هي دراسة الظاهرة الاجرامية في فترة زمنية ثابتة سواء وقعت في دول متعددة ام في مناطق مختلفة في دونة واحدة ، فاذا اردنا ان نحدد سير الظاهرة الاجرامية في اقليم معين او لدى طائفة معينة بمقارنته بالظواهر الاجتماعية الاخرى ، والظروف البيئية المحيطة بذلك الاقليم او بتلك الطائفة ، فليس هناك من سبيل الا باستخدام الطريقة الثابتة (٢) ومن امثلتها البيانات الاحصائية عن الجرائم المقرفة من مجموعة معينة من المجرمين ، او الجرائم التي تقع في منطقة معينة ولكنها محاطة بظروف اجتماعية خلال مدة محددة من الزمن ، او الجرائم التي تقع داخل منطقة معينة وخلال احد فصول السنة .

ب - طريقة الاحصاء المتحركة (الزماني)

وتتم بدراسة حجم الظاهرة الاجرامية في مكان واحد ولكن في فترات زمنية متعددة للاحاطة بحركتها وتحديد حجمها زيادة او نقصانا على مر السنين وتقتصر هذه الدراسة على منطقة معينة من الدولة ، ومن امثلتها احصاء مجموعة معينة من الجرائم ، وبهذه الطريقة نستطيع ان نربط بين خط سير الظاهرة الاجرامية وبين ظاهرة اجتماعية او طبيعية معينة فسي المكان المحدد لها ، ومن ثم دراسة تأثير هذه الظواهر والظروف على حجم الظاهرة الاجرامية ارتفاعا او انخفاضاً (٣) .

٢ - د . مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام والعقاب ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٩ ص ٨٧ و ٨٨ .
٣ - د . عبدالفتاح مصطفى الصيفي ، علم الاجرام ، المرجع السابق ص ٢٧ و ٢٨

ثانيا - مزايا الاحصاء :

للاحصاء مزايا كبيرة جعلت منه الوسيلة الامثل في تحديد حجم الظاهرة الاجرامية ، وفي تهيئته مادة المقارنة بين الجرائم المختلفة بالاماكن والازمنه المتعددة وتحديد عدد انجناة وبيان الوسائل والالات التي استخدموها في ارتكاب الجريمة ، لذا يصف الاستاذ رؤوف عبيد الاحصاء بانه : الاساس الذى قامت عليه دعائم البحث في علم الاجرام بمفهومه الحديث ، ويصفه الاستاذ ثورستن سيلين بانه : مرارة الجريمة - حساب الميزانية فيها (٤) ويعده البعض من اهم اساليب البحث الاجتماعية في علم الاجرام وفي بحث الجريمة كظاهرة اجتماعية (٥) وعلى اساسه يتمكن الباحث من اجراء البحث المقترن بالجهد العقلي ومن ثم الاستنتاج ليكشف عن العلاقة التي قد تربط بين الظاهرة الاجرامية وبين العوامل الفردية الخاصة بالمجرم وكذلك العوامل الاجتماعية والظروف البيئية المختلفة (٦) .

ومن مزايا الاحصاء ايضا انه يستخدم في استنباط خصائص المجرمين وتحديد نوازعهم الفردية والاجتماعية بفضل تقدم الاجهزة المستخدمة في الاحصاء كالالات الحاسبة والعقول الالكترونية .

-
- ٥٠٤ - رؤوف عبيد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٣٧
٥٠٥ - حسنين ابراهيم صالح عبيد ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨ ص ٣٠ ، ٣٣
٥٠٦ - جلال ثروت ود - محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، الدار الجامعية ، بيروت ٩٨٣ ص ٥٣

ثالثا - عيوب الاحصاء :

بالرغم من المزايا المتقدمة للاحصاء من حيث كونه من اهم وسائل البحث العلمي في الدراسات الجنائية الا انه تعرض للكثير من اوجه النقد حيث ذكرها العلماء وقد استهدفوا من نسبتها اليه لفت النظر الى ان هذه الطريقة في البحث الاجتماعي لاتصلح الا لتكوين فكرة عامة عن النشاط الاجرامي في منطقة معينة او وقت معين وتساعد في تسليط بعض الاضواء على الظاهرة الاجرامية لعجزها عن تغيير هذه الظاهرة بمفردها ، فقد ذكر الاستاذ اكسينر بهذا الصدد ان (الاحصاء لا يكشف عن رابطة السببية بين الظواهر التي يتناولها انما هو قد يكشف عن مدى ما بينهما من رابطة اما تحديد رابطة السببية فأمر اخر يحتاج الى عدة ابحاث تالية مستقلة (٧) .

ويمكن اجمال عيوب الاحصاء فيما ياتي :

١ - من حيث مصدر الاحصاء :

يؤخذ على الاحصاء بانه لايعكس صورة صادقة لحقيقة الظاهرة الاجرامية لذلك لايمكن الاعتماد عليه كطريقة من طرق البحث الجنائي لان الاحصاءات المعتمدة في هذا الصدد هي الاحصاءات الرسمية وهي اما ان تكون بوليسية تصدرها وزارة الداخلية او قضائية تصدرها وزارة العدل او عقابية تصدرها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، وهذه الانواع الثلاث من الاحصاءات لاتشتمل على جميع الجرائم التي ارتكبت فعلا ، لذا فانها لاتعبر تعبيراً صادقا عن تطور ظاهرة الاجرام وتحديد حجمها الحقيقي .

فالاحصاءات البوليسية تسجل كل الجرائم المبلغ عنها سواء الكيدية او غير الكيدية منها ، ولذا فانها تبين عدد الجرائم التي وصلت الى علم اجهزة الشرطة فقط دون الجرائم التي لم تصل الى علم هذه الاجهزة لاسباب

Exner, Kriminologischer Bericht uber (٧)
eine Reise nach Amerika, Berlin, 1935, P. 37.

مختلفة يرجع البعض منها الى طبيعة الجريمة ذاتها لكونها من الجرائم التي تقع في الخفاء كجرائم الاجهاض مثلا ، ويرجع البعض الاخر منها الى طبيعة المجني عليهم كالجرائم الماسة بالشرف والتي كثيرا ما يحجم المجرمون عليهم فيها عن ابلاغ دوائر الشرطة تجنبيا للفضيحة ، ولذا فأن هذه الاحصاءات لا تعطي تعريفا دقيقا للافعال المبلغ عنها .

اما الاحصاءات انقضائية فأنها تشمل الاعداد الاجمالية لكل فئة من الجرائم التي صدرت قرارات اكتسبت الدرجة القطعية ، ولهذا فانها تبرز الجرائم التي اشير اليها في احصاءات الشرطة لاتصل الى القضاء بسبب ممارسة قضاة التحقيق لاختصاصهم في حفظ الدعوى لعدم اهميتها مثلا ، عاجزه ايضا عن اعطاء الصورة الحقيقية لعدد الجرائم المرتكبة فكثيرا ما او بسبب انكشاف امر الدعوى الكيدية وما يترتب على ذلك من ايقاف الاجراءات الخاصة بها ، ولذا فأن مثل هذا الاسلوب لا يحقق الهدف الذي يرمى اليه الباحثون في ميدان الدراسات الجنائية ، لان الذي يهمهم هو وحدة الجريمة ووحدة المجرم .

اما الاحصاءات العقابية ، فانه يمكن توجيه نفس المآخذ التي وجهت للاحصاءات القضائية ، بالجرائم التي تصدر فيها جزاءات بديلة للسجن لا تظهر في هذه الاحصاءات ، كما يحكم بالحبس مع وقف التنفيذ والغرامة وسحب اجازة السوق او منع ممارسة بعض المهن والايدياع في مأوى علاجي ومراقبة السلوك بالنسبة للاحداث وكذلك تسليم الحدث الى ولي امره او احد اقاربه .

لذلك لو تجاهلنا هذه الاسباب وقمنا بتقييم سلامة النتائج المستنبطة من الاحصاءات ، لوجدنا ان عدد الجرائم المرتكبة فعلا يختلف عن عدد الجرائم المثبتة في الاحصاءات مما يعني وجود فارق كبير بين حجم الاجرام الحقيقي والاجرام المثبت رسميا، اصطلاح على تسميته بالرقم المظلم (Le chiffre noir) وهو رقم يصعب تحديده لانه معرض للزيادة وانقصان ويرجع ذلك الى عدة

اعتبارات منها ، ان الجرائم الخطيرة والمهمة غالبا ما يجرى الاخبار عنها ، فإنه بالمقابل هناك كثير من الجرائم لاتصل الى علم السلطات كالجرائم البسيطة والجرائم الاخلاقية (٨) فالاحصاء ليس بمقدوره ان يحيط لكل الجرائم المرتكبة ، وان الاحصاءات المسجلة لاتعبر عن الواقع تعبيراً دقيقاً لان هناك جرائم تبقى في منطقة الظل لاتكتشفها الاحصاءات ، لذا يمكن القول بأن حجم الجرائم المرتكبة فعلا هي اكبر بكثير من حجم المثبتة بالاحصاءات ، وفي ضوء هذا التناقض بين الجرائم الحقيقية والجرائم المثبتة احصائياً حاول (Mayer) ماير في المانيا ان يجرى مقارنة بين هاتين المجموعتين من الجرائم فكانت النسبة كما يأتي : (٩) .

في سرقة البضائع ٣٠ : ١

في السرقات الجسيمة ٨ : ١

في القتل ٣ : ١

في الاجهاض ١٠٠ : ١

٢ - من حيث مدى البيانات الاحصائية في المكان والزمان :

فكثير من الجرائم المرتكبة لا يكون مكان ارتكابها هو مكان اكتشافها . فقد ترتكب الجريمة في مكان معين وتكشف في مكان اخر بن وريما في اقليم اخر غير الاقليم الذي ارتكبت فيه الجريمة مما يترتب عليه صدور الاحصاءات عن عدد الجرائم بشكل غير دقيق سواء في الاقليم الذي وقعت فيه الجريمة او الاقليم التي اكتشفت فيه ، اما من حيث الزمن فكثير من الجرائم التي تشبثها

٨ - د جلال ثروت و د محمد زكي ، علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٥٧ ، د مأمون محمد سلامه اصول علم الاجرام والعقاب المرجع السابق ص ٩٠ .

٩ - د عوض محمد مبادئ علم الاجرام مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ص ٦٦ ، ٦٧ .

تلك الاحصاءات في سنة معينة تكون معبره في التحقيقه عن جرائم ارتكبت في سنوات سابقة ، لانه ربما لا يتطابق وقت ارتكاب الجريمة ووقت ضبطها
هذا تأتي الاحصاءات غير دقيقة تبعا لاعتمادها في تثبيت وقت ارتكاب الجريمة على وقت وقوعها وضبطها (١٠) .

٣ - من حيث قيمة المعلومات التي تمدها بها الاحصاءات :

ويؤخذ على الاحصاءات ايضا قصور المعلومات التي تحققها عند تحديد عوامل السلوك الاجرامي تحديد دقيقا (١١) : فالاحصاء يصلح مثلا لكي يفسر ان الجرائم الواقعة على الاموال يكثر ارتكابها في اجو البارد ، حيث يثبت لنا بالارقام ان معظم جرائم الاموال تقع في فصل الشتاء . الا ان الاحصاء يعجز عن تفسير ما اذا كانت هذه الجرائم ترجع الى زيادة حاجة الافراد لالحصول على المتطلبات الضرورية اتناء هذا الفصل والمتمتله بالملبس والاساوى . ام الى طول ليالي الشتاء التي تتيح فرصا اكثر لارتكاب هذا النوع من اجرائم .

٤ - من حيث مدى النوفيق في اختيار افراد العينه وافراد المجموعة الضابطة :

ويؤخذ على الاحصاء اخيرا فشله في اختيار المجموعة الضابطة التي تتخذ اساسا للمقارنه بالعينه محل الدراسه ، لانه عند القيام بمقارنه عينيه من المجرمين بمجموعه ضابطه من غير المجرمين ، وهذا هو جوهر الاحصاء ، نجد ان هناك صعوبات تتور بهذا انصدد تتمثل بمدى النجاح في اختيار العدد الملائم من العينه ، فالاحصاءات العاليه تتجه الى اعتماد خصمساته وحده كأساس للعينه كما تتور الصعوبه في امكان اختيار افراد المجموعه الضابطه

١٠ - د . جلال ثروت ود محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ،

المرجع السابق ص ٥٦ .

١١ - حسنين ابراهيم صالح عبيد ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

بسبب ان هناك شرطا يجب تحققه في افراد هذه المجموعة وهو ان لا يكون قد سبق له ان ارتكب الفعل المكون للجريمة محل الاحصاء على الرغم من وجوده في نفس الظروف وتماثله معهم في السن والجنس (١٢) ، ونتيجة لهذا الشرط فإنه يجب استبعاد كل من ارتكب الفعل سواء تم تبليغ السلطات المختصة ام لم يتم هذا التبليغ ، ومن الناحية الاخرى فإنه يتعذر توافق خمسمائه فرد امن الافراد تنطبق عليهم نفس الظروف الاجتماعية والبيئية او الفردية التي تتوافر في افراد المجموعة الضابطة حتى يتم مقارنة هذه العينة من المجرمين مع هذه المجموعة الضابطة .

رابعاً : تقييم الاحصاء :

رغم كل ماسبق ذكره ، فإن طريقة الاحصاء لازالت من اهم طرق البحث العلمي في مجال تحليل الظاهرة الاجرامية وبيان اسبابها ، لان العيوب التي نسبت اليه يمكن تفاديها او التقليل من اثارها باعتماد احصائيات لسنوات متعددة ، وبعد دراستها وتحليلها بعمق وفق المنطق العلمي السليم والاستعانة بالمجهود الجماعي المشترك بين الباحثين الذي اصبح الاسلوب المفضل في مجال هذه الدراسات وبمساعدة الالات الحاسوبية والعقول الالكترونية بهذا الصدد فمن شأن هذه العوامل ان تأتي معها العينة ممثلة للمجموعة الضابطة على نحو اكثر دقة واحكام كما ان من شأنها ان تقلل من حالات عدم التجانس في البيانات او النتائج المستخلصة من الاحصاءات (١٣) .

١٢ - د جلال ثروت الظاهرة الاجرامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ٧٢ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

١٣ - د عبد الفتاح انصيفي ، علم الاجرام المرجع السابق ص ٢٩ - ٣٥ .

ومن اجل ان لا نبغس الاحصاء حقه ينبغي ادراك حقيقة وظيفته ، ومتى
ادركنا ذلك توصلنا الى المدى الذى يمكن ان يفيدنا الاحصاء في تحقيق اهدافنا
كبي لا يقدر اكبر من حجمه ويحمل اكثر ما يطبق (١٣) .

وقد تضمن مؤتمر الامم المتحدة السادس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين
النص ضمن مقراراته على اهمية الاحصاءات المتعلقة بالجريمة ، فبين في القرار
رقم ٢ المتعلق بوضع الاحصاءات الخاصة بالجريمة والعدالة : ان مؤتمر الامم
المتحدة السادس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين ، اذ يشير الى اهتمام مؤتمر الامم
المتحدة الخامس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين بوضع احصاءات اكثر كفاية
عن الجريمة والجنوح واذ يلاحظ الحاجة القائمة على المستوى العالمى الى
وضع احصائية مناسبة وموثوق بها عن ظاهرة الجريمة وعمل نظم العدالة
الجنائية ، واذ يسلم بما المعلومات الصحيحة ، ولا سيما المعلومات الاحصائية
من اهمية في فهم الجريمة وعمل نظم العدالة

١ - يرجو من الامين العام ان يضاعف بذل الجهود لتنسيق جمع احصاءات
مقارنة فيما بين البلدان بشأن الجريمة والعدالة في كل دولة من الدول
الاعضاء ، بدأ بالصعيد الاقليمي .

٢ - يوصي بان تعزز جميع الدول جهودها الرامية الى تحسين المعلومات ، ولا
سيما المتعلقة بالجرائم (١٥) .

١٤ - د عوض محمد ، مبادئ علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٦٣ .
١٥ - تقرير مؤتمر الامم المتحدة السادس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين ، الامم
المتحدة - الجمعية العامة ، ص ١٣ و ١٢ .

المطلب الثاني

دراسة الحالة

تعد طريقة دراسة الحالة من الطرق التي يستخدمها الكثير من الباحثين في نطاق اندراسات المتصلة بالسلوك الاجرامي ، ويقصد بها: تلك الوسيلة العلمية المستخدمة في جميع انبيانات الاجتماعية وتحليلها وتصنيفها (١٦)، وفي علم الاجرام تتحقق دراسة الحالة بجمع البيانات عن وحده اجتماعية قد تتمثل في فرد من الافراد فيما يتعلق بحياته باكملها او بالنسبة لجزء منها ، بهدف التوصل الى فحص حالته العضوية وتحليل نفسيته والتعرف على الظروف الاجتماعية المحيطة به ، ومن اجل الاحاطه بسلوك المجرم والوقوف على حقيقته ، كظاهرة بيولوجية ونفسية واجتماعية ، لا بد من دراسة الحالة لتفسير الموقف الكلي وتشمل هذه الدراسة جميع ظروف الشخص البيئيه والاجتماعية ، وفحص حالته العضوية والنفسية والتعرف على ماضيه وحاضره ، كما قد تتمثل هذه الدراسة في مجموعة من الافراد يجمعهم ظرف اجتماعي متشابه كالتصدع العائلي مثلاً (١٧) .

وإذا كان الاحصاء يعني عموماً : ترجمة حجم ظاهره معينه الى ارقام فإن دراسة الحالة تتولى بالدراسة المباشرة الفرد او مجموعة من الافراد الذين تتكون منهم الوحدة الاجتماعية محل الدراسة .

ولا تتحق هذه الدراسة بالاعتماد على وسيله معينه ، وانما ينبغي اللجوء الى اكثر من وسيله في جمع المادة ، على ان تكون هذه الوسائل مختلفة تبعاً للاتجاهات والجوانب المختلفة التي يتطلب دراستها دراسة حالة المجرم دراسة

-
- ١٦ - د - جلال ثروت . الظاهرة الاجرامية المرجع السابق ، ص ٤١ .
١٧ - د . عيد انفتاح الصيفي : علم الاجرام ، المرجع السابق ص ٣٥ .

معمقه تستلزم الرجوع الى البيانات الخاصة بحالته العضوية والعقلية والنفسية دون الاقتصار على البيانات الخاصة بالظروف الاجتماعية التي احاطت به عامة كانت هذه الظروف ام خاصة .

وقد استخدمت وسيله دراسه الحاله من قبل كثير من الباحثين ، ومن هؤلاء الاستاذان شلدون واليانور جلوك الذين قاما بدراسة اشتملت على النساء الجانحات حيث استخدمتا في بحثهما عينه تجريبيه تتكون من ٥٠٠ امرأة جانحة ومجموعة ضابطه من نفس العدد لم يرتكبن جرائم من قبل ، وقد امتدت هذه الدراسة لتشمل جمع المعلومات والبيانات عن تاريخهن الشخصي والعائلي ، كما شملت الجوانب النفسيه والعقليه لهن ، ومع دراسة كامله للظروف الاجتماعيه المحيطه بهن ، وقد انتهت هذه الدراسة بوضع جداول تتضمن ماياتي : -

- ١ - تفسير السلوك الاجرامي اكل واحده منهن ، والتنبؤ بمستقبلها الاجرامي
- ٢ - تقديم المساعده لهيئه البارول في كيفية تحديد الجانحه التي تستحق الافراج بموجب هذا النظام .
- ٣ - تقديم المساعده للمقاضي في تطبيق الاسلوب الذي يتناسب مع ظروف وشخصية الجانحة العائده (١٨) .

كما استخدم هذه الوسيله ايضا الاستاذ سيرل بيرت ، من اجل الكشف عن عوامل جنوح الاحداث في لندن ، حيث طبقها على عينه تجريبيه تضم ٢٠٠ حدث جانح من الذكور والاناث ومجموعة ضابطه تمثل نفس العدد من الذكور من العينه من غير الجانحين ، مراعيًا في اختيارهم التشابه بين المجموعتين من حيث العمر والظروف الاجتماعيه والاقتصاديه والثقافيه .

١٨ - د . يسر انور علي ود . امال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام وعلم العقاب المرجع السابق ص ١١٢ ، ١١٤ .

وقد قام الباحث المذكور بتطبيق اسلوب الدراسة الكاملة للحالة حيث امتدت هذه الدراسة الى تاريخ حياة كل حدث ماضيها وحاضرها ، وقد استطاع بييرت رسم نطاق بحثه عن ماضي الحدث من خلال المعلومات والبيانات التي استقاها من الحدث نفسه او من اهله او ذويه او اصدقائه او ممن يعمل معهم ، أما عن حاضره فقد اعتمد على نتائج الفحوص المتعددة التي اجراها من اجل الاحاطة الكاملة بحالته العضوية والنفسية والعقلية لتحديد شخصيته ، اضافة الى دراسة الظروف الاجتماعية التي يخضع لها .

وقد توصل الباحث في نهاية هذه الدراسة الى القول بأن : اسباب جنوح الاحداث ترجع الى اكثر من عامل ، الامر الذي يتطلب معه ان تتسم هذه الدراسة بالتكامل والشمول ، ولكن هذا لا ينفي التأكيد على عامل معين دون غيره مادام انه يلعب دورا اساسيا في تكوين الظاهرة الجرمية ، ومن هذه العوامل رفاق السوء والحالة الاسرية وعدم الاستقرار النفسي .

لذا امكن القول بأن هذه الطريقة تختلف عن طريقة الاحصاء في ان محل الدراسة فيها الطرف المتشابه الذي يجمع عدد من الافراد في حين ان محل الدراسة في الطريقة الاولى هو الفرد ذاته . (١٩)

تقييم هذه الطريقة :-

اولا . مزايا دراسة الحالة :

تعد هذه الطريقة من اهم الطرق التي تساعد على التشخيص الكامل للحالة موضوع الدراسة ، اضافة الى كونها اهم الوسائل المتبعة في جمع المعلومات والبيانات التي تقتضيها طبيعة البحث في نطاق علم الاجرام . لانها لا تمثل اداة خاصة بل تمثل وسيلة عامة لتنسيق وجمع وربط هذه البيانات من اجل التوصل الى افضل الصيغ المتبعة في تفسير وتحليل السلوك

١٩ - د . عبد الفتاح الصيفي ، علم الاجرام ، المرجع السابق ص ٣٦-٣٧

٢٠٠. ثانياً. الانتقادات الموجهة الى دراسة الحالة :-

على الرغم من المزايا المتقدمة لدراسة الحالة من حيث كونها وسيلة مهمة من وسائل البحث العلمي التجريبي في مجال الدراسات الاجرامية ، الا انها تعرضت للكثير من الانتقادات نجمل فيما يلي اهمها : =

١ - ان تفسير الانحرافات يكون موضع تحيز من الباحث اكثر ممسا تقتضيه الحالة استجابة لفكرة خاطئه اثرت عليه ، مما يترتب عليه قيام الباحث بابراز الكثير من الاتجاهات والجوانب التي ليس لها اهمية تذكر على حساب الجوانب الاخرى المهمة ، اى ان الباحث قد يدرى في عناصر الحالة الواحد الاتجاهات التي تناسب فكرته السابقه لتفسير الانحراف ، فيعتمد تلك الاتجاهات ويهمل غيرها لاسبب وانما لكونها لا تتلائم مع فكرته هذه ، مما يخشى معه ان يبتعد بهذا التفسير عن المنهج العلمي الذى من اهم سماته : التزام الباحث بالموضوعيه المجرده في اعتماد نتائج البحث حتى وان جاءت مخالفه لتصوراته السابقه ، ومن ثم تصحيح هذه التصورات ان وجدت وفقا لنتائج المستخلصه من الحالة موضوع البحث .

٢ - ان عمل الدارسين الحالة مع هيئات لديها تعامل مع الجانحين ، طلبت قيامهم بهذه الابحاث ، من شأنه نشوء التزام بحق هؤلاء الباحثين عند قيامهم بدراساتهم ، وان تكون نتائج هذه الابحاث لها صلة بالحالة محل البحث ، والذى يخشى منه بهذا التصدد هو : احتمال ان توجه هذه البحوث والدراسات نحو اصلاح مواطن الانحراف اكثر من توجيهها نحو تفهم اسباب الانحراف .

٢٠ - د . يسر انور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام وعلم العقاب المرجع السابق ، ص ١١٢ ، ١١٣ .

المطلب الثالث

المسح الاجتماعي

ويقصد به الدراسة الوصفية التي تهدف الى جمع الحقائق عن ظاهرة من الظواهر الاجتماعية او مجموعة من الوقائع او الافراد من اجل ابراز خصائص تلك الظاهرة او الوقائع او الافراد ثم تعميم النتائج العلمية المستخلصة منها على افراد معينين في المجتمع او جميع افرادهم (٢١) . بدون استثناء ويتم هذا الاسلوب باحدى طريقتين : -

الطريقة الاولى : طريقة النموذج الاستجوابي :

وتتحقق بأن يهيء الباحث نموذج معد سلفا يتضمن مجموعة من الاسئلة المباشره حول مختلف الظروف الاجتماعيه والبيئيه التي تحيط بالافراد المقيمين في منطقة معينه يتخذها الباحث محلا لبحثه والتي تتميز بطابع اجرامي خاص ، ويتولى بنفسه توزيع هذه الاسئلة على هؤلاء الافراد الذين يعتبرون عينه البحث المذكور ويتجمع اجابات افراد العينه تتم عملية التنسيق والتحليل التي تسهل على الباحث استخلاص مدى ارتباط ظاهرة الاجرام محل الدراسة بالظروف المختلفه التي تسود فسي تلك المنطقة .

وقد يطبق هذه الاسلوب ايضا باتباع طرق اخرى ، ومن اهمها طريقة النموذج العائلي ، والتي تتحقق بتوزيع نماذج فيها مجموعة من الاسئله ذات الصبغه العائليه ، تتضمن بيانات متعدده عن الجوانب

٢١ - د . جلال ثروت و د . محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٥٩ ، د . يسر انور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ص ١٠٢ .

٢٢ - د . مأمون محمد سلامه ، المرجع السابق ، ص ٩٣ .

والظروف المختلفة للعائلة ، ويقوم الباحث بتفسيرها واستخلاص العوامل المساعدة على الاجرام وتحديد القواعد التي تربط بين السلوك الاجرامي وعوامل معينة سواء اكانت فرديه ام اجتماعيه .

وقد انتقدت هذه الطريقة على اساس ان تعدد الباحثين للموضوع الواحد يؤدي الى تعدد النماذج وبالتالي اختلاف الاسئلة التي يضمها الباحثون ، كما يحتمل صياغتها على اساس من رغبة خاصة او اتجاه معين يتبناه الباحث ، ويحاول اثباته من خلال نموذج هذا ، وقد يوحي بها من خلال صيغة الاسئلة ، ومن شأن هذا الاختلاف التقليل من فائدة النتائج التي انتهت اليها هذه الابحاث والدراسات (٢٣) .

الطريقة الثانية : طريقة دراسة البيئه :

تمثل هذه الطريقة ايضا اسلوبا من اساليب المسح الاجتماعي ، وقد استخدمت من قبل الباحثين في مجال الدراسات الاجرامية على نطاق واسع في الولايات المتحدة الامريكية وبعض الدول الاوربية (٢٤) ، وتتحقق هذه الطريقة بان يقسم الباحث المكان الذي يجرى عليه بحثه الى مناطق صغيره محدده تتجانس ظروف كل منها من النواحي الثقافية والاجتماعية والجغرافية بنفس الوقت كأن تقسم المنطقة مثلا استنادا الى درجة رقيها او اهميتها من الناحية الاقتصادية او طبيعة موقعها الجغرافي ولا يراعى في هذا التحديد التقسيمات الادارية انما يكون تحديدا طبيعيا اي جغرافيا واجتماعيا في نفس الوقت (٢٥) ، ثم يقوم الباحث بدراسة ظاهرة الاجرام

٢٣ - د . عبد الفتاح الصيفي ، علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٣٩ - ٤١ .

٢٤ - د . جلال ثروت و د . محمد زكي ابو عامر المرجع السابق ص ٦٠ .

٢٥ - د . يسر انور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ١٠٣ .

داخل كل منطقة من هذه المناطق . ومن اجل الوصول الى تحديد القواعد التي تربط بين ظاهرة الجريمة محل البحث والدراسة ومختلف الظروف السائدة في كل منها .

وقد اتجه كثير من الباحثين الى استخدام هذه الطريقة في ميدان الدراسات المتصلة بالسلوك الاجرامي من اجل تفسير حقيقة الظاهرة الاجرامية ، فقد طبق العالم الايطالي دي توليو هذه الطريقة في دراسة انظاهرة الاجرامية في المناطق التي يسودها التخلف في ايطاليا (٢٦) ، كما قام العالم الامريكسي كليفتارو شو (٢٧) باجراء بحث عثى الاحداث في شيكاغو اثبت فيه ان ارتفاع نسبة الجرائم مرتبط بالمناطق التي يسود فيها التفكك الاجتماعي ، كما يتحقق ذلك في المناطق التي تنتشر فيها العصابات وتكون متخلفة من الناحيتين الثقافية والحضارية ، او في المناطق التي تزدهم بالناس بالقرب من المناطق التجارية والصناعية (٢٨) .

وتعد طريقة دراسة البيئة من الطرق الايجابية في ابراز وتوضيح الصلات بين الظاهرة الاجرامية وبين العوامل والظروف المختلفة التي تسود داخل المناطق التي تطبق فيها هذه الدراسة (٢٩) .

-
- ٢٦ - د . روؤف عميد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٣٩ ، ٤٠ .
- ٢٧ - د . محمد خلف ، مبادئ علم الاجرام ، مطابع دار الحقيقة ، بنغازي ٩٧٧ ط ٢ ص ٨٢ .
- ٢٨ - د . يسر انور علي ود امال عبد الرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٠٤ .
- ٢٩ - د . مأمون محمد سلامة ، المرجع السابق ص ٩٣ .

المطلب الرابع

(الملاحظة)

ويقصد بها : المشاهدة الدقيقة لظاهرة من الظواهر بعد الاستعانة بالاجهزة والالات والوسائل التي تتلائم مع طبيعة هذه الظاهرة ، ومن اجل تطوير العمل بهذه الطريقة يجب عدم الاكتفاء بمجرد التسجيل السلبي للوقائع المتصلة بالظاهرة محل الدراسة ، انما ينبغي ان يكون مقترنا بجهد عقلي يبذل من اجل التوصل الى الكشف عما قد يكون خفيا من روابط تتعلق بالظاهرة المذكورة ، لهذا فقد انتهى علماء الاجتماع الى القول بأن الملاحظة هي : تحليل وتنسيق وربط واستنتاج ، وتبرز اهمية الملاحظة كطريقة للبحث الجنائي في نطاق الدراسات الجنائية ، لان هناك نتائج علمية يصعب الوصول اليها دون سلوك هذا الطريق مثال ذلك : مراقبة سلوك وتصرفات الاحداث او المجرمين المصابين بمرض عقلي او نفسي ، وتزداد اهمية هذه متى ما لجأ الباحث الى الملاحظة بطرق المشاركة اذ يصل الى كثير من المعلومات التي يتعذر الحصول عليها فيما لو سلك طريقا اخر (٣٠) .

ومن اجل ضمان تحقيق الملاحظة لهدفها المنشود ينبغي التأكيد على مسألة جوهرية في هذا الصدد : وهي وجوب الحذر والانتباه في كافة الاحوال تستخدم فيها هذه الطريقة بغية تثبيت كل ما هو نافع في دراسة الظاهرة محل البحث من اجل حصول الباحث على النتائج العلمية المقبولة ، ويقضي الاستخدام السليم للملاحظات توافر صفات خاصة في الملاحظ من اهمها ان يتصف بالتجرد في نظراته الى الظاهرة محل الدراسة ، ويتمتع بقدر

٣٠ - د . ايسر نور علي و د . أمال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

كاف من المعلومات والخبرة ، وان يكون بالتالي موضوعيا عند تقييمه
النتائج التي يتوصل اليها من خلال هذه الدراسة .

وعلى الرغم من توافر الصفات المذكورة في القائم بالملاحظة ، فانها
قد تكون غير مضمونه الاهداف اذا تعدد الملاحظون لنفس الظاهرة ، لان
هذا التعدد من شأنه ان يؤدي الى الاختلاف في الرأى بصدد الاسس التي
تبنى عليها الملاحظة ، وبالتالي يكون هناك تباين في النتائج التي يتم
الحصول عليها ، كما ان الملاحظة هي طريقة لجمع المعلومات عن وقائع
وتصرفات تقع في الحاضر او المستقبل ، لذا فانها لاتصلح كوسيلة
لدراسة التصرفات والوقائع التي وقعت في الماضي .

وتنقسم الملاحظة من حيث اسلوب ادائها الى ملاحظة بسيطة واخرى
منظمة : -

اولا - الملاحظة البسيطة :

وتتحقق بالاطلاع على المادة محل البحث او بالاستماع اليها دون
الاستعانة بوسيلة فنية اخرى ، فهي تعتمد على مجرد الرصد والتعميم
والتحليل (٣١) وتنقسم الملاحظة البسيطة بدورها الى ملاحظة بالمشاركة
واخرى بدون مشاركة .

أ - الملاحظة بالمشاركة : -

وتتم عن طريق العلاقات الوطيدة التي يقيمها الباحث مع الجماعة
التي تكون موضع دراسته ، والتي تؤدي الى دخول الباحث واختلاطه مع
هذه الجماعة بالشكل الذي يؤمن له تحقيق الاهداف التي اسس علاقته من
اجلها ، ومن ثم قيامه بتنفيذ ما يعهد اليه من مهمة بحرية تامة ، وهذا

٣١ - د جلال ثروت ود . محمد زكي ابو عامر، المرجع السابق ص ٦٧

لا يتحقق بالطبع الا اذا كسب الملاحظ ثقة الجماعة الكاملة ، وبهذه الوسيلة يتمكن الملاحظ من الوقوف على جميع الحقائق (٣٢) والامور بصورة اكثر صدقا و يقينا من اجل الوصول الى الحقيقة التي هي دائما ضالة الباحث المخلص ، ورغم ما يتمتع به هذا النوع من الملاحظة من مزايا فأن المهمة التي يقوم بها الملاحظ كانت عرضه للانتقادات ومن اهمها : -
١ - ان دور الملاحظ لا يعتمد فهم ودراسة صورته معينه من النشاط الفردي فقط .

٢ - ان التعاون الذي يبديه الملاحظ يبقى قاصرا على بعض افراد الجماعة وليس جميعهم ومن شأن هذين المأخذين أنهما يحولان دون قيام الملاحظ بمراقبة بقية الصو الاخرى من النشاط او شمول تعاونه الجميع افراد الجماعة ماينجم عنه مساس بالاهداف المرجوه من الملاحظه .

اما بصدد تقييم الملاحظه بالمشاركة كطريقة للبحث العلمي ، فلايد من الاشارة الى الصعوبات الكثيرة التي تبرز عند تطبيقها ، فالشخص القائم بالملاحظه من اجل ان ينجح في ادائه لدوره على افضل وجه لايد من اداء هذا الدور مع بقية زملائه ، وهذا من شأنه ان يؤدي الى ارتكابه جريمة ، اما اذا اراد ان يوقف نشاطه الى حد ارتكاب الجريمة فهذا من شأنه ان يفشل المهمة التي قام بها الملاحظ مع هذه الجماعة سواء بانكشاف امره زديهم او صعوبة حصوله على جميع الحقائق التي تسهل له تحليل انظاهره محل البحث تحليلا دقيقا (٣٣) اضافة الى ان نطاق هذه الملاحظة يكون مقتصر على انواع محددة من النشاط الاجرامي كجرائم مخالفة التسعيرة وجرائم تهريب

٣٢ - د محمد خلف ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .

٣٣ - د يسر انور علي ود امال عبد الرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، د جلال ثروت ود محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ص ٦٨ .

المخدرات المرتكبه من قبل افراد ينتمون الى عصابات دوائية ، لان دور الملاحظ يقتصر على الكشف عن الجريمة دون ان يساهم في تكوينها وبعد ان تفترض المقدرة والقابلية لدى الملاحظ في تأدية الدور المرسوم له كمجرم دون ان ينكشف امره (٣٤) *

ومهما كانت الصعوبات القائمة عند تطبيق هذا الاسلوب الا ان لهذا الاسلوب اهميته وفاعليته اذا طبق كما ينبغي ، فالمجرمين لا يتصرفون التصرف الطبيعي عندما يكونون في دوائر الشرطة ودوائر القضاء والمؤسسات العقابية فاذا ما اريد فهمهم على حقيقتهم فان المنطق السليم يقضي دراسة حياتهم الاجرامية خارج هذه المؤسسات والدوائر ، وهذا يتطلب من الباحث ان يعيش مع المجرمين كل ظروفهم كأن يكون احدهم ويشاركهم في افراحهم واحزانهم ، وهذا هو الاسلوب الصحيح الذي يمكن بموجبه للباحث من ان يفهم حقيقة الشخصية الاجرامية وتمييز مدى خطورتها وبالتالي نجاحه في الحصول على جملة ملاحظات عن المواقف والاجراءات التي يتخذها القيام بها بغير اتباع هذا الاسلوب ، وهذا يعني ان هذه الدراسة ستشمل بالاضافة الى المجرمين المقبوض عليهم ، مجموعة لا يستهان بها من المجرمين مازالوا فارين من العدالة وخارج قبضتها ، والذين يمثلون نموذجا جيدا للدراسة في هذا الصدد لانهم يمارسون نشاطهم الطبيعي بكل حرية وبدون تصنع كما لو كانوا امام الجهات الرسمية *

ب - الملاحظة بدون مشاركة :

وتتحقق بمصارحة الملاحظ لافراد المجموعة محل بحثه ودراسته بطبيعة دورة وحقيقته ، دون ان يقوم باى نشاط مع افراد هذه المجموعة وانما يكتفي بتكوين علاقات متينة معهم ، وما من شك في ان هذا الاسلوب

٣٤ - د عبد الفتاح الصيفي ، علم الاجرام المرجع السابق ص ٤٤ و٤٥ *

يتيح للملاحظ حرية في العمل اوسع من الحرية التي يتيحها الاسلوب السابق اذ ذكر من حيث لقائه بافراد المجموعة وطريقة مشاركته لنشاطاتهم ، اما عن النتائج التي يحصل عليها الملاحظ بهذا الصدد ، فانها تعتمد على مقدار الثقة التي يحصل عليها الملاحظ من الجماعة التي تكون مقترنة بقناعتهم بتأثير وفاعلية المهمة التي يقوم بها والتي يكون لها بالطبع التأثير المباشر على هذه النتائج .

ومزية هذه الطريقة انها تجنب الباحث كثيرا من الاشكالات التي يواجهها عند اختلاطه واندماجه كلياً (٣٥) مع العينة محل البحث ، اضافة الى تمتعه بحرية الحركة والمرونة في التصرف بحيث يستطيع ملاحظة الامور التي تهتمه فقط ، وتشيت البيانات والمعلومات التي يراها جديرة بالتسجيل (٣٦) ، لكن يعيب هذه الطريقة أنها لا تسمح للباحث ان يرى مجريات الامور وتسلسل الحوادث على الطبيعة ، مما يؤثر في دقة وقيمة النتائج التي يحصل عليها (٣٧) .

ثانياً - الملاحظة المنظمة :

وتعتمد على استخدام الالات والوسائل التي تعاون الملاحظ في الوصول الى الحقيقة العلمية ، كالاستمارات والاختبارات واجهزة التصوير والتسجيل والمقاييس والتحاليل الطبية ، وبهذا الصدد فقد ذكر العلماء ان الملاحظة المنظمة تتكون من عنصرين متكاملين : -

-
- ٣٥ - د محمد خلف ، المرجع السابق ، ص ٧١ .
٣٦ - د يسر انور علي ود . آمال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ١٠٧ .
٣٧ - د جلال ثروت ود . محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .

العنصر الاول :

هو الجهد الفكرى الذى يبذله الباحث من اجل تجميع وتنسيق المعلومات وتحليلها .

العنصر الثانى :

هو استعانة الباحث بالالات والاجهزة والوسائل التى تتلائم مع طبيعة الظاهرة ، ومما لا ريب فيه ان استخدام الات والاجهزة المشار اليها له اهمية كبيرة في نطاق المنهج العلمى التجريبي ، وقد اشاد الاستاذ كلود برنار بهذا الاسلوب قائلاً : انى اعتقد ان الكشف عن اداة جديدة للملاحظة والتجربة للعلوم التجريبية الناشئة اكثر فائدة من عدة ابحاث نظرية (٣٨) .

وقد توصل العلم الحديث الى مجموعة متطورة من الات والاجهزة والتي من شأنها تسهيل المشاهدة الدقيقة للظاهرة محل الدراسة كاجهزة الرادار التى تراقب وتسجل كل ما يدور في المكان المراد مراقبته او اجهزة المراقبة الدقيقة التى تقوم بتسجيل الحوادث الجنائية بشكل يمكن معه الاستفادة منها في تحليل المعلومات وتنسيقها ومن ثم تفسيرها وصولاً الى الحقيقة التى ينشدها الملاحظ .

المطلب الخامس

(المقارنة)

ويقصد بها : اجراء مقارنة بين المميزات الخاصة للمجرمين والظروف التى عاشوا فيها ، وبين ميزات الاشخاص العاديين والظروف المحيطة بهم (٣٩) وتبدو اهمية هذه الطريقة في انه يمكن من خلالها استنباط القواعد

٣٨ - د عبد الفتاح الصيقي ، علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٤٧

٣٩ - د . عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ، ص ٩١ .

العامّة التي تحكم ظاهرة الجريمة وغيرها من الظواهر الاجتماعيّة ، وينبغي على الباحث في هذا الميدان ان يقارن الظروف المتصلة بالظاهرة الاجرامية من اجل استنتاج الخصائص او الظروف او العوامل المتقابلة والمتنافرة (٤٠) التي تحكم الظاهرة محل الدراسة ، وفي نطاق الدراسات الاجرامية نستطيع بالمقارنة الوقوف على العلاقة الطردية او العكسية بين ظاهرة الجريمة وبين الظروف المحيطة بالجرمين ، من اجل الوصول الى تفسير علمي يقيم الدور الذي تلعبه الظروف المذكورة في احداث الظاهرة الاجرامية (٤١) وقد استخدمت الاختبارات الشخصية لتحديد نسبة الاضطرابات العاطفية بين المجرمين وغير المجرمين ، وعلاقة هذه الاضطرابات بالجريمة ، ودراسة العلاقة بين الجريمة وبين الاشخاص الذين نشأوا في اسر مفككة بسبب وفاة المعيل او بسبب الطلاق مقارنة بعدد الاشخاص الذين يحترمون القانون نشأوا في مثل هذه الاسر ودراسة العلاقة بين الجريمة وبين الاصل والسنن والجنس والشقافة (٤٢) .

وقد وضع الاستاذ شارلس كورنك اسلوب هذه الطريقة بقوله : ان علمنا مقترنا بالطبيعة المتغيرة الكل روح انسانية كذلك بالتنوع والتداخل لكل المؤثرات والدوافع الانسانية ، وترسم وسائل هذا العلم الخطوط العريضة السمات او العلامات غير الكاملة لصورة الكائن الحي ، وفي اسلوب اكثر دقة ، اننا نحاول ان نقدر الحصيلة النهائية لقيمة واتجاه المؤثرات والميول العامة الخفية وغير الملموسة وفي اثرها لدى الافراد ، والتي لا يمكن ان تقاس او تقوم بدراسة الافراد انفسهم ، ولكنها بعملياتها وتأثيرها على نطاق واسع وفي قلوب كل الناس توصل الى نتائج لا يمكن تجنبها ولا تصيح محسوسه ومرئية ولكنها لادق تعريف ومقياس .

- ٤٠ - د مأمون محمد سلامة ، المرجع السابق ص ٩١ .
٤١ - د حسنين ابراهيم صالح عبيد ، المرجع السابق ص ٢٤ .
٤٢ - د عبد الفتاح الصيفي ، المرجع السابق ص ٥٠ و ٥١ .

تقسيم المقارنات :

١ - مزايا طريقة المقارنة

تعد هذه الطريقة من الطرق الناجعة في علم الاجرام ، فهي كفيلة بالتوصل الى نتائج علمية ، وكما يصرى البعض (٣٤) ، فإن تجاهل هذه الوسيلة من شأنه ان تكون النتائج المترتبة عليها معاطة بالاختفاء ومتصفه بالسطحية ، ومن امثلة ذلك مقارنة السلوك الاجرامي في بيئة صناعيه مع بيئة زراعية ، او المقارنة المعتمدة على الاحصاءات الجنائية بين حركته الظاهرة الاجرامية وبين حركته العوامل الاجتماعية وما يرافقتها من تغيير وتطور فبفضل هذه الطريقة يمكن تحديد العلاقة بين الحركتين .

٢ - النقد الموجه الى طريقة المقارنة :

على الرغم مما تتمتع به هذه الطريقة من مزايا الا انها تعرضت السى الكثير من اوجه النقد بالنظر لما يشوبها من نقص والمصعوبات التي تشور عند استخدامها ويمكن تلخيص هذه العيوب فيما يأتي : -

أ - عدم توفر نسبة كافية من المعلومات والدراسات تخص المجرمين يمكن التعويل عليها بصورة عامة ، اما المعلومات والدراسات الخاصة بالمسجونين فانه لايمكن الاعتماد عليها بهذا الصدد ، لان المسجونين لايمثلون كسل المجرمين ، اذ ان هناك كثير منهم مازال خارج السجن .

ب - ان المعلومات الخاصة بالمسجونين لايمكن التسليم بها بصورة مطلقة بل ينبغي ان تمحص وينظر اتيها بشيء من الحذر ، فعلى الرغم من امكان تحديد الظروف الواضحة مثل الاصل والسن والجنس بدرجة مقبولة من الدقة الا انه يتعذر الالمام بالظروف المحيطة بالمسجونين بالدقة المطلوبة

٤٣ - د * محمد خلف ، المرجع السابق ص ٨١ .

كظروف البيت ، او معرفة سلوك واخلاق والديهم دون محاولة القيام بدراسة
البيئة التي نشأ فيها هؤلاء المسجونين قبل دخولهم الى السجن .

ج - عند استخدام هذه الطريقة ينبغي عقد مقارنات بمجموع السكان
ثم بالجماعات الخاصة التي نشأ فيها المسجونين ، ولذا فانه من الاهمية
يمكن ان نفترض ان العينة العامة للسكان لاتشمل الا غير المجرمين ، وانه
لا يوجد بينها اشخاص انتهكوا احكام القاتون الجنائي واخلوا بقواعده ، ولم
ينكشف امرهم ، وهو افتراض غير مضمون العواقب .

د - صعوبة الوصول الى فهم وتحليل كل الخصائص والظروف وانما يمكن
من تفهم بعضها . ولذا فان هذه الطريقة تبقى عاجزة عن تحديد سببها
واضحاً للظاهرة الجرمية ، وبالتالي لانتمكن من تفسير الالية التي ينتج
عنها السلوك الاجرامي . فالملحوظ مثلا ان هناك علاقة وثيقة بين اجرام
الاحداث وبين سكر والديهم . الا ان الذي نود التوصل اليه هو : هل ان
سبب هذه العلاقة هو عيب طبيعي في التكوين العضوي بسبب «سكر الوالد
او ان الانحراف بسببه حرمان الحدث من الحصول على مستلزمات الحياة
الضرورية بسبب اسراف والده المادي وعدم تخصيص جزء من دخله لتلبية
متطلباته وما يترتب على ذلك من نتائج سلبية . باعتبارها ان الطفل او
الحدث لا يقدر الظروف عندما يريد الحصول على شيء خاصة اذا وجدوا اياه
ثم يهتم بطلباته وانه يبذر النقود في امور تافهة وغير اخلاقية ، او قد
يكون سبب الانحراف هو ما يتمثله في ابيه من قدوة سيئة ، تعجز عن القيام
بدورها في تنشئة الابن النشأة الصالحة .

www.alkottob.com

المبحث الثاني

طرق البحث الفردية

تعد هذه الطرق من طرق المنهج العلمي التجريبي في ميدان دراسة وتحليل الظاهرة الاجرامية ، وهدفها البحث عن العوامل الدافعة الى الجريمة بالنسبة لواقعة مادية محددة وشخص معين بذاته ، عن طريق فحص المجرم ودراسة جميع الجوانب المختلفة لشخصيته ، وتشمل النواحي البيولوجية والنفسية والعقلية ، من اجل التوصل الى معرفة ما اذا كان الشخص محل الدراسة ذا تكوين اجرامي ام لا ؟ واذا كان الجواب بالايجاب ، فتستمر الدراسة لمعرفة الكيفية التي تحقق بها هذا التكوين ، لذا يمكن القول ان اساليب البحث الفردية تتولى بالدراسة والبحث (حركية الجريمة) (٤٥) وستنصر كلامنا على اهم هذه الدراسات وهي الدراسة البيولوجية والدراسة النفسية والعقلية .

المطلب الاول

الدراسة البيولوجية

تتمثل هذه الدراسة بالفحص الطبي الشامل للاعضاء الخارجية والاجهزة الداخلية لمجرم معين بذاته ، لملاحظة ما قد يشوبها من نقص او تشويه او خلل يساعد الباحث على تحليل سلوكه الاجرامي (٤٦) ، والبحث في اسباب تكوين هذا السلوك ، والربط بين هذا الخلل وبين هذا التكوين ، وبالإضافة لهذا الفحص فإن الدراسات البيولوجية قد امتدت لتشمل دراسة

٤٥ - د . مأمون محمد سلامة ، المرجع السابق ، ص ٩٣ و ٩٤ .

٤٦ - د . يسر انور علي ود . امال عبد الرحيم عثمان المرجع السابق ص ١١٥ .

تأثير اختلالات الغدد كتأثيرات افرازات الغدد الصماء مثلا على الجهاز العصبي والجهاز النفسي للشخص ، واثرها في سلوكه الاجرامي ، وقد اظهرت الابحاث العلمية انتي اجراها بعض العلماء اهمية الدراسة البيولوجية، وانتي انتهت الى ضرورة الاهتمام بالانثروبولوجيا التفاضلية اذ يمكن بموجبها تقسيم الاشخاص بحسب الاشكال الخارجية لاعضاء الجسم واثر ذلك على تكوينهم النفسي ومشاعرهم واحاسيسهم ، مما يفسر لنا تكوينه الاجرامي في ضوء هذا التقسيم ، اضافة الى اظهار هذه الابحاث لاهمية التكوين النفسي للفرد الذي له صلة وثيقة بافرازات الغدد الصماء وتأثير اختلالاتها على سلوك الفرد وتصرفاته (٤٧) .

وقد استخدم انصار هذه الطريقة الاجهزة العلمية المتطورة في فحص الغدد واجهزة الجسم الداخلية اضافة الى الفحص الطبي الشامل ، كاجهزة الاشعة والتحليل البيوكيميائية وتخطيط الدماغ .

اما عن تاريخ دراسة الاعضاء الخارجية لجسم المجرم فانها تمتد الى زمن بعيد. لكنها لم تتخذ منهجا علميا الا على يد العائمه الايطالي لومبروزو الذي يعتبر اول من ربط تفسير السلوك الاجرامي للفرد بالموامل البيولوجية من خلال نظرتة الى المجرم بوصفه انسان يحمل او صافاً خاصا وستعرض لتفاصيل هذه النظرية في ابواب الثاني من هذا المؤلف .

٤٧٠ د مأمون محمد سلامة، المرجع السابق، ص ٩٤

المطلب الثاني

الدراسة النفسية والعقلية

وقد برزت أهمية هذه الدراسة من خلال ماذهب اليه بعض المتخصصين في علم الاجرام من ان : السلوك الاجرامي سببه خلل في النفس او نقص فسي العقل ، كما ذهب البعض الاخر الى القول بان الجريمة ليست الاحداثا طارئاً ولا تتوقف على تحقيق ظرف من الظروف وبانها امر محيط باعماق النفس لانه السلوك الناشيء عن الصراع الداخلي والتعارض مع قيم المجتمع ومصالحه بسبب فشل الانسان في تحقيق رغباته ومتطلباته الاساسية ، كما ان هناك من يرى بان الجريمة ليست الاعراضا من الاعراض العقلية ، والقد كان من نتائج الربط بين الجوانب النفسية والعقلية للمجرم وبين السلوك الاجرامي ازدهار علم النفس الجنائي الذي يهتم بدراسة الاحوال النفسية للمجرمين وتحديد درجة ذكائهم ومدى الخلل الذي يصيب عواطفهم وغرائزهم كما ذكرنا ، وتعتمد هذه الدراسات على طريقة دراسة حالة مجرم معين بالذات بالشكل الذي تعرضنا له تفصيلا عند دراسة طريقة الحالة .

وقد كان الاسلوب المتبع في الكشف عن نفسية المجرم في المراحل الاولى للدراسات النفسية يتحقق في جمع البيانات والمعلومات عن المجرم بالاستناد على طريقة الاستبيان او المقابلة ثم العمل على تجميعها وتنسيقها لغرض استخلاص العامل اندافع في السلوك الاجرامي ، وقد استخدمت احدث الاجهزة والالات والوسائل الدقيقة في دراسة الظواهر النفسية ورصد الكثير من انفعالات المجرم والعديد من الظواهر النفسية المختلفة بشكل يدعو الى الاطمئنان مجنبا الباحث مواطن الخلل والزلل قدر الامكان ، وبهذا الصدد فقد تم انشاء اول معهد للتجارب النفسية في مدينة لايبزك في المانيا سنة ١٨٧٩ ، ما لبث ان انتشرت ابحاثه في ارجاء المانيا وكثير من البلدان الاوربية

والامريكية ، حيث كان معهدا علميا ناجحا في مجال دراسة السلوك الاجرامي لان نشاطه لم يقتصر على رصد الكثير من الظواهر التي يتعذر مراقبتها بالمشاهدة المجردة بل تعداها الى انشاء وتكوين الظاهرة المرضية نفسها بوسائل مصطنعة في الفعل الطبيعي للانسان تحت الفحص والاختبار والعمل من اكثر هذه الاعراض وضوحا هي الاختلالات المدبرة تحت تأثير التنويم المغناطيسي ، حيث ساعدت هذه التجارب على تفسير الكثير من انظواهر التي يتعذر دراستها باستخدام الوسائل العلمية الطبيعية ، وتستهدف الدراسات النفسية والعقلية فحص مستوى الذكاء والميول والاهواء الغريزية اى الناحية الشعورية والعاطفية ، وتستخدم هذه الوسائل من جهة اخرى لمعالجة المريض نفسيا باساليب حديثة اشهرها : العلاج بالايحاء والعلاج بالتنويم المغناطيسي والعلاج بتفريغ الانفعالات المكظومة والعلاج بالتحليل النفسي (٤٨) .

وكان للفقهاء المسلمين وسائلهم الخاصة في علاج الامراض النفسية التي تتلائم مع النفس واهوائها وافاتها وعللها ، ويمكن القول ان ابرز من استخدم هذه الوسائل في العلاج ابن سينا والغزالي ، اذ عالج الاول كثير من الامراض النفسية بطرق مختلفة ذكرها في كتابه القانون في الطب ، اما الثاني فقد عالج كثير من الدوافع الفطرية والمكتسبة والانفعالات ، ومن اهمها الخوف والغضب بأسلوب يتناسب مع دقتها وعمقها واثرها في السلوك وذلك في كتابه احياء علوم الدين (٤٩) .

٤٨ - المستشار محمد فتحي ، علم النفس الجنائي علما وعملا ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط ٢ ١٩٦٩ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٨ .
٤٩ - أبي حامد الغزالي ، احياء علوم الدين في القاهرة ، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م .

الباب الثاني

النظريات العلمية في تفسير الظاهرة الاجرامية

ثار الجدل بين علماء الاجرام بصدد تفسير الظاهرة الاجرامية ويرجع السبب في ذلك الى ان لنظاهرة الاجرامية ذاتية متشعبة الجوانب ، سواء اكانت ظاهرة في حياة الفرد ام ظاهرة في حياة المجتمع ، فهي كظاهرة فردية تثير دراسات يغلب عليها الطابع البيولوجي والنفسي ، وهي كظاهرة اجتماعية تثير دراسات يغلب عليها انطباع الاجتماعي ، ولذا فقد تعددت تبعا لذلك النظريات التي قيلت بصدد تفسير هذه الظاهرة ، وسنخصص فصلا مستقلا لكل نوع من انواع التفسير للظاهرة المذكورة ، وبضمنها التفسير الذي يغلب عليه الطابع التكاملي اى تفسير الظاهرة الاجرامية من خلال دراسة العوامل الفردية والاجتماعية دون تغليب لدور اى منهما على الاخر .

www.alkottob.com

الفصل الاول

التفسير الفردي للظاهرة الاجرامية

يتضمن هذا التفسير دراسة المظاهر العضوية والنفسية للانسان المجرم ، لذا فان هذا الفصل يتولى مناقشة اهم النظريات العلمية حول تفسير الظاهرة الاجرامية على اساس انها ظاهرة فردية تدخل في مجال الدراسات الانثروبولوجية الجنائية ، الخاصة بدراسة طبائع الانسان المجرم وذلك بالاستناد على التفسيرات البيولوجية والنفسية للجريمة ، ولاهمية هذه التفسيرات فقد اثرنا معالجتها في مبحثين نخصص اولهما للتفسير البيولوجي ونناقش في ثانيها التفسير النفسي .

www.alkottob.com

المبحث الاول

التفسير البيولوجي للظاهرة الاجرامية

يضم التفسير البيولوجي عدد من النظريات البيولوجية التي اهتمت بدراسة المجرم من الناحية التكوينية اى دراسة الظاهرة العضوية له ، ولعدم اتساع المجال لذكر جميع هذه النظريات فاننا سنقتصر على اهم هذه النظريات واشهرها في ميدان الدراسات المتصلة بالسلوك الاجرامي ، وهي نظرية لومبروز ونظرية جورنج ونظرية هوتون ، لذا فقد قسمنا هذا المبحث الى ثلاث مطالب ، خصصنا كل واحد منهما لنظرية من النظريات الثلاث المذكورة -

المطلب الاول

نظرية لومبروزو

الاستاذ سيزارى لومبروزو (١٨٣٥ - ١٩٠٩) هو طبيب الامراض العقلية واستاذ الطب الشرعي والعصبي في الجامعات الايطالية ، اشتغل في بداية عمته طبيبا بالجيش الايطالي خلال الفترة (١٨٥٩ - ١٨٦٢) عين بعدها استاذاً للطب الشرعي بجامعة بافيا ، ومن استاذ لنفس الفرع بجامعة تورينو (١) ، وقد اتاحت له هذه الفرص ان يتجه الى البحث الجنائي ودراسة اسباب الظاهرة الاجرامية بصورة خاصة ، وقد دفعته هذه الرغبة العلمية الى البحث عن اسباب هذه الظاهرة في شخص المجرم ، وخلال عمله في الجيش تحددت المنطلقات الاساسية لفكرته عن دراسة الظاهرة العضوية للمجرمين وابتدأت جهوده العلمية بالتأمل في سلوك بعض الجنود المنحرفين عن طريق فحصهم ودراسة المظاهر العضوية والتكوين الجسماني لهم من اجل التوصل

١ - د . عبد الفتاح الصيفي و د . محمد زكسي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

الى تحديد الخصائص المشتركة بينهم ، ومن ثم مقارنتها مع الخصائص المشتركة للمجنود الاسوياء ، وقد لفت نظر لومبروزو انتشار الرسوم القبيحة والوشم على اجسام الجنود الاشرار ووجود الشذوذ البدني لبعض المجرمين الذين اقترفوا جرائم متسمة بالعنف والقسوة (٢) ، لذا فقد تكونت لديه القناعة بوجود نموذج للانسان المجرم بطبيعته او بالفطره ، وهو انشخص السذى ترشحه منذ ولادته خصائص بيولوجية معينة لان يصبح مجرما ، وذهب الى ان المجرم يتصف ببعض مظاهر الشذوذ في تكوينه الجسماني وقد اطلق عليها علامات الرجعة ، لانها تدل على عدم انسجامه وارتداده الى الانسان البدائي الاول وان هذه العلامات الاجرامية التي يتميز بها هذا المجرم هي نفس الخصائص البيولوجية التي يتصف بها الانسان البدائي ، وقد ضمن لومبروزو هذه النتائج التي توصل اليها كتابة الموسوم : (الانسان المجرم) انصار سنة ١٨٧٦ ، ومن استعراض مجمل الاراء والاستنتاجات التي انتهى اليها في هذا المؤلف يتبين بانها كانت تهدف جميعا الى اثبات الطبيعة الوراثية للجرام ، لان من شأن هذه الطبيعة هو املاء صيغة الجريمة (٣) وبالنظر لتعرض الاراء المذكورة لكثير من اوجه النقد فقد عمد لومبروزو الى تعديل العديد من ارائه في الطبقات الجديدة المعدلة لمؤلفه (الانسان المجرم) والتي اصدرها في سنة ١٨٩٦ وفي سنة ١٨٩٧ .

وبشأن الطبيعة الوراثية للجرام فقد اعاد صياغة هذه الفكرة بقوله : ان اعلامات الارتدادية لا تسبب بمفردها السلوك الاجرامي ، وانما يجب ان تتفاعل مع شخصية من يحملها فيما اذا تهيأت لها الظروف لانتاج السلوك الاجرامي ، وهذا يعني ان لومبروزو تراجع عن راية بصدده قابلية العامل

٢ - د . عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، المرجع السابق ص ٧
B. Di Tullio, Manuel D'anthropologie criminelle, paris
1951. p. 42.

الوراثي في تحقيق الجريمة بمفرده ، لكنه غلب هذا العامل على ماسواه من العوامل الاجرامية الاخرى ، وانتهى بذلك الى النتيجةين الاتيتين : -

١ - ان العلامات الارتدادية تكون موجودة لدى اغلب المجرمين وليس جميعهم ، كما انها يمكن ان تكون موجودة لدى غير المجرمين .

٢ - لا يمكن لعامل الوراثه بمفرده من تحقيق الجريمة ، وانما ينبغي ان تتضافر معه عوامل اخرى يكتسبها الفرد بعد الميلاد(٤) .

وتطبيقا للمنهج التجريبي الذي تبناه لومبروزو وصولا الى اثبات الصفاة العضوية التي تميز بها المجرمون عن غيرهم ، فقد قام بتشريح حوالي ٣٨٣ جمجمة لمجرمين متوفين ، كما قام بفحص عدد اكبر من المجرمين الاحياء يصل الى حوالي ٥٩٠٧ شخصا ، وكان من ثمره هذه الجهود التي بذلها في هذا الاتجاه ترسخ القناعة بديه بتحقيق علامات الرجعة او العلامات الارتدادية لدى بعض المجرمين ، اضافة الى تبنيه لمبدأ الجبرية في اسناد المسؤولية الجنائية دون مبدأ الارادة الحرة ، ومقتضى مبدأ الجبرية هذا هو ان المجرم مسيرا ومجبرا على اقتراف السلوك الاجرامي ، متجاهلا بذلك اي دور للعوامل الاجتماعية في احداث هذا السلوك .

ومن ابرز الحالات التي بحثها لومبروزو ، والتي كان لها من بعد التأثير الواضح على ارائه واستنتاجاته حالة احد المجرمين النخترين يدعى فيللا (Vilea) والذي كان لصا وقاطع طريق ، فقام بفحصه اثناء حياته ثم تولى تشريح جثته بعد وفاته ، وقد وجد نتيجة تشريحه تجويفا في قاع الجمجمة مشابها لما موجود لدى بعض الحيوانات الدنيا كالبقرة والطيور ، كما توصل الى تكوين فكرة عن فللا من خلال هذا الفحص بانته

٤ - د . روف عبيد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٧٩ .

كان شخصا متميزا بخفة غير عادية في حركته كما كان مغرورا بنفسه وحبه
للسخرية والاستهزاء من الآخرين (٥) .

كما تأثر لومبروزو ايضا بالفحص الذي اجراه على مجرم اخر خطير
يدعى فرسيني (Verseni) اعترف بقتله عشرين امرأة بطريقة وحشية
اضافة الى شرب دماء ضحاياه قبل ان يقوم بدفنهن في المكان الذي اختاره
لاخفاء جثثهن وقد تبين له من فحص التكوين البدني لهذا المجرم اتصافه
ببعض الخصائص الجثمانية والتشريحية للانسان البدائي ، ومن الوقائع
الخطيرة التي اهتم بها لومبروزو ايضا جريمة القتل التي اقترفها مسديا
(Misdea) والذي كان جنديا في الجيش الايطالي ومصاب بمرض
الصرع ، وقد اعترف هذه الجريمة بسبب سخرية أحد رؤسائه من مقاطعة
كالابريا التي ينتمي اليها ، حيث كان نهذه السخرية وقعا سينا في نفس
مسديا فما كان من هذا الاخير الا ان انفعل انفعالا شديدا فقد معه اعصابه
وقتل ثمانية من رؤسائه وزملائه ثم سقط مغميا عليه فاقد الوعي لاصابته
بنوبة الصرع التي استمرت اثني عشر ساعة ، ولما افاق من هذه النوبة
فاته لم يتذكر شيئا مما صدر عنه وعن الجريمة التي اقترفها (٦) ، وقد
انتهى لومبروزو عند فحصه الى وصف نوبة الصرع التي اصابت مسديا
بانها وراثية اضافة الى ان سلوكه كان متسما بالوحشية والحيوانية ، وحينئذ
اعلن ان العلاقة بين الاجرام والصرع علاقة وثيقة ، وان المجرم الصرعي
يمكن تصنيفه ضمن فئة المجرمين بالميلاد او بالفطرة .

٥ - د . عبد الصيقي و د . محمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ،
دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية . بدون تاريخ ص ٥٤ و ٥٥ .
و د . عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، المرجع السابق ،
١٩ .

٦ - د رؤوف عبيد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص
٧٩ و ٨٠ و ٨٢ .

وفي بداية الامر قسم لومبروزو المجرمين الى ثلاث فئات هي : المجرم بالفطرة او الميلاذ والمجرم المجنون والمجرم بالمحافظة ثم انتهى به الامر الى تقسيمهم الى خمس فئات ، بعد ان اضاف الى الفئات الثلاث السابقة المجرم بالصدفة والمجرم بالعادة وعلى النحو الاتي : -

اولا - المجرم بالفطرة او الميلاذ :

وهذه هي الفئة المميزه من المجرمين في نظره وانتي كانت محور نظريته وهو الشخص الذى يولد وفي نفسه بذرة الاجرام ، والعلاج الذى اقترحه لومبروزو لهذه الفئة من المجرمين يتمثل في الابعاد النهائي الى محل ناء ليكون المجتمع في مأمن على كيانه واحتجازه احتجازا مؤبدا أو عزله في مكان ما مع فرض اشد الرقابة عليه والافضل في نظر لومبروزو ان يقتل لانه لا سبيل للوقاية من شروره الا بهذا الاسلوب ، ويتميز المجرم بالفطرة عن الانسان العادى بمظاهر شذوذ بدنيه تظهر في ملامحه من اهمها : -

- ١ - عدم انتظام الجمجمة وصغر حجمها *
 - ٢ - بروز عظام الوجنتين وضخامة ابعاد الفك *
 - ٣ - شذوذ في حجم الاذنين *
 - ٤ - عدم انتظام وتشابه نصفي الوجه
 - ٥ - ضخامة الشفتين وبروزهما
 - ٦ - الطول المفرط للذراعين *
 - ٧ - غزارة شعر الرأس والجسم وجفافها *
- كما يتميز هذا الشخص بصفات نفسيه مختلفة ، مما هو موجود لدى الانسان العادى تبدو في : -

- ١ - القسوة الجالفة وعنف المزاج وحب الشر .
 - ٢ - انعدام الاحساس بالألم وميله الى الوشم .
 - ٣ - اللامبالاة وعدم الشعور بتأنيب الضمير وعدم الحياء .
- ثانيا - المجرم المجنون :

وهو الشخص الذى اصبحت حالته خطيره بسبب الجنون ، اذ لولا انجنون لما كانت هذه الخطوره ، فالجنون حالة سابقة على حالة الخطورة لانه يفقد بسبب الجنون ملكة التمييز بين الخير والشر ، ولو انه يشبه في سلوكه وتصرفاته المجرم بالميلاد الى حد ما ، الا ان حالة هذا الشخص حاله مرضية تستدعي معالجته عن طريق وضعه في مصحح او مأوى علاجي معمد لهذا الغرض ليؤمن شره ويشفى من مرضه ان امكن واذا تعذر معالجته من هذا المرض فالأفضل استئصاله من المجتمع وتخليص المجتمع من شره .

وقد قسم لومبروزو هذه الفئة من المجرمين الى ثلاث طوائف هي :

١ - المجرم المجنون :

وهو الشخص المصاب بنقص في عقله ، ويدخل ضمن هذه الطائفة حالات انفصام الشخصية (الشيزوفرينيا) و جنون العقائد الوهمية (البرانويا) .

٢ - المجرم الصرعي :

وهو الشخص المصاب بمرض الصرع الوراثي غالبا ، والذي يتحول الى مرض عقدي متى ما تفاقم لديه المرض او ازداد مضاعفاته ، وفي هذه الحالة يصنف كمجرم مجنون وليس كمجرم صرعي .

٣ - المجرم السيكيوباتي :

وهو الشخص المصاب بخلل او شذوذ يصيب قواه النفسيه فيؤدى الى

انحراف نشاطها عن السير الطبيعي ، وتعتبر حالة المجرم السيكوباتي من اهم حالات التخلف النفسي التي لها علاقة وثيقة بالسلوك الاجرامي ومن اهم ما يتميز به هذا المريض هو عجزه عن التحكم في غرائزه .

ثالثا - المجرم بالمطرفة :

وهو الشخص الذي يتميز بحساسية خاصة تجعله يتأثر بسرعة يخضع للانفعالات والعواطف المختلفة فيندفع نحو ارتكاب الجريمة دون سبق اصرار أو عزم وتصميم . وبعد ذلك يرجع الى مزاجه الاعتيادي وحالته الطبيعية فيشعر بتأنيب الضمير ، والصفة الغالبة لجرائم هذه الفئة هي جرائم الاعتداء على الاشخاص والجرائم السياسية ، لان المجرم المذكور سريع الندم بعد ارتكابه للجريمة فانه ليس هناك فائدة مرجوه من عقابه لذا يفضل لومبروزو عدم اخضاعه لعقوبة قد تفسده وتجعل منه مجرما بالمادة ، ومن المفضل ابعاده عن الوسط الذي ارتكب فيه الجريمة والزامه بتمويض الضرر الذي تسبب فيه ان كان كبيرا او عدم تنفيذ الحكم ضده ، لان وقف تنفيذ الحكم قد يحثه على التوبة ويسرع في تحقيقها .

رابعا - المجرم بالمعادة :

وهو الذي لا يولد مجرما بانوراثة ، وهذا يعني عدم تحقق علامات الرجعة لديه ، الا انه يكتسب الاجرام من محيطه ويعتاد على ارتكاب الجرائم بتأثير الظروف الاجتماعية ، والصفة الغالبة للجرائم هذه الفئة هي جرائم الاعتداء على الاموال وخاصة جرائم السرقة (٧) ، لذا ينبغي العناية بهذا المجرم من خلال فرض الرقابة المقرونة بالتوجيه والارشاد وتنسيب اعمال مناسبة له بحسب ملكاته الذهنية وقدراته البدنية لمدة زمنية غير

٧ - د . عمر السعيد، رمضان المرجع السابق ، ص ٢٠ .

محددة تنتهي هذه المدة بزاول الحالة الخطرة وتحقق صلاحه ، واذا اقتضى الامر يمكن عزله عن المجتمع ليؤمن شره .

خامسا - المجرم بالصدفة :

وهو الشخص الذي لا يتوفر به الميل الاصيل للجرام ، الا انه يتميز بضعف الوازع الخلقي بحيث يتأثر بسرعة الممتغيرات الخارجية فيعجز عن تقدير نتائج اعماله وتصرفاته ، لذا يرتكب الجريمة بدافع حب الظهور او التقليد والجزاء المناسب لمثل هؤلاء المجرمين لا يتحقق بتطبيق العقوبة لانها يمكن ان تؤثر في سلوكه من خلال اختلاطه بغيره من المجرمين ، ويفضل ابعاده عن محيطه وايداعه في مجتمعات زراعية او صناعية لمدة زمنية غير محددة ، تكون مرتبطة بتحسن حالته مع الزامه بتعويض الضرر الذي احدثه (٨) .

تقسيم نظرية لومبروزو :

اولا - مزايا نظرية لومبروزو :

لا ريب في ان الاستاذ لومبروزو قد انتهج اسلوبا جديدا في الدراسة والبحث من خلال اهتمامه بدراسة المجرم من الناحية التكوينية وصولا الى العوامل الداخلية التي دفعته الى اقتراف السلوك الاجرامي ، وقد كان لهذه المبادرة الفضل الاكبر في تمهيد الطريق امام البحوث والدراسات الخاصة بتحليل الظاهرة الاجرامية وخاصة استعمانه بالوسائل التجريبية بهذا الصدد مما ترتب عليه ظهور علم الانثروبولوجيا الجنائية بهذا الشكل واهتمامه بدراسة المظاهر العضوية والنفسية للانسان المجرم ، حيث اصبح الان احد الفروع الرئيسية لعلم الاجرام وله الفضل في استخدام اسلوب المقارنة الاحصائية بين المجرمين وغيرهم عنى الرغم من انه لم يكن مختصا بعلم الاجزاء وبذا فانه فتح المجال امام غيره من المختصين والباحثين والخبراء

٨ - د . رؤوف عبيد ، المرجع السابق ، ص ٨٠ - ٨٣

للقيام بدراسات علمية جادة تعتمد الاحصاء اساسا من اجل التوصل الى معرفة الاختلافات البيولوجية بين المجرمين وغيرهم (٩) .

ويمكن القول ايضا بان الاسلوب الذي انتهجه لومبروزو كان متمسما بالابتكار منهجا وصياغة ، فمن حيث المنهج قام بنقل المنهج العلمي التجريبي من العلوم الطبيعية الى ميدان العلوم الجنائية رغم ما فيه من صعوبة اما من حيث الصياغة فانه نجح في صهر اراء كل العلماء والباحثين الذين سبقوه ومن ثم اعادة صياغة اراءهم باسلوب جديد ضمنه ثمرة تجاربه واستنتاجاته التي توصل اليها ، كما اثرت نظريته بالسياسة الجنائية التي كانت مطبقة في زمانه فاعتمدت الكثير من ارائه (١٠) وخاصة المتعلقة بفئة المجرمين بالولادة والتي يخضع المجرم فيها للميل الاجرامي . هذا الميل الذي يدفعه لاقتراف الجريمة مع عجزه عن مقارنفة هذا الميل الذي يخضع له ويؤثر في سلوكه وافعاله .

ثانيا : نقد نظرية لومبروزو

رغم المزايا التي اتسمت بها نظرية لومبروزو التي سبق الاشارة اليها اهمها ، الا انها تعرضت لانتقادات كثيرة من حيث منهجها ومن حيث مضمونها ، وسنعرض الان اهم اوجه النقد الموجه اليها من قبلنا او قبل الباحثين الاخرين .

١ - نقد المنهج العلمي الذي استخدمه لومبروزو : وسوف نجمل نقدنا هذا بالشقرتين الاتيتين :

٥ - د . د . عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ص ٢٠ .

Ernst Seeling, Traite de criminologie.
1956, p. 30.

أ - اكتفى لومبروزو في تفسير للسلوك الاجرامي على دراسة الناحية التكوينية للمجرمين فقط في حين ان هذا التفسير قاصر بطبيعته عن الاحاطه بالسلوك الانساني ، في مفهومه الواسع ، فالفحص الذي اجراه على اجساد المجرمين والتشريح الذي قام به لجثث المجرمين لم يُمكن لومبروزو من الاطلاع على كل الخصائص البيولوجية لجميع الافراد سواء كانوا مجرمين أم غير مجرمين ، لان اسلوب المقارنة الصحيحة يقتضي مثل هذه المقارنة . ورغم ان اساس نظريته قائمة على الفحص والتشريح الا انه لم يثبت من الناحية العلمية صدق النظرية اللومبروزية بهذا الصدد ، اذ لم تتجلى العلامات التي ادعى لومبروزو انها علامات تميز المجرمين دون سواهم رغم الفحص والتشريح الذي شمل الاف الاجساد والجثث من بعده .

ب - ان الخصائص البيولوجية والنفسية التي حددها لومبروزو والتي اعتبرها اساساً لتمييز المجرم عن غيره ، من شأنها ان تنسحب الى نفس هذا المجرم ، ووفقاً لمنطق نظريته يجب معاملة هذا الانسان معاملة المجرمين حتى وان لم يقترب السلوك الاجرامي ، ان مثل هذا الرأي لا يمكن التسليم به بالنظر لصعوبة الاحاطه بالنفس الانسانية بمثل هذه البساطه التي تصورها لومبروزو ، والبحث العلمي مازالت وسائله عاجزه عن سبر اعماق النفس وكوامنها الخفيه فالخطورة الاجرامية لا تكمن في المظهر الخارجي للانسان ولكنها تكمن في اعماق النفس ، اذ الجريمة تقترب بالنفس قبل ان تقترب بانجوارح . لذا فان الوسائل العلمية لم تتمكن لحد الان من الكشف عن مجاهل النفس الانسانية فما الذي حدا بلومبروزو لان يكون متفائلاً لهذا الحد في الحكم على مكونات النفس من خلال المظهر الخارجي لجسم الانسان ، فالنفس الانسانية تكون عالماً قائماً بذاته يضم مجموعة غير متناهيه من المشاعر والاحاسيس والدوافع التي تقباين ايس من شخص لآخر فحسب

ولكن في النفس الانسانية الواحدة وخلال فترات زمنية مختلفة قد لا تتجاوز في بعض الاحيان بضع لحظات وتبعا للحالة النفسية والظروف التي تحيط بذلك الانسان .

٢. - نقد مضمون اراء لومبروزو :

وسوف نجمل نقدنا هذا بالفقرتين الاتيتين :

أ - لم يثبت علميا توافر علامات الرجعة او الارتداد لدى الانسان البدائي ، وما يصاحبها من ميل طبيعي الى اقرار الجريمة ، وبتقديرنا انه غاية في التجني اتهام الانسام الفطري بالاجرام ، ومن خلال استعراضنا لسلوك الكثير من الجماعات والقبائل البدائية لم نلمس تأصل الروح الاجرامية لديهم بل على العكس يشهد سلوكها على براءتها ، ومن تحليل اول جريمة قتل وقعت في التاريخ يمكن ان نستدل على نبل الانسان وطهارته ، لان قابيل حين عزم قتل اخيه هابيل لم يقاومه الاخير بل اشر ان يكون مقتولا لا قاتلا ، وان انتصار الشر في هذه الحالة لا يدل على ان الانسان القديم شيرا بانفطره ، قال الله تعالى وهو اصدق القائلين (واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال : لاقتلنك قال : انما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك ، اني اخاف الله رب العالمين ، اني اريد ان تبوء بأثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل اخيه ، فقتله فاصبح من الخاسرين)) * وفي هذا يقول المفسرون رحمهم الله (ان هذه القصة تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة ونموذجا من الطيبة والوداعة ، كما تقدم نموذجا لطبيعة اشر و العدوان وتضعها وجها لوجه ، كل منهما يتصرف وفق طبيعته ، وكل ما يمكن قواه

* سورة المائدة ، الايات ٢٧ - ٣٠ .

بهذا الصدد هو ان هذا الحادث وقع في فترة طفوانة الانسانية ، ومع ذلك فان الانسان البدائي والمتحضر قد يسلك كل منهما طريق الشر والجريمة *

ب - لا يمكن التسليم بوراثية الاجرام . وما يترتب على هذا الرأى من نتائج ، وقد استنبطنا ذلك من قوله تعالى (ونفس وما سواها فالفهما فجورها وتقواها) * وهذا يدل على الانسان يمكن ان ينهج نهج الخير ويمكن ان ينهج نهج الشر سواء اكان سلوكه فطريا او مكتسبا ، لذا فان من غير المقبول علميا ومنطقيا القول بوجود مجرم بالفطره او بالولادة وهو الشخص الذى يولد وفي نفسه بذرة الاجرام ، فعلميا لم يثبت حتى الان قابلية الصبغيات (وهي التي تحمل الخصائص الوراثية) على نقل خصائص اجرامية او سلوك منحرف من السلف الى الخلف لان السلوك لا يمكن ان يورث اما من الناحية المنطقية فان دراسة التاريخ القديم والحديث تدل على خلاف هذا الرأى ، وما قصة نوح عليه السلام مع ابنه والمجاورة التي جرت بين ابراهيم الخليل عليه السلام مع ابيه ببيعه عنا بالشكل الذى ورد في القرآن الكريم ، وكذا فان في واقعنا المعاصر ما يدل على خلاف الرأى القائل بوراثية السلوك الاجرامي ، ولذا فان الاجساد التي افترض فيها الومبروزو انها تحمل بذور الجريمة غير موجودة ، حقيقته ، فكما سبق ان بينا بان الانفس والارواح هي التي تنهج منهج الخير او الشر ، وان سبب اختيارهما لاي المسلكين لا يكون بسبب الفطره او الطبيعه لان ذلك يعنى الجبرية ، ولو سلمنا بفطرية الاجرام لكان من الظلم ان يعاقب الانسان على فعل مجبر على ارتكابه ، والصحيح هو ان الانسان مخيرا في سلوكه وليس مسيرا *

* سورة الشمس ، الايتان ٧ و ٨ .

المطلب الثاني

نظرية جورنج

الدكتور شارلس جورنج (Gharles Goring) طبيب بريطاني الاصل اتاحت له خدمته في السجنون البريطانية فرصة ملائمة قام خلالها باجراء الدراسات والابحوث التي مثلت الاساس الذي قامت عليه نظريته ، حيث ابتداءً منذ سنة ١٩٠١ باجراء دراسات احصائية بمقارنة استمرت ثمانى سنوات لفحص عينه شملت (٣٠٠٠) من المجرمين المحكوم عليهم وشملت المجموعة الضابطة عينه تضم عدد كبير من طلاب الجامعات والمعاهد وخاصة طلبة جامعتي كامبرج وأكسفورد ، ومجموعة من الضباط في الجيش البريطاني وبعض العاملين المدنيين فيه وخاصة للمهندسين ، وعدد من المرضى الراقدين في المستشفيات البريطانية (١١) وكان يهدف من وراء هذه الدراسة التحقق والتيقن من صحة الفكرة التي انتهى اليها الاستاذ لومبروزو بشأن تحقق علامات الرجعة او الارتداد لدى بعض المجرمين الى عدة طوائف وذلك بحسب نوع الجريمة المقترفة، ثم قام بفحص ملامح طوائف المجرمين جميعا وقياس اعضائهم وتكوينها من اجل مقارنتها بالصفات والخصائص التي تقابلها لدى غير المجرمين ، وعند انتهائه من هذه الدراسة المقارنة توصل الى عدة نتائج اهمها : عدم وجود علامات او اوصاف تميز مجرمي كل طائفة عن الطائفة الاخرى ، او تميز المجرمين عموما عن غيرهم وعدم وجود اى شذوذ في الملامح الخارجية التي تميز المجرم عن غيره ، الا انه بالرغم من ذلك فإن المجرمين يتميزون عموما عن غيرهم بنقص في الوزن يتراوح بين ثلاثة الى سبعة أرطال ، وقصر في القامة يتراوح بين بوصة الى بوصتين ، وان

١١ - د . عبد الفتاح الصيفي ، د . محمد زكي ابو عامر ، علم الاجسام والعقاب ، المرجع السابق ص ٦٣ .

هذا النقص البدني له اهميته لانه يمثل في نظر الاستاذ جورنج انحاط عام موروث لدى المجرمين يكمن فيه الميل الى الجريمة ، وهو يظهر في صفاتهم وفي قياس مستواهم العقلي وان للوراثة دور كبير في ذلك (١٢) .

المزايا :

تميزت النتائج التي انتهى اليها الاستاذ جورنج بالاهمية ، خاصة بالنسبة لفكرة النمط الاجرامي التي نادى بها لومبروزو وماألت اليه من نبتة لهذه الفكرة من قبل علماء الاجرام ، فضلا عن الجهود التي بذلها خلال قيامة بالدراسة الاحصائية التي استغرقت ثماني سنوات وما اتسمت به من دقة في العمل وحرص وتصميم بالفين على النتائج المتوخاة .

الانتقادات :

ذكر الاستاذ جورنج في نظريته بان النقص البدني الذي يتميز به المجرمون عن غيرهم يمثل دليلا على تحقق انحطاط عام موروث لدى المجرمين ، ثم انتهى الى تفنييب عامل الوراثة في السلوك الاجرامي على بقية العوامل الاجرامية الاخرى ، ولم تسلم هذه الاراء والاستنتاجات من النقد العلمي ، حيث وجهت اليها مأخذ عديدة انصبت على الطريقة التي انتهجها جورنج والادلة التي استند اليها في اثبات وراثية الاجرام ، ونذكر فيما يلي اهم هذه الانتقادات :

١ - اقتصرت الدراسة الاحصائية التي قام بها جورنج على الذكور دون الاناث ، وهذا يعني من الناحية المنطقية ان النتائج التي انتهى اليها تنطبق على الذكور فقط . الا انه ورغم ذلك ذكر بيان نسبة المجرمين

١٢ . د . يسر انور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ٧ .

الاناث من الاخوات الى نسبة الذكور من الاخوة هي ٦ الى ١٥٢ ، وهذا رأي لايمكن التسليم به وفقا لمنطلقات نظريته ، فالمفروض ان الميل الى الجريمة يورث بنفس النسبة التي تورث فيها الخصائص البيولوجية الاخرى وليس هناك مايدعو لان يختلف هذا الميل من الذكور الى الاناث . (١٣)

٢ - بالغ جورنج في اظهار دور عامل الوراثة من خلال دراسته لتأثير بعض العوامل البيئية الاخرى على السلوك الاجرامي ، فقد اظهر مثلا : ضارة تأثير البيئة على الكفاءة العقلية ، اضافة الى ان دراسته قد تناولت بعض العوامل البيئية فقط ، وكان الاجدر به ان يبحث في تأثير اهمية العوامل البيئية كافة دون ان يقصرها على البعض منها ، كي تكون دراسته الاحصائية المقارنة اقرب الى المنطق العلمي الصحيح .

٣ - ان ما ذهب اليه جورنج من ان النقص البدني الذي يتصف به المجرمون يؤدي بهم الى سلوك طريق غير اجتماعي لفشلهم في تحقيق واشباع حاجاتهم الضرورية بانطرق المشروعة ، وان هذا الرأي غير مقبول لان القوة التي يستخدمها الفرد في تحقيق متطلباته ومستلزماته الضرورية ليست هي القوة البدنية وحدها هذا من جهة ، ومن جهة اخرى لايمكن القول بأن كل من يكون ضخما الجسم يتمتع بقوة بدنية عالية ، كما لايمكن القول بان كل نحيف الجسم لا يتمتع بقدر كاف من القوة لعدم وجود علاقة وثيقة بين القوة البدنية وطبيعة جسم الانسان بدينا كان ام نحيفا .

١٣ - د - عمر السعيد رمضان ، دروس علم الاجرام ، المرجع السابق ص ٢ .

المطلب الثالث

نظرية هوتون

ارنست هوتون (Ernest A. Hooton) اساتذ الانثروبولوجيا بجامعة هارفارد الامريكية ابتداءً هو الاخر القيام بدراسة احصائية موسعة منذ سنة ١٩٣٠ واستمرت حتى ١٩٣٩ ، وكان يبغى من وراء هذه الدراسة تقييم النتائج التي انتهى اليها الاستاذ جورنج في نظريته ، وكان موضوعها مجموعات كبيرة من المجرمين وغير المجرمين تقيم في ثمان ولايات امريكية، وقد راعى في انتقائهم واختيارهم تماثلهم قدر المستطاع من حيث انشوع والظروف الخاصة المحيطة بهم ، فكانت العينه مكونه من ثلاثه عشر الف وثمانمائه وثلاثة وسبعين شخصا (١٣٨٧٣) من المسجونين ونزلاء الاصلاحيات بعضهم من البيض والبعض الاخر من السود وشملت المجموعه الضابطة عينه تضم ثلاثة الاف ومائتين وثلاثة شخصا (٣٢٣٠) انتقاهم من بين طلبة الجامعات والمعاهد ورجال انشوطه ورجال الاطفاء والمرضى الراقدين في المستشفيات وقد كان بعضهم من البيض والبعض الاخر من السود ايضا .

وبعد اتمام الدراسة وبحوثه هذه في سنة ١٩٣٩ اثمرت جهوده بالتوصل الى مجموعه نتائج اهمها : ان المجرمين يختلفون عن غيرهم اختلافا واضحا في مقاسات اجزائهم الجسمانية ، وتبدو لديهم مظاهر الشذوذ البدني التي تكون الى درجة كبيرة متشابهة لعلامات الرجعة او الارتداد التي نادى بها لومبروزو، وانهم يختلفون ايضا في الملامح الخارجيه ويبدو ذلك خصوصا في لون العين وشكل الانف والاذن والشقه والجبهه ، اضافة الى اتصاف المجرمين بانحطاط جسماني حدده بمائه وسبع

صفات ترجسح اساسا الى العوامل الوراثية (١٤) ، وان لهذا الانحاط والشذوذ البدني اهميته البالغة في تبرير السلوك الاجرامي لانه يدل على الانحطاط العقلي .

كما اعطى هوتون في دراسته وابحائه اهمية خاصة للمقارنة بين طوائف المجرمين التي قام بتحديددها بالنظر لنوع الجرائم التي حكموا من اجلها ، وانتهى الى القول بأن كل طائفة تتميز بنوع من الشذوذ البدني تمثل الميل الى ارتكاب نوع معين من الجرائم تختلف عن الجرائم التي يرتكبها مجرم اخر لا يتحقق لديه نفس الشذوذ ، فالقاتل تختلف اوصافه وسماته عن السارق وهو بدوره يختلف عن مرتكب الجرائم المخلة بالشرف ، وضرب امثله لهذه الصور قائلا : ان طول القامة ضعاف الجسم يميلون الى اقتراف جرائم النهب وجرائم القتل ، وان طول القامة ذو الاجسام الضخمة يميلون الى اقتراف جرائم الغش والخداع وان ذوي الاجسام الضخمة قصار القامة يميلون الى اقتراف الجرائم المخلة بالشرف (١٥) .

المزايا

ما من شك في ان لنظرية هوتون موشرا ايجابيا يتضح من خلال الجهود الكبيرة التي بذلها من اجل دراسة وتقييم نظرية جورنج تقييما علميا دقيقا استند فيه الى اسلوب الدراسة الاحصائية التي اجراها والتي شملت مجموعات كبيرة من المجرمين حرص عند القيام بها على تهيئة كافة الاجواء والظروف الالزمة لانجاح دراسة وتحقيق الهدف الذي سعى من اجله طوال

١٤ - د . يسر نور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ٧٦ - ٧٧ د . فوزية عبد الستار مبادئ علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ٤٢ .

١٥ - د . عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، المرجع السابق ص ٢٢ .

تسع سنوات ، بذل خلالها كل ما وسعه جهدا للوصول الى افضل الوسائل
لتشخيص ظاهرة الاجرام والقضاء عليها .

الانتقادات

تعرضت نظرية هوتون لانتقادات عديدة من جانب العلماء اهمها :

١ - لقد اخفق هوتون في استخدام الاسلوب الاحصائي استخداما علميا صحيحا لانه قصر دراسته على السجناء ونزلاء الاصلاحيا فقط على اساس انهم وحدهم يمثلون عينة المجرمين كما اختار في دراسته للمجموعة الضابطة عينة تضم طلبة الجامعات والمعاهد ورجال الشرطة ورجال الاطباء والمرضى في المستشفيات ، حيث افترض فيهم ان يمثلون طائفة غير المجرمين ، في حين ان نسبة التمثيل في كلا المجموعتين لم تصل الى الحد الذى يعتبره المنطق العلمي اساس مقبول للمقارنة .

٢ - لم يستطع هوتون ان يقدم دليلا علميا على ان الانحطاط الجسماني والشذوذ البشري الذى يتميز به المجرمين هو انحطاط موروث ، فقد تكون الوراثة مصدرا لبعض هذه الصفات الا انه من المسلم به علميا ان التأثير الاساسي في نمو جسم الانسان تكون لعوامل التغذية ونظروف بيئيه اخرى .

٣ - ان الطريقة التى استخدمها هوتون في وصفه الطوائف المختلفة للمجرمين وفقا لانواع جرائمهم كانت طريقة بدائية وغير علمية لانه استند في هذا الوصف على نوع الجريمة الاخيرة التى اقترفها هؤلاء المجرمون ، وقد فاته ان يلاحظ ان هناك نسبة كبيرة منهم قد سبق وان اقترف جرائم اخرى قد تكون مختلفة في نوعها تماما عن الجرائم التى وضعوا في السجن من اجلها فان هناك احتمالا كبيرا ان تختلف النتائج التى انتهى اليها ، وهذا كله يزعزع الثقة في قوة الحجج العلمية التى اسند اليها هوتون نظريته (١٦) .

١٦ - د . يسر انور علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب المرجع السابق ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

المبحث الثاني

التفسير النفسي للظاهرة الاجرامية

اتجه بعض العلماء الى تفسير الظاهرة الاجرامية في ضوء النتائج التي تحققت عند دراسة الجوانب النفسية للمجرم ، ويحسن بنا ونحن نحاول الغور في اعماق النفس البشرية وسبر مجاهلها ان نلقي الضوء على فكرة النفس ، وندقق الابحاث والدراسات التي قيلت بصددها ، من اجل اعطاء فكرة واضحة عن الدراسة النفسية ، ليتسنى لنا الربط بينها وبين السلوك الاجرامي ، وقد حاولت مدرسة النفس التقليدية من قبل تفسير الظاهرة الاجرامية عن طريق ربط السلوك الاجرامي بالمتغيرات التي تصيب الجهاز العصبي ، ووفقا لمنطلق هذه المدرسة في التحليل والاستنتاج فانه متى ما تعرض المخ ، وهو المسيطر على الجهاز العصبي ، لاي خلل وبالاخص الخلل الناتج عن التهابات الاغشية ، فقدت المراكز العليا للمخ السيطرة على مركز الانسان وبالتالي تخلص من رقابة هذه المراكز له ، وهذا الخلل يحتمل معه ان يقوم الشخص بارتكاب الفعل المجرم لاتصاف سلوكه بالانانية المفرطة .

وكان المنهج الذي استخدمته هذه المدرسة في البحث قائما على اساس موضوعي محض ، فلسفته عدم التفريق في المقارنة بين الظاهرة النفسية والظروف الخارجية المحيطة بالفرد ، والذي نراه ان هذا المنهج العلمي يمكن ان تنقذه من اوجه شتى من اهمها عدم وجود تناسب بين هذا المنهج باعتبارها منهجا موضوعيا (١٧) وموضوع الدراسة الذي يجب ان يكون شخيصيا لتعلقه بالنفس الانسانية .

١٧ . د عبد الفتاح الصيقي علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٩٢
ود . عبد الفتاح الصيقي ود محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ،
ص ٩٨ .

لذا فان فعوى الاتجاه النفسى فى التفسير العلمى لظاهرة الجريمة هو البحث عن عوامل الجريمة فى شخصية المجرم ، وذلك بتحليل شخصيته تحليليا كاملا ، لاسيما من حيث العوامل الاجتماعية والاضطرابات العاطفية والملل والامراض النفسية والتي يعتبر تحققها نتيجة للتفاعل الاجتماعى اكثر مما هو نتيجة لعوامل الوراثة الطبيعية (١٨) .

ويتضمن الاتجاه النفسى العديد من النظريات التي حاولت اعطاء تفسير للسلوك الاجرامى ، الا ان الطابع الغالب على هذا الاتجاه كان للنظرية العالم النمساوى فرويد فى التحليل النفسى التي تلزم بالرجوع الى نفسية المجرم وتحليل شخصيته تحليليا كاملا بيتدا من مراحل عمره الاولى ويشمل مختلف مراحل حياته ثم البحث فى علاقاته مع الاخرين ، ويسرى فرويد ان من شان هذا التحليل الكشف عن صراعات النفس الداخلية ، ومن ثم انكشف عن العوامل الدفينة للاجرام (١٩) .

وشخصية فرويد التي ترتبط بنظرياته الذائعة صيتا هي من الشخصيات التي لها رنين فى مسامع الباحثين والمتقنين بل ابهرت الكثيرين كما يتجلى من خلال وصف المؤلفين بانه باحث مجدد احدث مدرسة خاصة به ومما زاده اثرا ان هذه المدرسة تشعبت الى شعب شتى لانه احدث تحليلا للنفس ، والنفس مرتبطة بكل فروع الحياة ، علما باننا لسنا مع هؤلاء لان فرويد ابهر معاصريه ، وهو يبهز من لا خلفيه له فى علم النفس الذى

١٨ - سيجموند فرويد مدخل الى التحليل النفسى ، ترجمة جورج طرابلس دار الطليعة بيروت ، ١٩٨٠ ، ط ١ ص ٦٢٥ .

١٩ - ادوين هـ . سذرلاند ورونالد كريسى ، مبادئ علم الاجرام ، ترجمة اللواء محمود السباعى و د . حسن صادق المرصفاوى ، مكتبة الانجلو - مصرية ، القاهرة ١٩٦٨ ص ٧٣ ، د . جلال ثروت ، الظاهرة الاجرامية ، الاسكندرية ١٩٧٢ ، ص ٦٢ ، ٩٥ .

وضع قواعده المفكرون المسلمون ، ولعل من اسباب ائبهار معاصري فرويد انه ابتدع تقسيما جديدا للنفس الانسانية ، فيرى فرويد ان الجهاز النفسي للانسان يتكون من ثلاث اقسام تمثل الجوانب الشهوانية والعقلانية والمثالية للنفس ، وانها في صراع مستمر يتحدد في ضوئه سلوك الانسان ، وكانت الطريقة التي تلقى بها الباحثون من معاصرة مثل هذه الاراء قد منعتهم حتى من مجرد فرض التساؤل عن امكانية اثبات صحته علميا مع ان ما يميزها عن غيرها من الاراء انها ولدت بصفتها ثمره من ثمرات المنهج العلمي التجريبي الذي اتسعت مفاهيمه واهدافه لتشمل الانسان الى جانب علوم الطبيعة .

وهذا البحث الوجيه في تقييم نظرية فرويد يتميز بانه لا يقتصر على تحليل مضمون هذه النظرية فحسب وانما يتضمن ايضا تحليلا علميا مقترنا بالنقد مستخدما نفس الاسلوب العلمي في التحليل عن طريق مقارنة الافكار والاراء التي تضمنتها هذه النظرية مع الافكار والاراء الاخرى في اطار المنهج العلمي التجريبي ذاته والذي استمدت منه هذه النظرية اسلوب عرضها .

وفي ضوء هذا التصور ، فان ادراك الغاية المرجوه يتطلب عرضا لمضمون هذه النظرية من وجهه نظر رائدها وانصاره التزاما بالامانة العلمية التي تقتضيها طبيعة الاسلوب العلمي في التفكير والتحليل ، ثم محاولة لتقدير هذا المضمون ، وهذا ما يمكن تحقيقه في مطلبين ، اعرض في اولهما مفهوم السلوك الاجرامسي عند فرويد ، واتناول في ثانيهما تقييم هذا المفهوم .

المطلب الاول

مفهوم السلوك الاجرامي عند فرويد (٢٠)

صاحب هذه النظرية العالم النمساوي سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) طبيب اشتغل بدراسة علم الاعصاب ، واصبح مساعد لارنست بروك الذى كان مديرا لمختبر الفلسلجه (علم وظائف الاعضاء) في جامعة فيينا اشتغل في سنة ١٨٨٢ طبيبا في المستشفى الرئيسي بفيينا واستمر يواصل ابحائه ودراساته في تشريح الجهاز العصبي الى جانب عمله السريرى كطبيب ، من اهم مؤلفاته (الميكانيزم السيكلوجي لظواهر الهستيرية) ، وهو مؤلفه الاول الذى نشره سنة ١٨٩٣ و ((مدخل الى التحليل النفسى)) و ((نظرية الاحلام)) و ((النظرية العامة للامراض العصابية)) و ((محاضرات جديدة في التحليل النفسى)) و ((افكار لازمنة الحرب والموت)) و ((القنق والذات والغرائز)) و ((الاضطراب النفسى في الحياة اليومية)) و ((عسر الحضارة)) .

٢٠ - ولد فرويد يوم ٦ - ٥ - ١٨٥٦ في مدينة فرايبيرج من مقاطعة مورافيا ، وهي مدينة صغيرة تقع حاليا في جيكوسلوفاكيا ، وبعد بلوغه الثالثة من عمره اخذته عائلته الى فيينا والتقى فيها مايقارب من الثمانين عاما ، دخل فرويد مدرسة الطب سنة ١٨٧٣ ، وتسلم الشهادة الطبية من جامعة فيينا سنة ١٨٨١ ، ولما لم يسيطر النازيون على النمسا سنة ١٩٣٧ سافر الى انكلترا ليقتضى بقية حياته هناك حيث توفي في لندن سنة ١٩٣٩ ، كالفن - س . هول ، مبادئ علم النفس الفرويدى تعريف الاستاذ دحام الكيال ، مكتبة النهضة ، بغداد ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ . ط ٢ ، ص ١٠ ، المستشار محمد فتحي ، علم النفس الجنائى علما وعملا ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ ، ط ٤ ، ص ٣٠٠ ، د . مصطفى فهمي ، علم النفس التكنيكي ، مكتبة مصر - فجالة القاهرة ، ١٩٦٧ ص ٢٩١ .

ولذا فقد كان مفهوم السلوك الاجرامي عند فرويد واسما حفل
بالكثير من التفاصيل ، ولكن الذى يهمنا في هذا الصدد ارائه واستنتاجاته
التي استند اليها في تفسير السلوك الاجرامي ، وهذا ما ساحاول ايضاحه في
فروع ثلاث .

الفرع الاول / تحليل فرويد للنفس
الفرع الثاني / اثر الخلل النفسي في السلوك الاجرامي
الفرع الثالث / اثر العقد النفسية في السلوك الاجرامي

الفرع الاول

(تحليل فرويد للنفس)

يقسم فرويد الكيان النفسي الى ثلاثة اقسام :

اولا - القسم الاول : الذات الدنيا (Id) :

وهي الجانب الشهواني من النفس ويضم الاحاسيس والغرائز
والنزعات الفطرية الموروثة التي كان يتصف بها الانسان في العصور
البداية الاولى اى قبل عصر المدنية ، وهي تشمل الغرائز البدنية النازعة
نحو الميول التي لا تتفق مع النظام الاجتماعي المتطور وقيمة السائدة ،
كالاتداء والتعذيب والانتقام والافعال الجنسية المحرمة ، وقد اضطر
الانسان الى كبت هذه الغرائز والنزعات بحكم التربية والتعليم وبالغضوض
لقيم المجتمع وضوابطه الا ان هذه الغرائز والنزعات رغم هذا الكبت فانها
تبقى قابضة في اعماق النفس الانسانية ، غير انها تظهر كلما تهيات لها
الظروف والاحوال الملائمة بشكل صريح او مقنع بحثا عن الفرصة
المؤاتية لتلاشيساع .

وتمثل الاحلام لدى فرويد اهم صور الشكل المقتنع للميول البدائية ويرى انها جميعا تمثل التعبير عن الرغبة المكبوتة في اعماق النفس سواء اكانت تعبر عن الحب ام الكراهية ، فعالة النوم الطبيعي تقدم مثلا رائعا على مرونة الحياة العقلية ، وهي الحالة التي نرغب في تحققها كل ليلة ، ويستطرد فرويد قائلا : -

لقد حرصنا عند رؤيتنا للاحلام ان نعيد على تفسيرها جميعا ، حتى وان كانت هذه الاحلام سيئة ، وقد اكتسبنا عن طريق التجربة اننا كلما نمنا تخلينا جانبنا عن اخلاقياتنا التي اكتسبناها بالكفاح والجهد المتواصل ، بكل سهولة وكاننا نخلع ملابسنا ، لكننا سرعان ما نعود الى ارتدائها مرة اخرى في الوقت الذي نستيقظ فيه من النوم ، وان يكون هذا السلوك منتجا لاي ضرر او خطر فمن يكون في حالة النوم هو مشغول محكوم عليه بالاعجز ، ولذا فاننا نستطيع بواسطة الحلم وحده ان نفسر الارتداد في حياتنا الانفعالية الى احدى المراحل السابقة للمتطور (٢١) .

وبناء على ذلك فانه يمكن اعتبار الحلم موضوعا للتحليل النفسي ، فهو يمثل ظاهرة للحياة النفسية اثناء النوم ، لانه غالبا ما يستيقظ الانسان من النوم بسبب حلم ، وكما انه غالبا ما يكون في حلم عندما يستيقظ من تلقاء نفسه . ولذا يبدو ان الحلم وكأنه حالة وسطية بين النوم واليقظة ، حيث يمثل استجابة لتنبية معكر اوصفو النوم ، وهي النقطة الوحيدة التي يتمكن علم النفس التجريبي من تفسيرها ، على اساس ان الحلم هو ظاهرة نفسية ، لانه لو كان ظاهرة بدنية لما اثار مثل هذا الاهتمام ، ويدلل فرويد على صحة هذا الرأي بالشبه الواضح بين حالة التنويم

٢١ - سيجموند فرويد ، افكار لازمنة الحرب والموت ، ترجمة سمير كرم ، دار الطليعة ١٩٧٧ ، ط ١ ، ص ٢٣ - ٢٤ .

المفناطيسي (الاصطناعي) وحالة النوم الطبيعي التسي هي شرط حدوث
الحنم قائلا : اننا في حالة النوم الطبيعي نصرف اهتمامنا عن العالم باسره ،
ونفس انتصرف نقوم به في حالة النوم الاصطناعي ، لذا فان الموقف
النفسي في كلتا الحالتين متماثل حقا .

والذا فانه يرى في نظرية الاحلام المفتاح الاساسي لتحليل النفسي
الذى يمثل المدخل الطبيعي للمذهب التحليلي برمته (٢٢) .

لذا فان الذات الاندنيا وفقا لتصور فرويد هي العالم الذاتي الحقيقي
الذى يحرص على بلوغ اللذة ، ويتعد عن الالم في الجانب المهم والمتوسع

٢٢ - سيجموند فرويد ، نظرية الاحلام ، ترجمة جورج طرايبشني ، دار
الطلليمة بيروت ، ٩٨٠ ، ط ١ ، ص ٦ ، ١١ ، ٢١ ، ١٧ ، ١٧ ، ٢٧ ،
٣٣ ويروي العلامة ابن سينا في مؤلفه الشفاء في معرض كلامه عن
الاحساسات العضوية الداخلية وتأثيرها في الاحلام : القوة المتخيلة
ليس كل محاكاتها ان يكون لما يفيض في النفس في الملكوت ، بل اكثر
ما يكون ذلك منها انما يكون اذا كانت هذه القوة قد سكتت عن محاكاة
امور هي اقرب اليها ، والامور التي هي اقرب اليها منها طبيعيه ومنها
ارادية ، فالطبيعية هي التي تكون من مازجة قوى الاخلاط للروح التي
تمتطيها القوة المصورة والتخيلة ، فانها اول شيء انما تحكيها وتشتغل
بها ، وقد تحكي ايضا ما يتكون في البدن من اعراض ، مثل ما يكون
عندما تتحرك القوة الدافعة للمني الى الدفع ، فان المتخيلة حينئذ
تحاكي صورا من شأن النفس ان تميل الى مجامعتها ، ومن كان به جوع
حيكت له مأكولات ، ومن كان به حاجة الى دفع فضل حكلي له موضع
ذلك

د . محمد عثمان نجاتي ، الادراك الحسي عند ابن سينا ، بحث في علم
النفس عند العرب ، دار الشروق ، بيروت - القاهرة ، ١٩٨٠ ، ط ٣ ص
٢١٢ ، ٢١٣ ، وهو يرى بهذا الصدد : ان الدراسات النفسية عند
المفكرين المسلمين ظهرت في اوضح صورها واكملها عند العلامة ابن
سينا الذي يعتبر اول مفكر مسلم اهتم بعلم النفس اهتماما كبيرا لم
تجده عند احد من المفكرين قبله .

من الشخصية ، انذى يصعب الوصول اليه ، الا ان دراسة الاحلام والامارات العصبية قد يسرت الكشف والتعرف على جانب صغير من هذه الذات ، ويمكن التعرف على الذات عند قيام الشخص باقترااف فعل مايندفع اليقيام به كالتقاء صخره من خلال الشباك فهو دون ادنى شك انسان وقع تحت سيطرة الذات الدنيا عليه ، ونفس انشياء بالنسبة لشخص الذى لا يحسن استخدام وقته في المواضيع النافعة فيقتضي الكثير منه في احلام اليقظة وبناء القصور في الهواء نتيجة خضوعه لتسلط الذات الدنيا(٢٣) .

ثانيا : القسم الثاني / الذات ((Ego)) او النفس :

.. وهو انجانب الواعي الذى ينسجم مع الواقع ، او هو الجانب العاقل من النفس ، ولصلة هذا الجانب المستمرة بالواقع الاجتماعي ، فان واجبه يكمن في تحقيق التكيف بين الميول والنزعات الغريزية البدائية لاسيما الغريزة الجنسية من جهة وبين القيم السائدة في المجتمع من جهة اخرى .

وتتمثل وظيفة هذا القسم بالقيام بدور الوسيط بين ميول ونزعات النفس البدائية وبين مقتضيات النظام الاجتماعي التي املتتها القيم الدينية والاخلاقية وانقانونية ، لذا فان عجز هذا القسم او عدم نجاحه في اداء مهمته يفضي الى انفلات شهوات النفس البدائية بشكل يتعارض مع القيم المذكورة ، او يؤدي الى التسمام بالنشاط الغريزي عند طريق الابقاء عليه مكبوتا فيما وراء الشعور .

وبصدد انعلاقة بين الذات والذات الدنيا ، يشبه فرويد الذات بالفارس ويشبه الجانب الشهواني من النفس بالجواد الجموح والذى يدفع براكبه

٢٣ - كالفن - س - هول ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .

في اغلب الاحيان الوجهه التي يريدها ، فوظيفة الفارس كبح جماح الفرس لغرض السيطرة عليها والا انساق معها حيث تريد وهذا يعني الاخطار والاهوال (٢٤) .

ويمكن الاعتقاد بان الذات هو تركيب معقد من الانماط النفسيه تعمل في الوسط بين الذات الدنيا والعالم الخارجي ، لذا فان التكيفات في الوظائف النفسية تساعد الفرد في السيطرة على غرائزه ومحيطه مستخدما الفطنه و الذكاء في هذا الصدد لتحقيق اكبر لذة ممكنه ، فكل فرد يتمتع بقابليات موروثه للتفكير والاستنتاج ، ويتم ممارسة هذه القابليات التربيه والتعليم وبالتجارب من اجل تعليم الافراد الطريفة التي تمكنهم من التفكير بفاعليه اكبر ، لان شأن التفكير الفعال هو الوصول الى الحقيقفة .

ثالثا - القسم الثالث / الذات العليا ((Super ego))

وتشمل الذات المثالية او الضمير وهو الجانب المثالي من النفس ، حيث تكمن فيه المبادئ السامية التي اكتسبها الطفل من والديه ومعلميه ومن القيم الدينية والاخلاقية والاجتماعية ، وهو مصدر قوة رادعة للشهوات ومنه يستمد العقل القوه اللازمة لضبط النزعات والفرائض وابدائيه .

فوظيفة الضمير مراقبة العقل في اداء واجبات وظيفته ومحاسبته عن اى اخلال في توجيهه النزعات الفطرية ، وصولا الى الاشباع المتزن لهذه

٢٤ - والتشبيه الذي اورده فرويد ليس بغريب علينا ، فمن امثلة العرب المعروفة قوالهم ((ان فلانا قوى الشكيمة)) اى انه قاصر على حكم نفسه او قولهم ((ان فلانا لم يقوا على كبح جماح نفسه)) اى تغلبت عليه شهوات نفسه ، المستشار محمد فتحي ، المرجع السابق ص ٩٤ ، استاذنا المرحوم عبد الجبار عريم ، نظريات علم الاجرام ، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٧٣ ، الطبعة السادسة ، ص ١٨ ص ١٨١ .

النزعات بطريقة مشروعة وطبقا للمقيم السائدة في المجتمع .

وتنقسم الذات العليا الى قسمين :

أ - الذات المثالية : التي تطابق افكاره وانطباعاته لما يعتبره والديه اخلاقيا وجيدا ، ويقوم الوالدين بايصال قيمها ومثلها في الطهارة والنقاوه الى طفلها من خلال تشجيعه السلوك بحب تلك القيم والمثل ، فانطلق الذي يكافئ ويشجع لنظافته وناقته ، فان هذه النظافة والاناقة تصبح اخيرا من الاعمال المثالية بالنسبة له .

ب - الضمير : الذي يقابل تصورات الطفل واحاسيسه الامر الذي يعتبره والداه رديء واثم ، وتتبلور هذه الصور لدى الطفل من خلال الجزاء الذي يتعرض له ، فاذا ما نال عقابا لقذارته ولعدم اهتمامه بمظهره فان هذه القذاره تصبح بالنسبة اليه من الاعمال الرديئة والمقوته .

لهذا يمكن القول ان الذات المثالية والضمير هما جانبان مضادان لزاوية اخلاقية واحدة ، فالذات العليا تمثل في الشخصية معاني القيم التقليدية ومثل المجتمع كما يتلقاها الاطفال من والديهم ، ونتيجة لهذا الترابط ينبغي الاعتقاد بان الذات العليا للطفل ليست انعكاسا لتحكم الوالدين وانما تمثل انعكاسا للذات العليا لهؤلاء الوالدين . وبالإضافة الى الوالدين فهناك من يمثلهم في نظر الطفل على مدى مراحل حياته المختلفة ويكونون المثل الاعلى له ، كالمربين والمعتمدين ورجال الدين والاداريين فان جميع هذه السلطات تساهم في تكوين الذات العليا للطفل (٢٥) .

٢٥ - كالفن - س - هول ، المرجع السابق ص ٣٣ و ٣٦ ، المستشار محمد المرجع السابق ص ٩٤ ، ٩٥ ، وانظر بهذا المعنى المراجع التاليف التي تعرضت لموضوع تقسيم فرويد الشخصية ، الدكتور اكرم نشأت ابراهيم علم النفس الجنائي ، مطبعة المعارف بغداد ٩٦٨ ، ط ٤ ص -

الفروع الثاني

اثر الخلل النفسي فسي السلوك الاجرامي

اذا امكن القول ان الذات الدنيا هي نتاج التطور ، وانها المثل النفسي
للهبه البايولوجية للفرد ، فان الذات هي حصيلة التفاعل بين الفرد وبين
الواقع الموضوعي المختص والعمليات العقلية العليا ، بينما تمثل الذات
العليا نتاج الثقايد الحضارية وترمز لعجلة الحياة المتطورة واسماء الذات
الدنيا والذات العليا لاتعني شيئاً بذاتها بل انها تمثل طريق مختصر لتنظيم
انماط مختلفة تحقق من خلال الشخصية الانسانية ككل .

فالذات تكونت خارج الذات الدنيا وتكونت الذات العليا خارج الذات
وان هذه الاقسام الثلاث تتفاعل مع بعضها وتستمر بالتفاعل حتى تتألف
وتندمج جميعا في جهد موحد لتحقيق الاتزان الداخلي الذي يكون من سمات
الشخص الاعتيادي .

الا ان هذا التألف لا يتحقق بسهولة ، فقد ينجم عن هذا التفاعل حالة
من عدم التوافق او عدم الانسجام بين هذه الاقسام مما يؤدي بالفرد الى
ارتكاب سلوك مخانف لنظام المجتمع وقيمة السائدة يتمثل في السلوك
الاجرامي .

٤٨ - ٨٧ استاذنا المرحوم عبد الجبار عريم ، المرجع السابق ص
١٧٨ - ١٨٢ ، د رؤوف عبيد ، اصول علمي الاجرام والعقاب ، دار
الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٧ . ط ٤ ، ص ٢١٢ - ٢١٣ ، د فوزية
عبد الستار ، مبادئ علم الاجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية ،
بيروت ١٩٧٨ ، ص ٤٤ ، د عبد الفتاح الصيفي ، المرجع السابق ص
٨٧ - ٩٨ ، د عبد الفتاح الصيفي و د محمد زكي ابو عامر ، علم
الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

اما بصدد التحليل النفسي فقد تكلم عنه فرويد على اساس ان نظرية للشخصية ، حيث قام بتحديد استنادا على انه ((فكره ديناميكية ، تأخذ بالحياة العقلية الى التفاعل المتبادل بين الدفع والردع للقوى)) (٢٦) فالذات الدنيا تمتلك قوة دافعة في حين تمتلك القوى الرادعة كل من الذات والذات العليا ، اللتان يتم خروجهما لسبب واحد ، هو ضرورة منع الافعال الشريرة للذات الدنيا ، وفي الوقت الذي تتخذ فيه كل من الذات والذات العليا الاجراءات لضبط الذات الدنيا ، فانهما تمتلكان قواهن الدافعة كذلك .

وعلى الرغم من ان الصراعات النفسية عديدة ويتعذر حصرها ، لانها تتحقق بعدد ما يحصل من مرات تتضارع فيها القوى الدافعة مع القوى الى اذعة ، الا انه يمكن ان تصنف مع احد المجموعتين الاتيتين : -

الاولى : والتي يكون فيها الصراع بين الذات الدنيا والذات

ثانية : التي يكون فيها الصراع بين الذات والذات العليا .

اي انه ليس هناك صراع مباشر بين الذات والذات العليا لانه يكون على الدوام مقترنا بتداخل الذات بينهما ، ويتحقق هذا الصراع وفق المعادلات الاتية :

الذات الدنيا ضد الذات

الذات العليا ضد الذات

الذات الدنيا + الذات : ضد الذات العليا

الذات العليا + الذات : ضد الذات الدنيا

٢٦ - كالفن - س - هول ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

اى ان كل من انذات والذات العليا يحاول ان يجر الذات لصالحها لتحقيق اغراضها الخاصة . ومن شأن اى تناحر بسيط قد يحصل بين الذات الدنيا والذات ان يتطور الى صراع كبير اكثر تعقيدا من ذى قبل متى ما تدخلت الذات العليا وضمت قواها بجانب احداها ضد الاخرى . لهذا تعد انذات هي بداية واساس كل صراع . والذى تكون نتيجته مؤثره تأثيرا بالغيا في نمو الشخصية (٢٧) .

لذا فان السنوك الاجرامى وفقا لرأى فرويد يتحقق اما : نتيجة عجز الجانب العقلاني (انذات) عن تحقيق الانسجام او التوافق بين النزعات والميول الفطرية الغريزية وبين النظام الاجتماعى والقيم السائدة فيه (الواقع الاجتماعى) ، واما نتيجة انعدام الجانب المثالي اى العجز عن ممارسة وظيفته في الرقابة والردع من اجل الوصول الى تحقيق المتطلبات المشروعة للجانب الشهوانى من النفس دون الاخلال بالواقع الاجتماعى . وتؤدى حالتى العجز المذكورتين الى ارتكاب الجريمة ، نتيجة عدم مراعاة الضوابط الاجتماعية المذكورة ، وتقع هذه الجرائم اما عن طريق انفلات الغرائز والسيول الشهوانية ، واما عن طريق انعقد النفسية التى تكبت في الجانب اللاشعورى (٢٨) من العقل وتقوم بتوجيه سلوك الانسان وجهة اجرامية دوى اى وعي او ادراك منه .

كما قد تجرف الذات الدنيا بتيارها الشديد الذات ، مما تجعل هذه الاخيره خاضعة لسلطان الذات الدنيا ومن ثم تعمل على تسخيرها لتنفيذ

- ٢٧ - كالفن - س - هول المرجع السابق ص ٣٧ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٥٩ .
 ٢٨ - د - حسين ابراهيم صالح عبيد ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، القاهرة ٩٧٨ ، ص ٤١ ، عبد الجبار عريم ، المرجع السابق ص ١٨٦ ، د - فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٤٤ و ٤٥ ، د - يسر انور ود - امال عثمان ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٤٨ .

رغباتها وميولها ونزعاتها الطائشة دون الالتفات لارشادات الذات العليا وتوجيهاتها ودون اى مراعاة للمقيم الاجتماعية ، مما ينتج عنه ممارسة اعمال وتصرفات غير اجتماعية تحقق اغلبها الجرائم (٢٩) .

اما الشخص الاعتيادى ذو السلوك الاجتماعى المتزن ، فهو الذى تتفاعل جوانب كيانه النفسى مع بعضها تفاعلا طبيعيا مثمرا يؤدى انسى التوافق والتألف ومن ثم تندمج جميع هذه الجوانب فى السير باتجاه واحد هدفه تحقيق التوازن فى شخصية الشخص المذكور (٣٠) .

٢٩ - د . اكرم نشأة ابراهيم ، المرجع السابق ، ص ٨٨ .
٣٠ - د . رؤوف عبيد ، المرجع السابق ص ١٢٤ ، وبهذا الصدد يجمع عدة باحثين متباينين فى اتجاهاتهم النظرية من بينهم غارون واليج وجيبينيل والمحللين النفسيين الفرويديين ، على ان يلوغ الطفل السنة الخامسة من عمره يمثل مرحلة جديدة من مراحل ارتقائه الاجتماعى تفوق المراحل السابقة سعة وعمقا فمن حيث اتساعها تكون مجالات نشاطه الاجتماعى اكثر اتساعا لتشمل جماعات اللعب مع الاطفال المماثلين له اضافة لاسرته واما من حيث العمق فتكشف للطفل اعماق وجدانية وعالم باطنى من خلال انصرعات الانفعالية العميقة التى يتعرض لها ، ولذا فان من نتيجة هذه المرحلة اقتراب الطفل من نموذج الشخصية الراشدة القادرة على التكامل الاجتماعى والمتجهه اليه وعلى حد قول العانس جينيل (ان الطفل فى الخامسة من عمره يكاد يكون سيره مصغره للراشد الذى سيكونه فيما بعد) د . مصطفى سويف ، الاسس النفسية للتكامل الاجتماعى ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط ٣ ، ص ١٩٤ .

الفرع الثالث

اثر العقدة النفسية في السلوك الاجرامي

تناوينا في الفرع السابق ارتباط تحليل فرويد للنفس بتفسيره للسلوك الاجرامي ، وتطبيقا لهذا التحليل يورد فرويد امثلة لما يتعرض له الكيان النفسي من خلل واضطراب نتيجة العجز الوظيفي لقسمي (العقل و (التضمير) عن اداء المهام المنوطة بهما ، وتبدو اهم هذه الامثلة في عقدة او ديب وعقدة الذنب .

اولا

عقدة او ديب

يفسر فرويد كل العلاقات العاطفية بالازدواج . اى وجود مشاعر الحب والكراهية تجاه الشيء انا واحد في نفس الوقت، وقد عمم فرويد هذا التفسير على جميع الافراد ، وعقدة او ديب هذه هي عقدة نفسية تظهر بوادرها عند الطفل بعد اجتيازه مرحلة الجنسية الذاتية وبلوغه السادسة من عمره حيث يمر بموقف نفسي حرج ، اطلق عليه (موقف او ديب) حيث تتحول الميول والرغبات الجنسية التي كانت مرتبطة بذات الطفل الى اول كائن خارجي يؤثر فيه عادة ، وبالطبع فهو الام ، فيحرص على ان لا يشاركه احد في حبها وان تبقى خالصة له . ولكن هذه الامنية تصطدم بعقبة كبيرة هي وجود الاب ، فيشعر هذا الطفل ان ابيه ينافسه في حب امه ، ويسبب هذا الشعور نوع من انغيته والانانية لذلك يبدأ بكراهيته وعدم الشعور بالراحة عند وجوده ، وتثور لديه رغبة شديدة في التخلص منه ، الا ان هذه الرغبة تصطدم في نفس الطفل بنزعة اخرى تعترضها وتسير باتجاه معاكس لها

وهو شعور الطفل بحب ابيه ، فهو الذى يحميه ويحبه ويحيطه بالرعاية والحنان ، ولهذا السبب ينشأ في نفس الطفل صراع بين نوعين متناقضين من الرغبات التي تحمل المشاعر تجاه الاب ، الاولى تمثل مشاعر الكراهية وتمثل الثانية مشاعر الحب ، فان لم يقم قسم العقل (الذات) عند الطفل بممارسة مهامه في تكييف هذا الازدواج من المشاعر العاطفية بما يتفق مع الواقع الاجتماعي بمكوناته الاندينية والاخلاقية والقانونية وذلك بتغليب شعور انحب نحو الاب ومن ثم التخلص من الآثار السيئة لهذا الشعور فمعنى ذلك ان الشعور بكراهية الاب ستزداد يوما بعد يوم مما يؤدي الى شعوره بعقده نفسيه خطيره تستقر في جانب اللاشعور من عقل هذا الطفل تسمى عقدة اوديب (٣١) .

ولهذه العقدة اثار سيئه تنعكس على سلوك المصاب بها حيث :

١ - يتعرض الابن للمدق وعدم الاستقرار بسبب غيرته الشديدة من ابيه فيفقد القدرة على تكوين التوازن النفسي والتكيف الاجتماعي وبالتالي يعجز عن اتيان السلوك المعتاد فيأتي سلوكه بشكل شاذ .

٢ - ان البغض اللاشعوري للاب ، يولد في نفس الابن شعور بالكراهية لمثل كل سلطه ، فيكره المربي في الدار والمعلم في المدرسة والمدير في اندائرة ورب كل عمل ويميل الى انتهاك القوانين والانظمة المرعية رسمية كانت ام غير رسمية عن طريق ارتكاب الاعمال او القيام بانماط سلوكية يعاقب عليها

٣١ - د اكرم نشأت ابراهيم ، المرجع السابق ص ٩٢ ، ٩٣ د حسين صالح عبيد ، المرجع السابق ص ٤٢ د عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، القاهرة ٩٧٤ ، ص ٧٠ د احمد عكاشة ، الطب النفسي المعاصر ، مكتبة الانجلو مصرية القاهرة ٧٦ ص ٣٣٧ وهو يرى بهذا الصدد (ان هذه المرحلة عادية في هذه الفترة ويجب على الوالدين الا يظهر تعلقهما بالآخر امام الاطفال وان كان لابد من هذا الانفعال فيجب ان يشارك الاطفال في هذا الوجدان) .

القانون بوصفها جرائم او تحرمها القيم الاخلاقية فيشير نقمة المجتمع بوصفه سلطه ادبية يتولى حماية هذه القيم .

٣ - اما حب الابن المفرط لاهه فيعوض له عن الرغبة في الزواج لان هذا الحب يحقق نه اشباعا لرغباته بصورة رمزية فيعرض عن الزواج نهائيا اما اذا وجد نفسه مضطرا للزواج فانه يفضل ان يختار زوجه اكبر منه سنا الكبي يجد فيها تعويضا عن امه ، كما ان من شأن الافراط في حب امه ان يتعرض الصدمة العنيفة عند وفاتها اذ قد تسبب له انهيارا نفسيا(٣٢) .

ثانيا

عقدة الذنب

وتتحقق هذه العقدة النفسية ، عندما يسيطر على الانسان شعور بالذنب والتقصير ، بسبب مغالاة الجانب المثالي (الضمير) في معاملة انجانب الشعورى (الذات) نتيجة سيطرة استبدادية ، وتنشأ هذه العقدة على الاغلب في المراحل الاولى من حياة الانسان ، حيث يقوم بحكم هذه المرحلة بتصرفات غير معقولة ، (وهو امر طبيعي مألوف بالتسبب لمرحلة الطفولة) فاذا ما غانى الوالدن في توبيخ الطفل وتوجيه العقوبة القاسية له سواء اتم ذلك عن طريق الضرب او الكلمات التاييه من اجل اشعاره بحجم انذنب ، على الرغم من ان الاخطاء التي ارتكبها هي تافهه وبسيطة ، فأن من شأن هذا التصرف الخاطيء من جانب الوالدين ان يسبب خلا كبيرا في الجانب المثالي للطفل حيث يكون قاسيا في محاسننه وصارما في رقابته وتوجيهه ، بحيث انه يجعل ابسط الهفوات والاطفاء في نظر هذا الطفل خطايا كبيرة يستحق من اجلها العقاب الشديد ، وبهذا الصدد يرى الاستاذ

٢٢ - د ٢٢ - د ٥ اكرم نشأت ابراهيم ، المرجع السابق ص ٩٣ ، ٩٤ .

جونس ان الذات العليا يجب ان تتصف منذ مرحلة الطفولة بالصبر والاناء والتعقل وان توجه بكل عناية وحكمة درءا نا قد ينشأ عن معاملتها بالقسوة والعنف من نتائج خطيره ، لانه من الحقائق المسلم بها ان هذا الجانب من نفس الطفل يكون قوى المظهر في هذا الدور من حياة الانسان بشكل يصبح معه جعل الهفوات البسيطة والبريئة جرما كبيرا في نظر هذا الطفل ، وبالتالي يستأثر هذا الشعور بالخطيئة بعقل الصغير وسيطر على ملكاته ، لذا فان الكشف عن علة هذا الشعور المرضي تعد في نظر علماء التحليل النفسي من اخطر الخطوات شأننا في سبيل الوصول الى شفاء المصاب ، ولهذا يرى فرويد ان (شدة الشعور بالخطيئة قد يكون من اقوى البواعث على الاجرام لا نتيجة ارتكاب الجرم ذاته) (٣٣) .

ويضاف الى ما تقدم فان هذه العقدة قد تصيب الفرد من جانب اخر حيث تبدو بوادها في شعور بالاضطراب النفسي نتيجة غياب الذات العليا او ضعفها في فترة من الفترات فيؤدي بهذا الفرد الى ارتكاب سلوك شاذ غير مألوف ، لم يصل الى حد تحقيق الجريمة ، ثم يستعيد بعد ذلك الضمير الضمير (الذات العليا) قدرته على التوجيه ورقاية وارشاد العقل (الذات) وهنا تنشأ عقدة الشعور بالذنب والخطيئة لديه ، وذلك بسبب الشعور الذي يتولد لدى هذا الفرد نتيجة تقصير او عجز الذات العليا من السيطرة على اتزانة النفسي في الفترة المذكورة (٣٤) .

٣٣ _ المستشار محمد فتحي ، المرجع السابق ص ٩٦ و ٩٨ .
٣٤ _ د . مأمون محمد سلامة اصول علم الاجرام ، القاهرة ٩٦٧ ص ١٧٦ ،
د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٤٦ .

وان هذا الشعور يلح على صاحبه بالتأنيب المستمر ولا يستطيع ان يتخلص منه او ان يخفف من تأثيره الا اذا عرض نفسه للمتعاب والمشكلات التي لا يصيبه منها الا التعب والشقاء والالام بل قد يذهب الى ابعد من ذلك حين يتورط بارتكاب الجرائم ليثير نقمة وعدوان المجتمع عليه ، ولا تهده نفسه الا اذا نال الجزاء المناسب الذي يتلائم وجسامة هذه الجرائم (٣٥) .

المطلب الثاني

(تقييم تفسير فرويد للسلوك الاجرامي)

يمثل هذا الفصل محاولة لوضع تفسير فرويد للسلوك الاجرامي في ميزان النقد العلمى ، مستشهدا من اجل ذلك بآراء كبار العلماء والمختصين في هذا الميدان ، الذين لا تنقصهم الوسائل والقدرات التجريبية فائتوا من خلال تقييمهم لهذا التفسير خطأ كثير من الافكار والنتائج التي انتهى اليها فرويد في نظريته ، الا ان هذا لا يعني ان تحليله هذا جاء خلوا من الآراء المفيدة في هذا الصدد ، وهذا ما يملى علينا ان نقسم هذا المطلب الى فرعين ، نبين في اولهما مزايا هذا التفسير ونخصص ثانيهما لعرض اهم الانتقادات الموجهة اليه .

٣٥ - د . اكرم نشأت ابراهيم ، المرجع السابق ص ٩٧ ، ويرى فرويد في هذا الصدد انه ينبغي ان يتصور المحلل في نفسه فكرة عن نشأة الشعور بالخطيئة او التقصير تختلف عما يتصوره علماء النفس من ناحية اخرى ، الا ان المحلل ذاته لا يتمكن من استجلاء هذه النشأة ايضا ، لاننا لو تسألنا كيف نتمكن من تلمس هذا الشعور لكان الاجواب بشكل يتعذر رده : ان الفرد يعلم انه مذنب فاذا اتى امره يعتبره ((شرا)) وعندئذ تلاحظ مدى تفاهة هذا الجواب ، انظر سيفموند فرويد ، عسر الحضارة ، ترجمة عادل العوا ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ٩٧٥ ، ص ١١١ .

الفرع الاول

(مزايا نظرية فرويد)

ما من شك في ان فرويد كان يتمتع بقدرة وقابلية على البحث والتحليل والاستنتاج ، اضافة الى اتصافه بالذكاء المفرط والذي دلت عليه براعته الفائقة في عرض الافكار والنتائج التي توصل اليها بفضل استخدامه المنهج العلمي التجريبي . حيث كان لهذه الاراء اكبر الاثر في نفس الكثير من العلماء والباحثين فالتزموا بها وايدوها وداقوا عنها بكل ما اوتوا من قوة عندما تتعرض للنقد من قبل معارضيها .

ونظرا لان هذه النظرية تناولت بالدراسة والبحث جانب مهم من جوانب شخصية الانسان وهو الجانب النفسي ، فقد اكتسبت اهمية كبيرة لانها لفتت الانتظار الى ضرورة اعطاء هذا الجانب ما يستحقه من الاهمية من خلال العرض الذي تضمنته نظرية التحليل النفسي ، خاصة عند قيامها بتحليل الجانب اللاشعوري - وحرصها على ابراز اهمية الغرائز الفطرية واثرها في السلوك الاجرامي وعلى الاخص الغريزة الجنسية .

وفرويد لم يكن مجرد طبيب رغم حصوله على شهادة الدكتوراه في الطب وكما لم يكن مجرد عالم تجريبي قلكن مما لاريب فيه ان لثقافته الطيبة والعلمية دور كبير جعلته ان يكون من اكبر الاطباء المختصين في الامراض العصبية ويبدوان هناك جملة اسباب وعوامل دفعت فرويد للاهتمام بالتحليل النفسي مما حدى بالبعض و(٣٦) الى القول بأن مبتكر التحليل

٣٦ د٠ مصطفى فهمي ، المرجع السابق ص ٢٩١، ٢٩٢ الاستاذ دحام الكيال في مقدمة الطبعة الاولى من كتاب مبادئ علم النفس الفرويدي المرجع السابق ص ٢ ، الا انه بالرجوع الى المحاضرات التي القاها الاستاذ فرويد تحت عنوان مدخل الى التحليل النفسي ، لم يذكر ما يؤيد صحة هذا الراى بل العكس انه ذكر ما يدل على ان هذا العلم معروف قبلة بقوله (٠٠ على انه لايناص لي

النفسي هو فرويد بعد ان اكسب خبرة واسعة خلال مدة خدمته التي قدم فيها العلاج النفسي للمرضى المصابين وخاصة المرضى المصابين بالهستيريا وقد عمد فرويد الى تحديد منهجه في التحليل النفسي وفق الاتي :

اولا . ان التحليل النفسي منهج للبحث في العمليات النفسية التي تكاد تستعصي على اى منهج اخر

ثانيا . ان التحليل النفسي فن لعلاج الاضطرابات العصابية (النفسية) يقوم منهج البحث المذكور .

ثالثا . ان التحليل النفسي يتضمن مجموعة من المعارف النفسية يتواءم نظام علمي جديد (٣٧) .

كما اهتم فرويد ببحث وظائف الشخصية العادية المتزنة التي تختلف عن الشخصية الشاذة ثم حرص على بعض الاختلافات النفسية بحثا مستفيضا كالقلق والانفعال، اضافة الى ايضاح مفهوم الغرائز والشعور والاشعور والنوافع الفطرية (٣٨) ، ووضعه حجر الاساس في البحث لدراسة الاحلام وتفسيرها وبيان اثرها في السلوك (٣٩) .

ولذا فان المزايا التي اشرنا اليها بهذا الصدد ينبغي ان تنصب على الجهود الكبيرة التي بذلها فرويد من اجل ايضاح واطهار الاتجاه النفسي

من الافتراض باءنكم تعرفون ان التحليل النفسي طريقة في المعالجة الطبيعية للاشخاص المصابين بامراض عصبية (راجع في تفصيل ذلك سيغموند فرويد مدخل الى التحليل النفسي المرجع السابق ص ٧ وما بعدها .

٣٧ . د . مصطفى فهمي . المرجع السابق ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

٣٨ . كالفن - س - هول المرجع السابق ص ٢ ، ٦ .

٣٩ . المستشار محمد فتحي ، المرجع السابق ص ٢٠٤ .

في التفسير العلمي لظاهرة الاجرامية ، دون ان تشمل الاستنتاجات التي توصل اليها من خلال عرض هذه النظرية اذ فرويد يعتبر اول من لفت الانظار الى اهمية البحث عن عوامل الجريمة في شخصية المجرم من الناحية النفسية ، عن طريق دراسة نفسية هذا المجرم دراسة علمية مستفيضه وتحليل كيانه انفي تحليلا كاملا ، وصولا الى العوامل الحقيقية للجريمة نتيجة الربط بين تحليله المكيان النفسي للمجرم وما يتعرض له هذا الجهاز من خلل واضطرابات وتحديد العقدة النفسية المكبوتة في اعماقه ، وبين ما تسببه هذه الاختلالات والعقد من اثار في السلوك الاجرامي .

الفرع الثاني

نقد النظرية الفرويدية

تعرضت نظرية فرويد في تفسيرها للسلوك الاجرامي الى انتقادات كثيرة انصب بعضها على المنهج الذي استخدمه فرويد في نظريته ، واستهدف البعض الاخر مضمون هذه النظرية وسنخصص القسمين الاتيين لعرض اهم اوجه النقد هذه :

القسم الأول : نقد منهج النظرية الفرويدية

القسم الثاني : نقد مضمون النظرية الفرويدية

القسم الاول

(نقد منهج النظرية الفرويدية)

أ - اكتفى فرويد بالاعتماد على نتائج ابحاثه التحليلية في تفسيره
للسلوك الاجرامي في حين ان نطاق هذه الابحاث قاصر بطبيعته عن ذلك
وقد اوضح الاستاذان لويس التاسير وجورج كانفيليم (٤٠) بهذا الصدد :
ان فرويد قد اضطر لمعالجة اكتشافاته وممارساته بمجموعة من
التصورات الفلسفية المستوردة استعارها من علوم متنوعة تميزت بالابديع
في عصره اثرت تأثيرا كبيرا على تطوره العقلي وفي تحديده نمطه الفكري ،
وهو الذي يفسر لنا بوضوح عجزه عن التمييز بين خواص المادة والذات
البشرية بصورة مضبوطة ودقيقة ، لان معرفة خصائص المادة وتركيبها

٤٠ - لويس التاسير وجورج ، دراسات لانسانية ، ترجمة د . سهيل
القش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨١ ط ١ ،
ص ٤٧ ، والحقيقة فقد ترعرعت بالفعل علوم الحياة في النصف الثاني
من القرن التاسع عشر ، حيث وضع حجر الاساس لعلم البكتريا بجهود
العالمين لويس باستور وروبرت كوخ وتم اكتشاف علم الوراثة بفضل
العالم كريكور مندل ، اضافة الى تطور علوم الفيزياء حيث اكتشف
العالم هرمان فون هلمهولتز القاعدة الاساسية لحفظ الطاقة ، هي ان
الطاقة لا تفنى ولكن يمكن ان تحول ، وقد ادى هذا المبدأ الفيزيائي
(تحويل الطاقة) الى تحقق اكتشافات انيه متتابعة هي الديناميك والقوى
المحركة وقد تحقق العصر الذهبي للطاقة باكتشاف النظرية النسبية من
قبل العالم انشتاين ، وبفضل الجهود القيمة الذي بذلها كبار العلماء
في الفيزياء الحديثة باكتشافاتهم المتعلقة باسرار الطاقة واهمهم :
جيمس ماكسويل وجوزيف تومسن وماري ومدام كوري وجيمس جولييه ،
والورد كلفن ورودلف كلوس وديمتري مندليف : انظر في تفصيل
ذلك ، كالفن - س ١ هول الرجوع السابق ص ١١ ، ١٢ .

وان ادت الى تمكين الانسان من التحكم في كل شىء فوق سطح الارض (٤١)
الا انها لا تملك مثل هذه الصلاحية لاكتشاف اسرار الانسان والتحكم في
ذاته .

وقد ذهب العالم الفرنسي الكيسيس كاريل (٤٢) في معرض تعليقه
على الخلط الذى وقع فيه فرويد بين خواص المادة والذات البشرية بقوله :
ان الواجب يقتضينا ان نحول اهتمامات البشرية من عالم الجماد والالات الى
جسم الانسان وروحه ، وصولا الى تكوين العمليات العقلية والعضوية التي
من ثمرتها تكوين العلماء واختراع الآلات ، ويضيف بعد ذلك موضعا :
((فكثيرا ما اعتقد العلماء الذين اصابوا نجاحا بعيد المدى في فرع معين من
فروع العلم وبرزوا باختراعاتهم الفذة ، ان معلوماتهم الممتازة في هذا الفرع
تمتد الى باقي فروع العلم وهكذا فان العظماء حينما يتكلمون فسي
شئون لا يلومون بها انما كافي يعيقون تقدم البشرية في احد حقوله في حين
انهم يساهمون في هذا التقدم ولكن في حقل اخر (٤٣) لينتهي من ذلك السى
القول انه ((من الواضح طبعا انه لا يوجد عالم يستطيع ان يتحكم ويتفوق

٤١ - وحيد الدين خان ، الدين في مواجهة العلم ، ترجمة ظفر الاسلام خان
ومراجعة عبد الحليم حويس ، القاهرة ٩٧٤ ، ط ٣ ص ٤٧ .

٤٢ - ولد الدكتور الكيسيس كاريل بالقرب من ليون بفرنسا سنة ١٨٧٣ ،
وحصل على اجازة الطب كما حصل على اجازة في العلوم ، ومارس التدريس
لعدة سنوات في ليون . وفي سنة ١٩٠٥ سافر الى الولايات المتحدة الامريكية
حيث عمل في معهد (روكفنز) للابحاث العلمية لمدة ثلاثين سنة ، ثم
عاد الى فرنسا سنة ٩٣٩ وقد منح جائز نوبل للسلام سنة ٩١٢ لابطائه
الطبية القيمة ، لديه عدة مؤلفات اشهرها كتابه (الانسان ذلك المجهول)
والذى اعيد طبعة عدة مرات لاهميته ، وتوفى في باريس سنة ١٩٤٤ ،
الکيسيس كاريل ، الانسان ذلك المجهول ، ترجمة عادل شفيق ، الهيئة
العامة للكتاب القاهرة بيروت ٩٧٣ ، ص ٤٣ ، ٩ .

٤٣ - الكيسيس كاريل المرجع السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

في جميع الفنون التي لا غنى عنها لدراسة مشكلة واحدة من مشكلات الانسان
ومن ثم فان تقدمنا في معرفة انفسنا يحتاج الى جهود مختلف الاخصائيين
في وقت واحد بشرط ان يقصر كل اخصائي جهوده على جزء واحد من
الجسم والشعور او علاقة احدهما بالبيئه . . . ذلك لانه من المستحيل ان
يفهم العالم الاخصائي الانسان ككل مادام انه غارقا الى اذنيه في دراساته
الخاصة ، تلك الدراسات التي تصرفه عما عداها في حين ان دراسة الانسان
التي بينا اهميتها لا يمكن ان تتم وانحاله هذه كبا هي الان . . . ومع ذلك
فان الامر لا يخلو من خطورة (٤٤) .

ونحن نرجح هذا الرأي ، اذ ان الانسان عالم قائم بذاته كما اسلفنا ،
عجز عن معرفة حقيقة نفسه ، ولعظمة النفس البشرية وما فيها من عمق
الاغوار وبعد الاسرار فقد حض الباري عز وجل كل انسان على تدبر كنه
نفسه اذ قال ((وفي الارض آيات لملوقنين وفي انفسكم افلا تبصرون)) (٤٥)
قال المفسرون ((هذا الكوكب الذي نعيش عليه معرض هائل لايات الله
وعجائب صنعته ، ومعرض لم يظهر منه حتى اللحظة الا القليل من بدائعه
ونحن نكشف في كل يوم جديدا منه ، ونطلع منه على جديد ، تلك التي
تنطوى فيها اسرار هذا الوجود كله ، لا اسرار الكوكب الارضي وحده ،
والى هذين المعرضين الهائلين تشير الايتان تلك الاشارة المختصرة التي
تفتح هذه المعرضين على مصاريعها لمن يريد ان يبصر ولمن يريد ان
يستيقن ، وهذا المخلوق الانساني هو العجيبة الكبرى في هذه الارض ، ولكنه
يغفل عن قيمته وعن اسراه الكامنة في كيانه ، انه عجيبة في تكوينه الجسماني ،
وفي اسرار هذا الجسد ، عجيبة في تكوينه الروحي ، في اسرار هذا النفس ،

٤٤ - الكيسيس كاريل المرجع السابق ، ص ٤٤ ، ٤٥ .
٤٥ - سورة الداريات ، الايتان ٢٠ و ٢١ .

وهو عجيبة في ظاهرة وعجيبة في باطنه لذا يمكن القول ان الانسان يمثل عناصر هذا الكون واسراره وخفاياه » .

فالانسان المعاصر يستطيع تفجير الذرة ، ويقتحم مجاهل الفضاء ويتجول في طبقاته ، ويكتشف مكنون الارض واعماق البحار والمحيطات ويمكنه التوصل الى كل مجهول في هذا الكون ، فهل ان هذه الوقائع الحقيقية عاجزه على ان تبرهن لنا ان الانسان يمتلك القابلية والمقدرة على اكتشاف ذاته وتشخيص الخلل الحاصل فيه وصولا الى اصلاحه ورعاية احواله الذاتية الداخلية ، الا انه رغم هذا التفاؤل فان الحقائق القائمة تشير الى انه لا يمكن الوصول الى اسرار الانسان بالسهولة التي تم اكتشاف خواص المادة (٤٦) .

ب - ان كيان الانسان اكثر تعقيدا واعمق تركيبا مما تصوره فرويد وقد ادرك اتباعه قبل خصومه هذا التطور الخاطيء وحاولوا تداركه عن طريق معالجة اوجه النقص والقصور فيه ، الا انه رغم تلك المحاولات بقي تصور فرويد قاصرا من هذا الجانب ويسوده طابع الافتراض المتسرع (٤٧) مما دفع البعض (٤٨) الى وصف تحليله هذا بالسذاجة ، لان الانسان ليس بهذه الصورة التي تصورها فرويد ، فهو غاية في التعقيد وانه ككل لا يقبل التجزأة او التقسيم ، ومن الصعوبة بمكان ان نحصل على عرض بسيط لكيانه ، فليست هناك وسيلة لادراك الذات الكاملة للانسان او فهم علاقة اجزاء جسمه بالعالم الخارجي ، واذا اردنا تحليل النفس الانسانية تحليللا

٤٦ - وحيد الدين خان ، المرجع السابق ص ٥٠ و ٥١ . عبد الغني عبود ، الانسان في الاسلام ، والانسان المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٧١ .

٤٧ - د . رؤوف عبيد ، المرجع السابق ص ٣١١ .

٤٨ - الكيس كاريل ، المرجع السابق ص ١٢ . ١٣ .

كاملا فلا بد من الاستعانة بمجموعة من العلوم والفنون المختلفة ، رغم قناعتنا بان جميع هذه العلوم ستصل في النهاية الى رأى مختلف في غايتها المشتركة ، فهي لاتستطيع ان تفهم الا ما تمكنتها وسائلها الخاصة من الوصول اليه ، فالانسان هو ابعاد ما يكون عن الجماد ، لانه موضع امال الانسانية ومحط افكارها ، ولا شك في ان الانسانية بذلت جهودا مضنية للوصول الى حقيقتها الذاتية ، ورغم هذه الجهود فأننا لم نفهم الانسان فهما كلياً . وتبقى الحقيقة المرة وهي ان جهلنا بانفسنا مازال مطبقاً (٤٩) .

ان كل ما تقدم ذكره قد اسس على فرض جدلي لصالح النظرية مفاده: ان دراسة شخصية الانسان تكفي لتحديد العوامل الكامنة وراء انماط سلوكه، فاذا اتضح ان مثل هذا الفرض غير مقبول من قبل غالبية علماء الاجرام الان فانه يصبح واضحا لدينا لماذا قال هؤلاء العلماء ان نظرية فرويد تقدمت في تحليل النفس الانسانية خطوه الى الامام ، ولكنها في الوقت ذاته تأخرت في تفسير السلوك الاجرامي خطوات الوراثة (٥٠) .

٤٩ - وحيد الدين خان ، المرجع السابق ص ٤٧ و ٤٨ .
٥٠ - د . جلال ثروت المرجع السابق ص ١٠٥ .

القسم الثاني

نقد مضمون النظرية الفرويدية

تعرض مضمون النظرية الفرويدية لانتقادات عديدة ، لعل اثقلها في ميزان النقد العلمي ما يأتي : -

أ - ان مذهب اليه فرويد في نظريته : افتراضه ان الانسان هو حيوان بشري وان الذي يتحكم في سلوكه الى حد بعيد هو الاساس البيولوجي لتكوينه ، وان الغريزة الجنسية (اللبيدو) هي التي تحرك جميع الاعمال ولها دور كبير في توجيه نوازع السنوك الانساني نحو النشاط والتحقيق في كل مايعرف من وجوه النشاط . فواجه الابداع والخلق الرائع في حياة الانسان بل حتى الروحانيات اساسها هو الجنس . ففي ضوء الغريزة الجنسية تفسر كل الوان النشاط الانساني ، وفي ظلها يفسر النمو الانساني ابتداء من الولادة وانتهاء بالوفاة ، وفي ضوءها تفسر الاحلام ايضا (٥١) .

ان الافتراض الذي وضعه فرويد : ان الانسان حيوان بشري متأثرا في ذلك باراء دارون . افتراض خاطيء لا يحتاج بتصوري الى مناقشة مستفيضة لعدم اهميته العلمية ، اذ من العلوم ، ان الانسان يتميز بخصائص فريدة عن بقية المخلوقات لاتقتصر على العقل وحده على الرغم من اهميته الفائقة ، فاشترك الانسان في بعض الخصائص مع الحيوان لايعني انه اصبح حيوانا ، فالانسان منذ بدء الخليقة وحتى ان يرث الله سبحانه وتعالى الارض ومن عليها هو سيد المخلوقات جميعا من خلال مظاهر التكريم الكثيرة التي تميز بها الانسان والتي جعلته متفردا بصفات عن بقية المخلوقات ، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى ((ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا

٥١ - د . عبد الغني عبود ، المرجع السابق ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

تفضيلاً)) (٥٢) كما قال تعالى خالق الحيوان والانسان (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) (٥٣) .

وقد ايد العلم الحديث تفرد الانسان بجملة خواص واوصاف تميزه تماماً عن الحيوان : فقد ثبت نتيجة البحوث والدراسات التي اجراها العلماء : ان للانسان مجموعة خصائص ثابتة تخالف ما يبدو عليه لاول وهله نتيجة نظرة سريعة غير متفحصه ، ومن هذه الخصائص انه (قوى غايه القوة ، انه يكتيف نفسه تبعاً لجميع الطقس ، سواء في المناطق القطبية متناهية البرودة ، او الاستوائية شديدة الحر ، انه يستطيع مقاومة الجوع ، واختلاف الطقس ويتحمل التعب والمصاعب والاجهاد في العمل ورغم ان اعضاء الانسان ضعيفة هشه ، وان اقل صدمة تستطيع الاضرار بها ، وان جميع الاعضاء تتحلل بمجرد توقف الدورة الدموية ، فان الانسان هو اصلب من الحيوانات عوداً ويستمد قوة التحمل هذه من مرونة انسجته يصفه خاصة ، ومن تماسك هذه الانسجة وقدرتها على النمو بدلا من استهلاكها ، اما الحيوان فانه يموت وينقرض بمجرد ان تتغير بيئته التي يعيش فيها ، ولكن الانسان يستطيع ان يتكيف مع اي بيئه ، ولذلك فهو يعيش رغم تغيير ظروف بيئته ، فقد ثبت ان الانسان الذي يعيش في المناطق القطبية يكون بدين الجسم مكننز الدهن ، ليحمى نفسه من شدة البرد ، في حين ان الانسان الذي يعيش في المناطق الاستوائية هزيل الجسم نحيف اسود ، كأنما وضع لجلده مظله تقيه حرارة الشمس(٥٤) .

٥٢ - سورة الاسراء اية ٧٠ .

٥٣ - سورة التين اية ٤ .

٥٤ - د . عبد الغني عبود المرجع السابق ص ٣٥ - ٣٨ .

اما بصدد انغريزه الجنسية فعلى الرغم من اهميتها وتأثيرها البالغين فانها لايمكن ان تكون المحرك الرئيسي لكل نشاطات الانسان لصعوبة تجاهل الدور الذى تلعبه بقية الغرائز الاخرى ، لذلك فان من ابرز اوجه التقيد بوجه لهذه النظرية كان في هذه المرة من قبل خلفائه وانصاره انكبار وهم : الفريد ادلر وكارل يونج ووليام مكدوجال ، بسبب هذه المبالغه في ابراز دور الجنس ، حيث لم يثبت لدى هؤلاء العنماء انه الاصل في توجيه نوازع انسلوك الانسانى وتحديد انواع الشذوذ فيه (٥٥) .

فالفريد ادلر عارض فرويد رغم تأثره الكبير بارائه وحرصه الشديد على الاحاطه بافكاره واستنتاجاته ، وقد دب الخلاف بينهما بسبب اصرار فرويد عنى عرض نظريته في الميول الجنسية عرضا مطلقا ، الامر الذى حدا بادلر الى رفضها رفضا قاطعا .

اما مصدر الخلاف الاساسى بين كارل يونج وفرويد ، فهو اصرار الاخير على اقرار السيطرة الكاملة للميول الجنسية في انحياة النفسية ، فحين يرى يونج ان الجنس لايتفق مع رغبة الانسان في العيش الهائى السعيد اذ الانسان عند بلوغه نهاية الثلاثينات من عمره او بداية الاربعينات منه ، فان الامور الجنسية بالنسبة له تبدو غير مهمه في توجيه نشاطه وسلوكه ، بل يؤكد بان الانسان في هذه المرحلة من حياته يكون متجها ومهتما بالمسائل الروحية مبتعدا قدر الامكان عن الحوافز البيولوجية (٥٦) .

اما مكدوجال فقد وجه البحوث في علم النفس وجهه خاصة من خلال تقسيمه الغرائز الى : غرائز فردية وغرائز اجتماعية ، وقد صنف الغريزه الجنسية ضمن الغرائز الاجتماعية ، اى انه لم يعطها الاهمية او الفاعلية في

٥٥ - د . رؤوف عبيد ، المرجع السابق ص ١٣٠ .
٥٦ - د . مصطفى فهمي ، المرجع السابق ص ٢٩٨ - ٣٢٧ .

توجيه النشاط الانساني . وقد نبج مكدوجال في زعزعه اسس علم النفس
المادى وتقويض بنيانه ، وانشاء علم النفس الروحي محله (٥٧) .

وقد عارضت الدكتورة كارن هورني رأى فرويد بشأن الصراع
الغريزى ، معلنة ان فرويد قد اخطأ في تحليله لهذا الصراع باعتباره نتيجة
لضغط الحاجات الغريزية امام المحرمات الاجتماعية ، لان الاخذ بهذا الرأى
يعنى ان الفرد يولد وهو يحمل معه مجموعة من النزعات الغريزية تفرض
عليه العيش في صراع مستمر لعدم امكان اشباع هذه النزعات ، وانتهت من
انتقادها بالقول : ((ان حرص فرويد على تحرير علم النفس من النزعه
الاخلاقية ادى بالحكم على نظريته بالفشل لانه سار بها في طريق ضيق
وشاق)) (٥٨) .

ب - كما يؤخذ عليه انه كان يميل الى التعميم من بعض الحالات التسي
قام بفحصها وانتائج التي توصل اليها لان فرويد اجرى تجربته على المرضى
والمرضى يتميزون باوصاف غير طبيعية لا يمكن قياس الشخص الطبيعي
عليها ، والواقع يدل على ان المصابين بفقدان الغريزة الجنسية فطره او
مرضا هم اشخاص طبيعيين شأنهم في ذلك شأن المئات من الاشخاص الذين
لم يتزوجوا ولم يمارسوا الغريزة البته ، وفي واقعا الاجتماعي خبير دليل
على صحة ماذهبنا اليه ، حيث ان الخوف من الوقوع في المعصية والحياء
والالتزام الاخلاقي من شأنها جميعا ان تهذب من تأثير الغريزة الجنسية ومن
ثم لا يكون لها اثر على الاشخاص الطبيعيين ، لان قيمهم ومثلهم العليا
جعلتهم ارفع من ان ينساقوا وراء شهواتهم وغرائزهم .

- ٥٧ - د . عبد الغني عبود ، المرجع السابق ص ٤٩ - ١٠٠ .
٥٨ - د . مصطفى فهمي ، المرجع السابق ص ٣٣٣ - ص ٣٣٥ .

وصفوة القول : ان الاراء والاستنتاجات التي وردت في هذه النظرية لم يثبت صحتها من الناحية العلمية ولا تزيد عن كونها افتراضات لم تقترب بتأييد العلم التجريبي ، رغم حرص فرويد على عرض هذه الاراء والاستنتاجات مكلله بغطاء المنهج التجريبي ذاته ، وقد اوضح الاستاذ كارل ياسبرز ما اشيع عن فرويد من انه اكثر شهرة من غيره وان ارائه متمسكه بالعلمية مما يجعلها اكثر رواجاً من غيرها ، يقوله : ((لقد كان طبيعياً ان تسيطر على النفوس اساليب فرويد ومدرسته في مجتمع مهزوز مكدود ، ومن الممكن ان نلاحظ ان الناس في عالمنا المقلوب قد احسوا حاجة شديدة الى التجدد وجاء التحليل النفسي فزودهم بذلك الوهم ، وكان مخادعاً خداع ذلك العائم ذاته (٥٩) ، فهو يرمى الى نشر الروح الاباحية في المجتمع العالمي وزعزعة الاخلاق بحجة الظن الفاسد المتمثل في اعتبار هذه الاباحية دواء مناسب للصحة النفسية ، وما هي بدواء بل هي مرض خبيث تزول المجتمع الانساني وترديه الى مستوى المجتمعات الحيوانية فالرذيلة والتحلل واختلاط الانساب لا تتلائم مع المجتمع الفاضل ، وهل يمكن للانسان ان يأمن على شرفه وعفته في مجتمع تسوده الفوضى الاخلاقية والتحلل .

٥٩ - د رؤوف عبيد ، المرجع السابق ص ٥ .

الفصل الثاني

التفسير الاجتماعي للمظاهرة الاجرامية

تم نظريات شتى ابداءها العلماء خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين فسرت السلوك الاجرامي في ضوء العوامل الاجتماعية ، الامر الذي ترتب عليه ظهور اساليب في البحث تتلائم وطبيعة الدراسات الاجتماعية ، وقد اثرنا اختيار بعض هذه النظريات مع دراستها دراسة نقدية تحليلية . ومن اهم النظريات في هذا الميدان نظرية التفكك الاجتماعي ونظرية العوامل الاقتصادية ، وهذا ما سنتناوله تباعا في مبحثين :

- المبحث الاول : نظرية التفكك الاجتماعي
- المبحث الثاني : نظرية العوامل الاقتصادية

www.alkottob.com

المبحث الاول

نظرية التفكك الاجتماعي

رائد هذه النظرية عالم الاجتماع الامريكى ثورستن سيلين ومن استعراض اهم الافكار التي تضمنتها هذه النظرية يبدو لنا جليا ان سيلين قد استوحى نظريته من واقع المجتمع الامريكى الذى عاصره ، ومن واقع المجتمعات التي عاصرها واثم يعايشها بل طرقت مسامعه الظواهر الاجرامية فيها . وقارنها بالمجتمعات الريفية التي وجد فيها انخفاضاً في حجم الظواهر الاجرامية فيها قياساً الى حجم تلك الظواهر في المجتمعات المتحضرة، مما شجعه على اجراء مقارنه عديدة كانت نتيجتها ارتفاع حجم الظاهرة الاجرامية ارتفاعاً كبيراً في المجتمعات المتحضرة وانخفاض حجم هذه الظاهرة انخفاضاً كبيراً في المجتمعات الريفية : لهذه العله ارجع الظاهرة الاجرامية الى التفكك الاجتماعي الذى يعتبر السمة المميزة للمجتمع المعاصر ونادى بوجود تحقيق الترابط الاجتماعي بصفته الوسيلة الافضل في الحد من هذه الظاهرة ومن الادلة التي اعتمد عليها ماياتي : -

- 1 - ان الانسان في المجتمع الريفي يعيش حياة بسيطة تخلو من العقرب المسيبه للظاهرة الاجرامية ، حيث ينمى الانسان الحنان والعطف الذى من اسرته وذويه وعشيرته اذ الاخوه والاعمام والاخوال يشعرون بالراحة والاستقرار في حين ان الانسان في المجتمعات المتحضرة

الاجتماعية بين هذه الاسر . بهذا يصاب الفرد بالعزلة والوحدة ويشعر
بعدم وجود من يقف الى جانبه في انسراء والضراء .

٢ - لا توجد لدى الانسان الريفي الظروف الانادية الصعبة التي ربما تكون
سببا في ارتكاب الجريمة لان بقية افراد العشيرة تعينه في احوالات التي
يواجهها وكأنه لم يشعر بصعوبة التكاليف التي تتطلبها الحياة في احوال
الافراح والاتراح وما يواجهه من مرض وشيخوخة وغير ذلك من الكوارث
التي لو اصاب بها الانسان في المجتمع المتحضر لاشعرته بالوحدة لهاجته
الماسة الى مساعدة الاخرين مما يكون باعثا للمحند والكراهية بحق ابناء
مجتمعه ، فيشعر هذا الفرد وكأنه وحده في كل الاحوال الصعبة التي يحتاج
فيها لغيره . ولذلك يكون هذا الشعور مدعاة لاصايته بالقلق والخوف من
مجتمع لم يقف معه خيرا او شرا . ولهذا يسهل عليه اقرار الجريمة .

٣ - غالبا ما يتسم الانسان الريفي بالقناعة والطموح المشروع بالنظر
لما تتميز المجتمعات الريفية بالبساطة والانسجام بين افرادها ، ويسهل على
الانسان ان يشبع جميع رغباته ، فهو لا يحتاج مثلا الى وسائل النقل لقرب
عمله من مسكنه ولا يحتاج الى دور اللهو والخيال ومحلات المشروبات ولعب
تمار ، هذه الظواهر التي كثيرا ما تكون سببا في ارتفاع حجم الظاهرة
في المجتمعات المتحضرة وانخفاضها في المجتمعات الريفية ، ولكن
ان في المجتمع المتحضر وتنوعها وتشعبها فان نظامه ونظامه
قد يذكر . ومن شأن ذلك ان يترافق بالالتزامات التي

الجرائم اشباعا للرغبات المتعددة والشهوات المتجددة (١) .

تقييم نظرية التفكك الاجتماعي :

اولا - مزايا النظرية / تمتاز هذه النظرية بخصائص شتى منها :

١ - دعت هذه النظرية الى ان يتشبه المجتمع المتحضر بالمجتمعات الريفية من حيث شدة الترابط وقوة التعاون وعمق التكامل الاجتماعي ، ونحن نميل الى هذا الرأي وندعو الى تطبيقه نظرا لما للترابط الاجتماعي من اثار ايجابية على مشاعر الانسان بالحب لمجتمعه الذي يعيش فيه ، ومتى ما احب الانسان مجتمعه فانه يصعب عليه اقرار الجريمة بحق احد افراده .

٢ - ان هذه النظرية تدعو الى تربية الطفل وتنشأته نشأة ريفية وتمويده على العادات والتقاليد التي تسود في المجتمع الريفي كي ينشأ متعاوناً ووديعاً وبهذه النشأة يسهل عليه التغلب على مشاكل الحياة العصرية وما يتبعها من صعوبة وتعقيد بالغين ، ولعمل نشأة الطفل وفق التقييم الروحية والاخلاقية من شأنها ان تحل له كثيرا من المشكلات التي يعاني منها الفرد في المجتمع المعاصر فتتخفف نسبة ارتكاب الجرائم . لانه فيها خروجاً على قيم المجتمع وضوابطه .

٣ - جاءت هذه النظرية تأكيداً للرأي القائل ان : بكل مظهر حضاري جريمة تقابله من خلال ربطها بين التقدم الحضاري والتقني الذي تشهده المجتمعات المعاصرة اليوم وبين ارتفاع نسبة الجرائم كما تظهره الاحصاءات المعتمدة بهذا الصدد .

١ - د . عبد الفتاح الصيفي رد . محمد زكي ابو عابر . المرجع السابق ص ٧ د . فوزية عبد الستار المرجع السابق ص ٤٨ و ٤٩ د . مأمون محمد سلامة ، المرجع السابق ص ١٢٧ - ١٣٠ د . رؤوف عبيد المرجع السابق ص ١٩٣ - ١٩٤ .

٤ - اوضحت هذه النظرية ان سبب الظاهرة الاجرامية بناء على منطلقتها هو الضمير الذى يفسد بالتفكك الاجتماعى ويصلح بالتعاون والترابط الاجتماعى ، وكلما فسد الضمير زادت نسبة ارتكاب الجرائم وكلما تربي الضمير وصلح انخفضت هذه النسبة . وهذا الذى يفسر لنا ازدياد نسبة الاجرام في المجتمعات المتطورة لان الانسان في ظل هذه المجتمعات يعيش في جو من التفكك وعدم الترابط الاجتماعى مما يزيل الحب من قلب هذا الانسان تجاه افراد مجتمعه لشعوره بالعزلة عنهم ، ونتفق مع منطق هذه النظرية بانظر الى تسليمه تربية الضمير من معاني سامية تدفع الانسان لسلوك طريق الخير والارشاد وحب لاء مجتمعه ، وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على اشاعة هذا الخير من خلال الربط بينه وبين الايمان بقوله (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاءه ما يحب لنفسه)) .

انيا : الانتقادات الموجهة لهذه النظرية :

وجه الباحثون لهذه النظرية عللا نقدية متعددة منها :

١ - يتسم افراد المجتمع المتحضر كافة بسمات التفكك وضعف الروابط الاجتماعية ، ومع ذلك فان الذين يقتربون الجريمة هم بعض افراده وليس جميعهم . ولو صح ارجاع سبب الظاهرة الاجرامية الى التفكك الاجتماعى لكان من متتضى ذلك ان يقترب الجريمة جميع افراد المجتمع وليس بعضهم ويمكن القول بهذا الصدد ان التفكك الاجتماعى يمكن ان يكون سببا مع اسباب اخرى يكون كل منها علة في ازدياد حجم الظاهرة الاجرامية في المجتمعات المتحضرة .

٢ - ان هذه النظرية استوحاها سيلين من مجتمعه الامريكى وما يتميز به من ظروف خاصة له، لذا يمكن لسيلين ان يطبق هذه التجربة على المجتمع الامريكى لانها تتناسب مع قيمة وتقائده، في حين يصعب تطبيقها على المجتمعات الاخرى المختلفة تماما عن المجتمع الامريكى لانه مجتمع رأسمالى مبادئ معض، والمجتمعات الرأسمالية غالبا ما يتسم افرادها بسمات الانانية والتفكك وضعف الروابط الاجتماعية، ولعل المجتمعات الاخرى لا تتسم بهذه السمات لذا لا يمكن قياسها على المجتمع الامريكى الذى اجريت هذه الدراسة عليه وصفوة القول :-

ان التفكك الاجتماعى الذى كان محور هذه النظرية قد يكون سببا فسي زيادة حجم الظاهرة الاجرامية في المجتمعات، التي تنحوا من القيم الاخلاقية الفاضلة: ان المجتمعات المتحضرة اذ التزمت بهذه القيم فانها تساهم فسي خفيض الظاهرة الاجرامية، حيث الخوف من الله سبحانه وتعالى والعقاب الدينوى و لاخرى له تاثير ايجابى في الحد من الظاهرة الاجرامية، فيهدب الضمير ويتطهر ماتم ربطه بالرقيب الذى لاينام، والجريمة تتناسب تناسبا عكسيا مع شدة الخوف من الله وطهارة الضمير، اذ كلما امتلأ الضمير بحب الله والخوف منه انخفضت نسبة الجرائم، وكلما زال الخوف من الله وتلوث الضمير لم يشعر الانسان بوجود من يراقبه وعندئذ يتصرف على اساس غياب الرقابة الذاتية ومن شأن ذلك ان يساهم في زيادة حجم الظاهرة الاجرامية، اذ لا حرج يعول بين هذا الانسان وبين اقرار الجريمة، ثم المجتمعات الملتزمة بالقيم الفاضلة والتقاليد الصالحة حتى وان كانت متحضرة ومتقدمة فانها تنشأ نشأة تكافلية تجعل الانسان يعيش في المجتمع وهو يشعر وكأنه يحيا في اسرته وبين اهله وذوية يحيا في الاسرة الكبيرة وفي مجتمعه الذى كان معه في السراء والضراء معه في الافراح والاتراح قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد

إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، كما حث عليه الصلاة والسلام على الاهتمام بشؤون الارامل واليتامى والمساكين بقواصه ((الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)) . وذلك تنفيذا لقول الباري عز وجل ((وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)) وقد بلغ شدة التكافل الاجتماعي مبلغا منقطع النظير في المجتمعات الاسلامية من خلال الامة التي اولها اياه الفقهاء المسلمون ، اذ حمل هؤلاء الفقهاء الجار الضمان اذا جاء بطعام ذو رائحة فشمته امرأة تمانى من الوحام فحرمها منه مع العلم والطلب حتى سقط جنينها(٢) . وكيف يحقد الفرد على مجتمع تسوده هذه المثل الفضلى وتوجهه تلك القيم المثلى، ونحن لاننكر على الاستاذ سيلين متطانيات المجتمعات المتحضرة المعقدة والمتشعبة حيث الطمع والجشع والنهم والنظر الى ما يملكه الغير بعين الحسد والشعور بالانانية ثم التبارى بكنز المال وجمعه دون تحرى الوسائل المشرعة انسياقا وراء رغبة الاثراء السريع ، كل هذه الامراض المعنوية تكون سببا يفضي الى ان تصاب نفس الانسان بغشاوة مميونة تجعلها تتخلى عن مراتها الرحمانية الشفافه وادميتها لتتقلب الى نفس لاتعرف الا اشباع الشهوات والملذات التي ليس لها حدود في هذا الوجود، ومع هذه الحقيقة المسلم بها فان الافراد الذين اتسموا بسكون القلب واطمئنان الروح تسليما بما قسم الله تعالى لها في هذه الحياة، نجد ان هؤلاء الافراد قد تطهروا من هذه الامراض، وكما يؤيد الواقع الاجتماعي اولئك المصابون بالمعاناة من الذين حرموا من المال والولد او نعمة البصر ، نجد المؤمنين انصابين منهم تملأ محياهم الابتسامة وكانهم ينعمون بالسلامة يعيشون سعداء قلوبهم خال من الحسد والحقد والانانية، لان ما اصابوا به وحرموا

٢ - د . خالد رشيد الجميلي ، الدية واحكامها في الشريعة الاسلامية والقانون ، بغداد مطبعة دار السلام ، ٩٧٥ ، البحث المتعلق بالجريمة على الجنين ص ٤٠٥ .

منه قضاء الله سبحانه وتعالى ولا مرد لقضائه ، ثم المجتمعات الريفية لا تدل
بإضرورة على بعدها عن الجريمة وتخليها عن السلوك الاجرامي ، اذ ليست
العبرة بالريف او التحضر وانما بالقيم السائدة والارواح الزاهدة، لان التحضر
وصل الى الريف ايضا ، حيث مظاهر الحضارة تنتشر في الريف كما تنتشر
في المدينة ، لكن القيم السائدة في الريف هي السبب المؤثر في حجم الظاهرة
الاجرامية ارتفاعا او انخفاضاً ، وما دامت المثل والقيم الفاضلة هي السبب
المباشر في التقليل من حجم الظاهرة الاجرامية فيمكن ان ننادى بتحضير الريف
كما نحضر المدينة بشرط الحفاظ على القيم الاخلاقية والتقاليد الصالحة في
كل منهما ، وبذا نكون قد حققنا التحضر المادى والتحضر الروحي في أن واحد
لكل من الريف والمدينة •

www.alkottob.com

المبحث الثاني

نظرية العوامل الاقتصادية

اتجه بعض العلماء الى تفسير الظاهرة الاجرامية من خلال الربط بين الازدواج الاقتصادية السائدة وبين السلوك الاجرامي ، اذ ان النظام الاقتصادي سواء كان رأسماليا ام اشتراكيا يرتبط اشد الارتباط بالسلوك الاجرامي ويوجهه وجهة الخير او الشر ، لذا فان كل ما يصيب هذه الانظمة من خلل فان التأثير السلبي لهذا الخلل يظهر في السلوك الانساني (٣) ويرى هؤلاء العلماء ان النشاط الاقتصادي يؤثر تأثيرا كبيرا في توجيه العلاقات الاجتماعية وتحديد انماطها ، لان العوامل الاقتصادية تهيمن على جميع نشاطات الافراد ومن ضمنها النشاط الاجرامي ، وهذا يعني ان السلوك الانساني يخضع لتأثير تلك العوامل ، ويتحقق الجانب الاكبر من هذا السلوك في النشاطات الاقتصادية الضرورية ، كالانتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك (٤) .

وقد حاولت المدرسه الاشتراكية من قبل الربط بين العوامل الاقتصادية والسلوك الاجرامي ، ووفقا لمفهوم هذه المدرسه : / ان الظاهرة الاجرامية ظاهرة شاذة في حياة المجتمع ، وانها ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الرأسمالي بل انها ثمرة من ثمراته ، فتركيبية هذا النظام وطبيعة العلاقات السائدة فيه تفضي حتما الى الظلم الاجتماعي ، لانه نظام لا يتوخى العدالة والمساواة ، فتقع الجريمة نتيجة لهذا الظلم ، اما في ظل المجتمع الاشتراكي فان مظاهر الجريمة تكاد ان تختفي تماما ، وان وقوع بعض الجرائم الضارة برفاهية هذا المجتمع لا يغير

٣ - د عبد الفتاح الصيفي ود . محمد زكري ابو عامر ، المرجع السابق ص ١٠٧ .

٤ - د . يسر انور ود امل عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ١٥٧ .

من هذا الاتجاه وإنما يدل على تفشي امراض معينة في افراده (٥) .
ويتضمن هذا الاتجاه العديد من النظريات التي حاولت تفسير السلوك
الاجرامي من خلال الربط بين ظاهرة الاجرام والعوامل الاقتصادية ، الا ان
لطابع الغالب على هذا الاتجاه كان لنظرية العالم بونجيه ، ولما اشتملت عليه
هذه النظرية من تحليل الكثير من الظروف والعوامل الاقتصادية فقد آثرنا
اختيارها كنموذج لهذا الاتجاه مع دراستها دراسة تأصيلية وتحليلها وتقويمها ،
حيث خصصنا لدراستها مطلبين ، اتناول في اولهما مفهوم السلوك الاجرامي عند
بونجيه ، واعراض في ثانيهما تقييم هذه النظرية .

المطلب الاول

مفهوم السلوك الاجرامي عند بونجيه

العالم الهولندي وليم ادريان بونجيه (١٨٧٦ - ١٩٤٠) استاذ علم
لاجتماع في جامعة أمستردام ، اتجه في تفسير الظاهرة الاجرامية على اساس انها
ظاهرة من الظواهر الاجتماعية ترتبط بعوامل اقتصادية معينة ، وذهب كبقية
انصار هذا الاتجاه الى ان النظام الرأسمالي هو العامل المسبب للسلوك
الاجرامي (٦) ، مع حرصه على ابراز العلاقة الوثيقة بين هذا النظام وبين ظاهرة
الاجرام التي تكون ثمرة هذا النظام بسبب الظلم الاجتماعي الذي يلحق بافراده .
ومن استعراض أهم الافكار والآراء التي استند عليها بونجيه في صياغة
نظريته يبدو لنا جلياً انه تأثر كثيراً بافكار المدرسة الاشتراكية عموماً ، كما
كان لبعض العلماء دوراً متميزاً في تحديد اتجاهه الفكري وخصوصاً كارل ماركس
وسترلاند ، اذ يرى الاول أن نظام الانتاج الاقتصادي لمواد الحياة يتحكم في كافة
نواحي الحياة ومنها النشاط الانساني المكون للسلوك الاجرامي ، مؤكداً بهذا

٥ - د . عوض محمد ، المرجع السابق ص ٩٩ .

٦ - د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٥٧ .

الصدد : ان الظاهرة الاجرامية تتحق نتيجة الخلل الذي يصيب النظام الاقتصادي وحدد سمات وشروط لهذا النظام تنطبق في مجملها على النظام الاقتصادي الرأسمالي ، لذا لا بد من اصلاح هذا النظام فيما اذا اريد صلاح المجتمع بأكمله وينتهي كارل ماركس الى القول ((ان كافة الظواهر السلبية التي تظهر فسي المجتمع ومنها ظاهرة الجريمة ترجع اساسا الى النظام الاقتصادي السائد(٧) .

في حين يرى الاستاذ سذرلاند بان المجتمع مثلا في كافة طبقاته قد تطلع الى الثورة الصناعية من اجل الحصول على المورد المالي الجيد دون بذل مشقة او جهد ليساهم في تحسين مستوى المعيشة والارتقاء الى المستوى المقبول من الرفاهية والسعادة ، بحيث ان المال والثروة اصبحتا تعني القيمة في حين ان الفقر والحرمان يعني المذلة والمهانة ، ولذا فان الادخار اصبح فضيله وقد ادى هذا الانقلاب في المفاهيم والقيم الى زيادة حجم الظاهرة الاجرامية اذ انصب الاهتمام على جمع المال وكنزه اكثر من الاهتمام بطريقة كسبه(٨) .

وبهذا الصدد يؤكد بونجيه ((ان اهم عامل يساهم في تحقيق الظاهرة الاجرامية هو الضغط الاقتصادي للنظام الرأسمالي وما يسببه من آثار سيئه على سلوك الانسان ومشاعره ، وعلى الاخص الشعور بالانانية والحقده ، مما يدفع بعض الاشخاص الى اقرار الجريمة ، ويعمل بونجيه قيام العلاقة الوثيقة بين السلوك الاجرامي والنظام الرأسمالي ، في ان الفرد يكتسب منذ نشأته غرائز اجتماعية ، فاذا لاقت تلك الغرائز على مدى مراحل حياته ظروف اجتماعية صالحة ترسخت لديه هذه الغرائز الاجتماعية الجيدة ، ورسوخها يعني استبعاد واستئصال الغرائز الفردية الذاتية المتسمة بالانانية ، وعلى العكس من ذلك اذا واجهت تلك الغرائز ظروف اجتماعية سيئه ترسخت لديه مشاعر الحقده

٧ - د . يسر انور علي ود . امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ١٥٧
٨ - د . عبد الفتاح الصيقي ، د . محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ و ١٢٩ .

والانانية(٩) ومن شأن الغرائز الاولى ان تتسم بالمحبة والخير في حين ان الغرائز الاخيرة تدفع بصاحبها نحو طريق الشر والرذيلة ، لذا تقع الجريمة لانها وفقا لتصور بونجيه ما هي الاسلوكا انانيا ينتهجه الفرد من اجل اشباع رغباته وشهواته الفردية .

ويوضح بونجيه الاسس التي يقوم عليها النظام الرأسمالي ، والتي يعتبر كل منها دافعا وموجها الى نمط معين من انماط السلوك الاجرامي ومن هذه المبادئ والاسس الرغبة في تحقيق الربح الفردي ، وما تسببه من ترسيخ للنزعات الانانية ، اذ يحرص التاجر على ان يبيع سلعته باغلى ثمن حتى وان حصل عليها بابخس الاسعار من اجل تحقيق مصلحته الشخصية المحضة باتباع وسائل غير مشروعة كالغش و الاحتيال والتزوير(١٠) والتي يكون كل منها جريمة بحد ذاته ، كما ان التنافس بين اصحاب رؤوس الاموال من شأنه ان يدفع هؤلاء المتنافسين الى اتباع الوسائل غير المشروعة من اجل الصمود امام منافسيهم ، لان سعي هؤلاء لا يقتصر على تحقيق المصلحة المالية الشخصية له وانما يسمى الى محاربة المنتجين الاخرين للنيل من سمعتهم ومكانتهم ليخلسو له الميدان ويبيع سلعته بما يشاء من الثمن ، ولا يتم له ذلك الا بارتكاب بعض الاعمال التي تمثل جرائم كالقذف والبلاغ الكاذب(١١) ويشير بونجيه بهذا الصدد ايضا الى الفروق الطبقية الكبيرة التي تبرز بوضوح في ظل هذا النظام بين طبقة ارباب الاعمال وطبقة العمال سواء من حيث المسكن او الملابس او الغذاء او التعليم وغير ذلك من المتطلبات الاساسية التي تقتضيها طبيعة الحياة المعاصرة ، فساعات العمل الطويلة والظروف السيئة للعمل وانعدام الضمان الاجتماعي والصحي وقلة الاجور والامية ونقص التعليم ورداءة المساكن ، يعبر

٩ - د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٥٨ .

١٠ - د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٥٧ .

١١ - د . يسر انول علي ود . امال عبد الرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٦١ ،

عنها بونجييه بانها مظاهر اجتماعية ذات طابع اقتصادى تدفع الفرد الى اقتراض الجريمة كما تشير الى ذلك الاحصاءات الجنائية ، وينتهي بونجييه من عرض نظريته ليقرر بأنه : ان العوامل التي تحقق الظروف غير الملائمة للنظام الرأسمالي والفروق الاجتماعية السائدة في ظلها من شأنها ان تثير الحقد والانتانية لدى الطبقة العاملة ضد طبقة ارباب العمل أو اصحاب رؤوس الاموال ومن ثم يدفع بعض افراد الطبقة العاملة للتعبير عن هذه الفرائز الفردية بانتهاج طريق الشر والجريمة .

المطلب الثاني

تقييم نظرية بونجييه

يقتضي تقييم هذه النظرية ابراز الجوانب الايجابية التي تضمنتها كما يقتضي في الوقت نفسه تحقيقا للامانة العلمية الكشف عن الجوانب السلبية لهذا النظرية ، وهذا ما سناوضحه في الفرعين الاتيين :

الفرع الاول / مزايا نظرية بونجييه

الفرع الثاني / نقد نظرية بونجييه

الفرع الاول

مزايا نظرية بونجييه

لا ريب في ان بونجييه اصاب الحقيقة حين ابرز أهمية التطور في التأسيس على ظاهرة الجريمة ، فالتطور الذي يصيب اى ميدان من ميادين الحياة يؤشر حتما في تطور الظاهرة الاجرامية في جانب من جوانبها ومن هذه الميادين الميدان الاقتصادى ، لذا فنحن لا يمكن ان ننكر الدور الكبير الذى تلعبه العوامل

والظروف الاقتصادية في تثبيت الغريزة الاجتماعية للفرد والكشف عن مدى سلامتها ، فقد اثبت علماء الاجرام ان التطور الاقتصادي الذي طرأ على اوربا خلال القرن التاسع وحولها من مجتمعات زراعية الى مجتمعات صناعية قد اثر في السلوك الاجتماعي للافراد الذين عاشوا تلك الفترة كما اثبتت الدراسات الاحصائية ان تحسن الحالة الاقتصادية افضى الى جرائم الاموال التي يستهدف الفرد فيها الكسب غير ، في حين ان التقلبات الاقتصادية السيئة تترك اثرا واضحا على الاسعار والاجور ومن شأن ذلك زيادة في حجم الظاهرة الاجرامية(١٢) بسبب انخفاض مستوى المعيشة وما يترتب عليها من ارهاق كاهل الافراد باعباء مالية جديدة تسبب لهم الكثير من المشاكل .

وهذه الحقيقة لا يمكن انكارها ، فتوفير الحد الأدنى من المتطلبات التي تقتضيها الحياة الآمنة الكريمة لكل انسان هي أمنية يسعى جميع المخلصين والباحثين في مختلف العلوم الانسانية الى تحقيقها .

الفرع الثاني

نقد نظرية بونجيه

رغم ماتم ذكره من مزايا الا ان هذه النظرية تعرضت في الوقت نفسه لانتقادات شتى منها :

١ - عجز هذه النظرية من الاحاطة بالسلوك الاجرامي من كافة جوانبه فجرائم الاموال لا تمثل كل انواع الجرائم المنصوص عليها في القانون الجنائي بل تمثل جانب من هذه الجرائم ، وهي التي يستهدف الجنائي فيها

١٢ - د عوض محمد ، المرجع السابق ص ١٠٠ .

تحقيق الكسب غير المشروع . في حين ان باقي انواع الجرائم لا يكون هدف الجاني من اقترافها تحقيق الكسب الحرام ، كجرائم الاعتداء على الاشخاص والجرائم الاخلاقية ، فقد اثبتت الدراسات الاحصائية ان هذه الجرائم لا تكاد تتأثر بالمتغيرات الاقتصادية (١٣) .

٢ - تؤكد هذه النظرية على ان الظروف الاقتصادية انسيئه تشمل عاملا اساسيا ومباشرا في دفع الفرد الى الجريمة ، وقد اعتبرت الفقر مثلا لهذه الظروف باعتباره ظرفا اقتصاديا سينا حيث اكدت ان الفقر الذي يصيب الفرد يكون سببا مباشرا في دفعه نحو اقتراف الجريمة ، وهذا يعني ان هذه النظرية ربطت ربطا مباشرا بين السلوك الاجرامي ، ان مثل هذا الربط وما يترتب عليه من ابراز لاهمية الفقر وتأثيره لا يمكن قبوله لسببين : -

الاول : ان الفقر حاله نسبيه تختلف باختلاف الاشخاص تبعاً لاتساع حاجاتهم وتنوعها ووسائل اشباعها لذا يصعب تحديد احواله التي يكون عليها الفرد ، لانه لا توجد وسائل ثابتة يمكن بموجبها اعتبار شخص ما فقيرا .

الثاني : نقد انتهى الاستاذ سذرلاند من الدراسات التي اجراها للتحقيق من صحة قيام الرابطة الوثيقة بين الفقر والجريمة ، بقوله : ان الجريمة كما تقترب من الفقراء يمكن ان تقترب ايضا من غير الفقراء فقد اثبت سذرلاند بان الجريمة يمكن ان تقترب من اشخاص ينتمون الى الطبقات العليا في المجتمع ويشغلون المراكز المحترمة فيه ، وهم اصحاب الاعمال ، وقد عدل هذا الرأي بان الوضع المالي الممتاز وما يتمتعون به من

١٣ - د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .

مزايا وما يمارسونه من سلطة ونفوذ فهذه المزايا الايجابية ينظر سذرلاند لاتهم من اقتراف الجرائم بل على العكس ربما تكون عاملا مساعدا لانحرافهم حيث يشعروا بان هذه المزايا تحقق لهم الحماية المرجوه فيعمدوا الى استغلال هذه الظروف لتحقيق منافع شخصية ذاتية ، حتى وان تحقق ذلك باقتراف اكبر الجرائم باتباع اسلوب يضمن لهم الاستمرار في ممارساتهم الاجرامية دون ان ينكشف امرهم امام السلطات المختصة .

وبالاضافة الى هذه الدراسة فقد اثبتت الاحصاءات المختلفة ان الجريمة يمكن ان تقع من الاشخاص الذين يكونون في وضع اقتصادي جيد حيث اكدت هذه الاحصاءات ان كثيرا من الجرمين هم ليسوا من الفقراء (١٤) ونحن نميل الى ترجيح هذا الاتجاه ، ونضيف بهذا المصدد : ان انقصر لا يمكن ان يكون عاملا مباشرا في اقتراف الجريمة ، لان هناك كثيرا من المعاني الفاضلة لاتنشأ في ظل الغنى او الفقر لكنها يمكن ان تؤثر تأثيرا ايجابيا في توجيه سلوك الانسان نحو الخير والفضيلة ونعترف في الوقت نفسه ان الفقر لدى فرد يتصف بضعف الوازع الاخلاقي يمكن ان يؤثر تأثيرا سلبيا في سلوكه ، الا ان الفقر لايمكن بحد ذاته ان يكون عاملا اجراميا على الرغم من صعوبته ومرارته ولذا قال سيدنا علي كرم الله وجهه : ((كاد الفقر ان يكون كفرا)) لان القناعة والنزاهة وعفة النفس ونقاؤه الضمير وطهارة القلب من الحسد وانحدق والانانية من شأنها ان تصفي الروح وتنقي النفس وتطهر القلب ، وحتى وان كان من يحمل هذه الصفات فقيرا او محروما لعدم وجود العلاقة بين هذه المعاني الروحية وبين المال ، نظرا لما تحققه هذه المعاني للفرد من مزايا كبيرة تتمثل في

١٤ - د . عبد الفتاح الصيفي ، المرجع السابق ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، د . يسر انور علي ود . امال عبد الرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٦٠ ، ١٦٢ .

الملجأ الامن والعصن الاخلاقي والملاذ الروحي ، وهذا لايعني باننا ندعو الى اليأس والقنوط والكسل فهذه المعاني تسيير جنبا الى جنب مع المعاني القيمة التي حث المصطفى صلى الله عليه وسلم على اشاعتها ومنها حب العمل بقوله ((من امسى كالا من عمل يده امسى مفقورا له)) وقوله ((اليد العليا خير من اليد السفلى)) ، لان الانسان الغني ان وتجرد من هذه المعاني فان مايملكه من مال وثروه لاتحول بينه وبين الجريمة ، فلو كان انانيا ذو قلب حقود فانه لايفكر الا في تحقيق مصلحته الخاصة ، حتى وان كان في تحقيقها ضررا للآخرين ، كما انه لايحس بالرحمة تجاه احد لان قلبه خاليا من معاني الحب لافراد مجتمعه ، بل على العكس من ذلك فانه يفرح لتألمهم ويحزن لفرحهم ، وانسان بهذه الصفات تهون عليه الجريمة وبعق من كان ، ولاتعصمه حالته فيما اذا كان غنيا ام فقيرا .

٣ - يؤخذ على الاستاذ يونجيه ميله الى التعميم من التحالات الفردية وهذا يتنافى مع الاسلوب العلمي الصحيح ، لان الاخذ بمنطق هذه النظرية يعني ان كل من يعيش في ظل النظام الرأسمالي يجب ان يقترف الجريمة بالنظر للربط المحكم المذى اظهرته النظرية بين الازوضاع الاقتصادية السائدة وبين السلوك الاجرامي ، فقد ثبت علميا ان كثيرا من الافراد الذين يعيشون في ظل هذه الازوضاع مازلوا بعيدين في سؤوكهم عن الجريمة، وثمة دليل اخر مستمد من الواقع المعاصر يدحض المفهوم المعاكس لهسذه النظرية والقاضي : ان المجتمعات ذات النهج الاشتراكي تختفي فيها الجريمة ، فالمجتمع السوفيتي الذي يمثل طبيعة المجتمعات الاشتراكية لم ينجح في استئصال جذور الجريمة من افراده(١٥) .

١٥ - د - عوض محمد ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ و ١٠١ د - فوزيه عبد الستار المرجع السابق ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

وصفوه القول :

ان التعميم والاطلاق الذي امتازت به هذه النظرية اضافة الى القصور في المتصور الذي وقع فيه بونجيه قد حجبت عنه جوانب مضيئه ومهمة من السلوك الانساني ، فالحقيقة الاجتماعية ينبغي للاحاطة بها ان ينظر اليها من جميع جوانبها دون الاقتصار على جانب واحد : كسي تأتي الرؤيا متكاملة -

الفصل الثالث

التفسير التكاملي للظاهرة الاجرامية

عرضنا في الفصلين السابقين اهم النظريات المشهورة في ميدان الدراسات الجنائية والتي حاولت تفسير وتحليل الظاهرة الاجرامية سواء اكانت بصفتها ظاهرة فردية ام بصفتها ظاهرة اجتماعية ومن خلال دراستنا التحليلية التأصيلية تبين لنا انه لا يمكن اسناد الظاهرة الاجرامية الى عامل واحد سواء اكان هذا العامل فرديا او اجتماعيا ، وقد اثبتنا من خلال هذه الدراسة قصور كل هذه النظريات وعجزها عن ان تحيط بالظاهرة الاجرامية بمفردها كما تبين لنا خطأ التعميم والاطلاق الذي وقعت فيه بعض هذه النظريات .

وبما ان الظاهرة الاجرامية ثمرة العوامل الفردية والاجتماعية معا هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان العلماء النظريين يتجهان الى العلماء الذين يميلون الى الدراسات التطبيقية التجريبية ، لان النظريين يتجهون نحو التجريد والتعميم في حين يعمد التطبيقيون الى دراسة كل حالة على حده بعد مراعاة الظروف الخاصة بكل حالة ، وعلى الاغلب تكون هذه الظروف متباينة .

ومن اجل تفادي هذه العيوب وحرصا على تحقيق تفسير تكاملي للظاهرة الاجرامية ، لا بد من تضافر كل الجهود بحيث يتعاون جميع المتخصصين في البيولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وغيرهم مع اقتران الدراسات النظرية بالدراسات المعملية من اجل الوصول

الى نتائج اشد ثباتا واكثر اتساعا. (١) .
وبناء على ما تقدم فاننا سنعرض لاهم النظريات ذات الطابع التكاملي
في مبحثين نخصص اولهما للتفسير الاسلامي للمظاهرة الاجرامية ونعرض
في ثانيهما لنظرية الاستعداد الاجرامي .

١ - د . عبد الفتاح ود . محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ص ١٣٠ ،
١٣١ ، ١٣٢ .

المبحث الاول

التفسير الاسلامي للسلوك الاجرامي

حرص الاسلام منذ فجره على بناء مجتمع سليم يمثل القاعدة الصحيحة في انشاء دواة الحق والعدل التي جاء لاقامتها ، ولما كان اقامة المجتمع السليم لا يتحقق بدون اعداد البنات الاوى فيه وهم الافراد ، لذا فقد كان للفرد النصيب الاوفى في مهمة البناء والاعداد حيث كان دائما مكان الرعاية والاهتمام ، اذ بذل الفقهاء المسلمون ما في وسعهم من اجل التوصل الى هذه الغاية والعمل على تحليل وتفسير السلوك الاجرامي من خلال التصور الاسلامي لشخصية الفرد وتهيئة مستلزمات صيانتته لان اساس المجتمع الصالح هو الفرد الصالح وحرصا منهم على ان تؤتي هذه العملية ثمارها فقد وضعوا قواعد رصينة تحكم عملية اصلاح وتهذيب الفرد مستهدفين صلاح المجتمع الاسلامي ونظافته من الجرائم والانحرافات، ومن اجل ذلك كان الاعداد يقوم على مرحلتين : -

المرحلة الاولى : الصياغة الاخلاقية الموحدة :

يقيم الاسلام قواعده الاخلاقية في اتجاه الانسان على اساس انه المغايه في التكوين والغايه في الاعداد وليس وسيلة كما يراها البعض يستخدمها لتحقيق غاياتهم ، وتحقيقا لذلك ينبغي ايجاد الذات الانسانية المستقلة بحريتها وكيانها ليكون للالتزام الاخلاقي من جانبها اثر تبرز فيه شخصيته الانسانية العامة وبعد تحقيق هذه الذات الصالحة يحرص الاسلام على ايجاد التناسب بين مجموع الذوات الانسانية المستقلة في القيم والتي تدافع عنها الشريعة في نفس الاتجاه الذي نادى به المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ، بقوله ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))

ويعنى ذلك ان هذه الشريعة جاءت من اجل وضع انساني متطور لايحقق الا بتعامله مع صيغ انسانية مفردة للطبائع البشرية والتي ينبغي ان تتوحد في اتجاه واحد ، والذي نقصده بالوحده هنا الوحدة الروحية وليست الوحدة المادية . ولانقصد بالطبائع البشرية ما يتعلق منها باصل الخلق لان الناس في اصل خلقهم متحدون متشابهون منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال تعالى : (خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه النصير) (٢) وقال تعالى (سنة الله في الذين خلوا من قبل وان تجد لسنة الله تبديلا) (٣) ، وبسبب هذه الحقيقة جرى نقاش واسع :

هل ان المساواة في الخلق تفرض بالضرورة مساواة انسانية فسي التعامل تجعلهم صالحين لحالة مشابهة ؟ تولت نظرية الانماط الاجابة اذ تقسم الناس الى مجموعات متعددة تمثل كل منها نمط متميز وعلى حد قول الاستاذ سيرانجر : ان الميول والنزعات انما هي تعبيرات عن خلق الانسان الموروث ولذا فقد افترض وجود ستة انماط من الشخصيات ، وكان اساس هذا التقسيم قائم على الاحساس الذاتي بالقيم هي : -

النمط انظري والجمالي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والديني ويندرج تحت كل نمط مجموعة من الناس تتميز كل منها بخصائص واهتمامات بعيدا عن بقية الانماط ولذا فان الايمان واحدة شئء يستحيل وفقا لمنطلقات هذه النظرية .

اذا لا بد من ايجاد صيغة جديدة تمكن لجميع افراد الانسانية من خلالها مهما اختلفوا في انماطهم من ان يندرجوا تحتها يشكل من اشكال الوحدة ، اي تكوين مجموعات متشابهة تشكل الارضية الصالحة والتربية

٢ - سورة التغابن ، الاية رقم (٣) .

٣ - سورة الاحزاب ، الاية رقم ٦٢ .

الخصبة لمجتمع يطور حاجاتهم الانسانية ، ويهذبها ويوجهها برباط اخلاقي فعال ومؤثر ، حرصا على بقاء الانسان متميزا عن بقية مخلوقات الله . وهذه الصيغة الانسانية للطبائع البشرية هي التي تظهر صلاحية التشريع الاسلامي من خلال نظرتة الى الفرد والمجتمع ، وما يترتب على هذه المعادلة من علاقات ينبغي ان تتصف بالنمو والتأثير الايجابي لتحقيق انغايه المشتركة ل ما ، ولكي تتحقق الاخلاق الانسانية هذه بين الافراد كان ان تتبنى مفهوما يختلف عن المفهوم الاوربي انذى يرى ان الاخلاق يمكن ان تتخذ اوجه مختلفة وتتعدد تبعا لذلك انواعا تجري عليها نظرية النسبة والتناسب فتأخذ شكل الازدواجية والانقسام اما عند الفقهاء المسلمين فانها تتخذ طابعا يختلف عما ذهب اليه الاوربيون في شتى نظرياتهم المتعلقة باثر الاخلاق على السلوك الانساني ودورها في الحد من ظاهرة الجريمة : فالاخلاق ينبغي ان تتصف بصياغة متكاملة توحد بين الايمان والعبادات والمعاملات وكافة انواع السلوك اذ ليس هناك فرق البتة بينما هو روحي وبينما هو مادي لان كليهما يخضعان لنفس القواعد الاخلاقية العامة (٤) .

المرحلة الثانية : تربية الضمير الديني لدى الفرد :

تتصل الشريعة بالضمير الانساني المتدين ، فضمير المسلم هو الذى يربطه بالرقيب الذى لاينام ، مما يجعله يحس دائما بوجود رقيب يطلع على السر وانجوى ويعلم خفايا الانفس ذلك المبدع الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وعندئذ يكون من الصعب على الفرد وهو بهذه الصورة

٤ ... د . احمد الكبيسي ، دور الشريعة الاسلامية في الوقاية من الجرائم الناجمة عن النمو الاقتصادى ، بحث مقدم الى المؤتمر العربي الثاني عشر للدفاع الاجتماعي ، الوقاية من الجرائم الناجمة عن النمو الاقتصادى ، ارباط ٢٥-٢٨ تشرين الاول ١٩٨٢ ص ٢٦ ، ٢٧ ،

٢٨ .

ان يبتعد بسلوكه عن طريق الخير والرشاد لانه وضع من نفسه رقيباً وحسيباً على جميع اقواله وافعاله وتصرفاته ، وبما ان هذا الالتزام ينبع من اعماق النفس البشرية فان اثره يكون اشد وقعا من سلطة القانون او رقابه الدولة . باعتبارهما سلطة خارجة عن النفس كما حرصت الشريعة على وقاية القلب وعلاجه من الامراض المنوية التي تصيبه كالحسد والانانية والحقد والتي تبعد الانسان عن ادميته . فتجعله لا يفكر الا في مصلحته ومنفعته ولو على حساب الاخرين . وكعلاج لهذه الافات فقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على حب الاخرين من خلال الربط الوثيق بين الحب والايمان بقوله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه) .

لان من شأن هذا الحب تطهير القلب وتنقيته من الامراض التي تؤثر على نقاوته وطهارته ، فالقلب اذا بقي نقياً طاهراً فان سلوك وتصرفات الانسان تكون طاهرة مثله لان السلوك الانساني في حقيقته ماهو الا تعبير صادق عن سجايا النفس وخلجاتها الداخلية لذا يمكن الاستدلال على سلامة القلب بتطابق الظاهر مع الباطن كما قال علماء الكلام في تعريف الايمان : (ما وفر في القلب والجنان وصدق اللسان والبنان) اما الاختلاف فهو مؤشر على ان هذه النطفة الثقيلة الظاهرة قد تلونت واحاطتها غشاوة حجبت نقاوتها بحيث ان صاحبها لم يعد يفرق بين الحق والباطل وبين الخير والشر بحيث ينظر الى الشر فيحسبه خيراً وينظر الى الباطل فيحسبه حقاً مصداقاً لقوله تعالى : (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً وهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (٥) .

٥ - سورة البقرة ، الايات ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

لذا فان السلوك الاجرامي ينشأ من الخطأ في المتصور والوهم فسي التفكير الذى يؤدى الى قلب الحقائق وما الظاهرة الاجرامية في المجتمع الا نتيجة لاصابة مجموعة من افراده بهذا المرض الخطير الذى ينتج عنه انحراف في التفكير واضطراب في النفس يؤدى الى اقتراف السلوك الاجرامي دون شعور او احساس بالخطيئة من مقترفه لقناعته بان ما يقوم به عمل مباح ومشروع .

وقد اكد السيد الرئيس صدام حسين على رعاية المنهج الروحي بقوله :
(نظرنا الى مسألة صلة رجال الدين واماكن العبادة بنظرة تنطلق من روح منهجنا المثبت لديكم والمنشور باننا نرعى اماكن العبادة ونرعى المنهج الروحي الديني ونسهل كل المستلزمات التي تعمقه في نفوس ابناء الشعب (٦)
وبناء على ماتقدم فان تربية الضمير الديني ووقاية القلب من الامراض والعلل التي تصيبه من شأنه ان يوجد افضل العوامل والاسباب لوقاية المجتمع من الجريمة والانحراف ، ومن الاثار الايجابية لهذا المبدأ : -

أ - انه يحول دون وقوع الجريمة لان الضمير المستيقظ وانقلب السليم لا يكون فيهما مكان للحقد والانانية والحسد ، وهو خير دليل على صفاء النفس وطهارتها ، ومتى صلحت الانفس اشتدت الالفة وقويت الصلة وازدادت المحبة وزادت معها بالتالي الاسباب المانعة من وقوع الجريمة اما صاحب القلب الحقود والخلق الحسود فانه لا يحس بالرحمة اتجاه ابناء مجتمعه ولا يحمل مشاعر الحب بل على العكس من ذلك فانه يفرح عند شعورهم بالحزن ويحزن بفرحهم ومن يتلذذ بشقاء وئذاب الاخرين دون

(٦) حديث الرئيس القائد مع رجال الدين في محافظات النجف وبابل والقادسية ومثنى وواسط يوم ١٣ - ٧ - ١٩٨٢ .

ادنى شك هو انسان شرير خطير لا يتردد في اقرار السلوك المجرم بحق
الغير في اى لحظة .

ب - سهولة اثبات الجرائم ، فكما هو معلوم ان غالبية الجرائم ترتكب
في انخفاء حيث بينت الاحصاءات الجنائية بان الجهات المختصة قد يتمدر
عليها اكتشاف الكثير من الجرائم لوقوعها بهذه الصوره وهو ما عبرنا عنها
سابقا بالرغم المظلم اى الفرق بين عدد الجرائم المرتكبة فعلا وعدد الجرائم
المسجلة رسميا لان متى ما احس مقترفوا هذه الجرائم بان الواجب المديني
يملي عليهم الاقرار باقتراهم هذه الجرائم ، او التبليغ عنها فانهم
لا يترددون من القيام بذلك تنفيذ الامر البارى عز وجل .

وفي التاريخ الاسلامي نجد شواهد مشرقه يتجلى فيه مبدا التفكير
عن الجريمة وان اقرت سرا اذ اعترف الكثير من المسلمين بارتكابهم
الجرائم طواعية حتى وان كانت النتيجة المترتبة على هذا الاعتراف فقدان
حياتهم كما في جرائم الزنا بالنسبة للمحصنين حرصا من هؤلاء على نيل
العقاب في الدنيا والذي من شأنه ان يطهر انفسهم في الاخرة فشمور الجاني
واحساسه بان الذى يناله انما هو تطبيق لامر البارى عز وجل وليس
للفرد اى دخل فيه ، هو الذى يفسر حرص الكثير من مرتكبي الجرائم
والمعاصي على الاقرار باقتراهم ونيل الجزاء المفروض مما يساعد
على توبتهم واندماجهم في المجتمع (٦) .

اما في الاطار الاجتماعي فقد حرصت الشريعة على بناء المجتمع
السليم بنفس القوة التي يتم بها بناء افراده .

٦ - محمد ابو زهرة ، الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي ، القاهرة ، ص
٢٦ ، عبد المقادر عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون
الوضعي القاهرة ١٣٨٣ - ١٩٦٣ ، الجزء الاول - القسم العام ص
٣٥٢ - ٣٥٥ .

ومن مظاهر المجتمع الصالح وجود الرأي العام الفاضل الذي يشعر فيه المجتمع بقوة حقيقته تساعد في المحافظة على وجهة النقي الطاهر وتمثل هذه القوة في رد الفعل الاجتماعي العام الذي يستخدم الحياء كمانع يحول دون وقوع الجريمة (٧) والكلام عن شخصية الفرد الصالح في المجتمع انصالح من خلال التصور الاسلامي كثير لا يمكن الاحاطة به بمثل هذا البحث الموجز لان الشريعة الاسلامية كما سبق ان ذكرنا متكاملة الاهداف متناسقة الاتجاهات ثرية بقيمتها ومبادئها ينعم فيها الفرد باكبر الضمانات التي تحقق له الطمأنينة والسلامة وعزة النفس وفي ظلها يجد المجتمع قوة وتماسك تقاوم التصدع والانحلال ، ولهذا فان احدث الاتجاهات في نظرية الدفاع الاجتماعي ومبادئ السياسة الجنائية المعاصرة تتفق مع ما تهدف اليه الشريعة الاسلامية من اصلاح الخطا وتهذيب المخطى باصلاح الفرد ودأهيله ليعود فردا صالحا تسعد به امته ، وقد اكد صراحة هذه الحقيقية الاستاذ مارك انسيل الزعيم المعتدل لنظرية الدفاع الاجتماعي ورائد الاتجاهات الجديدة والاصلاحية فيها بقوله : (ان الفرصة مواتية للبلاد العربية لتطبيق مبادئ الدفاع الاجتماعي بعد ان تحررت من الوصاية الاوربية واتجهت الى تراثها الاصيل تنهل من مبادئه (٨) .

ومن هذا الفرد الصالح يتكون المجتمع الصالح الذي اناط به الاسلام مسؤولية كبيرة تتجلى بعرضه على تطبيق مبادئ الدفاع الاجتماعي ضد الجريمة والانحراف من خلال الدور الذي يلعبه الجمهور لتحقيق هذه

٧ - الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الجنائي الاسلامي واثرة في مكافحة الجريمة بالرياض ١٦ - ٢١ شوال ١٣٩٦ هـ الجزء الاول اثر الامير بالمعروف والنهي عن المنكر في مكافحة الجريمة ص ١٧٩ - ٢٠٥ .
٨ - انظر توصيات ندوة الدفاع الاجتماعي والسياسة الجنائية من خلال التشريع الاسلامي ، الرباط ١١ - ١٣ ايار ٩٨١ ص ٧ ، ٨ .

الغاية ، حيث أكد الفقهاء المسلمون على : ان الجمهور ليس متطوعا ولا متبرعا فيما يقوم به من مهمة صيانة المجتمع ووقايته من الجريمة والانحراف بل هي مسؤوليته التي لا بد منها لصيانة امن المجتمع وسلامته فواجب الرقابة هذا والاخذ على ايدي المفسدين ليس انتقاما منهم بقدر ماهر دفاعا عنهم ورعاية لشؤونهم واهتماما بمصالحهم وحفظا لانهم واستخلصوا في خاتمة قولهم القاعدة الاتية : (ان الرقابة الاجتماعية على كافة شؤون الحياة ضرورية لتحقيق المجتمع الفاضل ، ولا يمكن تحقق هذا المجتمع بغياب هذه الرقابة (٩) .

لذلك نجد ان القرآن الكريم قد عبر عن الضمير الديني بالتقوى ، فتقوى الله هو اساس تكوين الضمير الديني ، وذلك من خلال ربط اي تعامل بالتقوى قال سبحانه وتعالى : (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون) .

هذا هو خطاب الله نفذ اليهم من خلال ضمائرهم الدينية هذا الضمير الذي ادب صبية صغيرة كانت تجمع الحليب لتبيعه في اسوق فقالت لها امها : - يا بنيتي امزجي الحليب بالماء ، فقالت لها الصبية لقد نهى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن ذلك فقالت لها امها ولكن عمر ليس معنا ، فأجابتها الصبية بثقة ومن خلال ضميرها الديني اذا لم يكن عمر معنا ، فإن الله معنا يسمع ويرى .

٩ - د . حمد عبيد الكبيسي ، نظرة الشريعة الاسلامية الى دور الجمهور في منع الانحراف ووقاية المجتمع بحث مقدم الى الحلقة الدراسية الخاصة بدور الجمهور في منع وقوع الجريمة والوقاية منها ، مجله الجامعة المستنصرية ، العدد الثالث ٩٧٣-٩٧٤ ص ٣٢٤ وما بعدها .

المبحث الثاني

نظرية الاستعداد الاجرامي

تختلف نظرية دى توليو عن غيرها في تحليل السلوك الاجرامي من وجهة وتنفق معها من وجوه اخرى ، اما وجهة الاختلاف . فان النظريات التي ذكرناها سابقا . حددت كل واحدة منها عاملا واحدا خاصا بالسلوك الاجرامي ، وهذه النظرية لم تعدد عاملا واحدا بل حددت عوامل شتى ولهذا اعتبرناها مختلفة ومتفقه . اما وجه الاتفاق فان نظرية دى توليو اخذت كافة النظريات المذكورة سالفا وجعلت عواملها متكاملة في نظرية تكاملية حللت السلوك الاجرامي نيس بناء على سبب واحد كما فعل فرويد في الاتجاه النفسي او كما فعل لومبروزو في الاتجاه البيولوجي او العامل الاقتصادي كما فعل بونجيه او العامل الاجتماعي كما فعل سيلين بل جعلت كل سبب من اسباب تلك النظريات متحدا في تكوين الظاهرة الاجرامية .

واساس هذه النظرية قائم على فكرة التكوين الاجرامي اى الاستعداد القطري وهو ما يمتاز به المجرمون عن غيرهم في اقرار الجريمة ويبدو لنا ان هذا الاستعداد كانه نبتة مصغره في دور حياتها متى ما تهيأت لها ظروف الانبات اورقت وكذلك ومن اودع فيه التكوين الاجرامي فمتى ما تهيأت له الظروف الملائمة فانها توقظ هذا الاستعداد في نفسه وتتفاعل معه فيؤدي ذلك الى حدوث خلل في تفكيره يدفعه لارتكاب الجريمة ، وتبدو آثار هذا الاستعداد في الاتفعالات اللاشعورية التي تضطرب بها العاطفة بالاستنزات الخطيرة او المفجائية ولهذا فقد سمي دى توليو المجرمين الذين يقترفون الجريمة الفجائية المجرمين بالصدفة وهي الذين يتحقق لديهم التكوين الاجرامي ايضا ، وقد استدل دى توليو على ذلك بقوله ان المحققات الخارجية ذاتها لو اصابت رجلين معينين على سبيل المثال لكان

اثرها على احدهما اشد وقعا من الاخر ولعل احدهما يقتترف الجريمة والاخر يحجم عنها وما علة ذلك عنده الاتحقق الاستعداد الاجرامي لدى احدهم دون الاخر ، ومن الاسباب الاخرى التي اعتمدها في نظريته ما اسماه بالمرض الاجرامي وهو على سبيل التشبيه فكما ان الانسان يمرض جسما فانه يمرض نفسا وروحا بداء الاجرام ثم يقتترف الجريمة نتيجة لهذا المرض .

اما من حيث الاستعداد فقد قسمه الى قسمين ، الاستعداد الاجرامي الاصيل ، والاستعداد الاجرامي العارض ويبدو ان القسم الاول اشد خطرا على المجتمع من القسم الثاني لان المجرمين بالاصالة يتسمون بالانحداد والممارسة واحتراف الاجرام فلا عقاب يحول بينهم وبين اقتراف الجريمة ، ولا اصلاح ينفرهم من هذا المآزق لانهم نشأوا على الجريمة ولا تحول اي جزاءات بينهم وبين هذا الداء الاجتماعي الخطير نظرا لاتضاف هذا الاستعداد بالثبات والاستمرار ، اما القسم الثاني فهو الاستعداد الطارئ او العارض ويعني ان المجرم لم يكن مستعدا لاقتراف الجريمة قبل وقوعه في هاويتها بل كان سويا مستقيما شاعت الاقدار المتمثلة بظروف الاستفزاز الخطير او الانفعال الشديد كالتيأس والحقد والشعور بالحيف الاجتماعي او انحرمان الذي اذا الم باحد ربما دفعه الى الجريمة ، وقد سمي هؤلاء بالمجرمين العاطفيين (١٠) .

١٠ - د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٦٥ ، ٦٦ .

ويقرر دى توييو ان دراسة شخصية المجرم يجب ان تكون دائما دراسة متكاملة ، وهذا يعنى ان المختصين بدراسة الاشكال والوظائف والنفوس يتعين ان تكون دراساتهم متكاملة مع بعضها البعض بالاختبارات العضوية التصويرية التي لها الدور الرئيس للوصول الى الغاية التي تسمح بمعرفة السلوك الفردى ، لذا فانه من غير الممكن تقييم ووزن طبيعة كل فعل يرتكب ضد هذا المجتمع كفعل جنائي ، مادام ان الشخصية الجنائية يصعب الاحاطه باشكالها ومظاهرها المختلفة كالأعضاء والنفوس والاستعدادات الخاصة ، وفي الحقيقة فانه ينبغي عند دراسة الكيان الخاص للاستعدادات الفردية ، البحث عن السبب الذي يعن سببا خاصا بحيث يمكن الدراس من الوقوف على الفكرة غير الاجتماعية بفضل التطور الذي يسمح باجراء مثل هذا التحقيق .

وان سبب الجريمة هو مزيج من العوامل العضوية والاجتماعية والحقيقة ان كل مظهر جنائي دائما يكون ناتجا عن الرابطة الموجودة بين الاستعداد لاتخاذ موقف مناهض للمجتمع وبين البيئة ، فهذه الاسباب تستهدف البيئة والاستعداد او هي عوامل مساعدة (ثانوية) وملائمة .

وهذه الدقة يمكن الوقوف عليها في ظل المعرفة للاستعداد الفردى حيث ان هذه الاساس في التقييم الديناميكي الجنائي الذي هو دائما يعد نتيجة للرابطة التي تقوم على اساس كل حالة على انفراد في ضوء العوامل السببية والاكثر دقة بين التحريض الاجرامي والحث عليه وبين المانع من ارتكاب الفعل الجرمي ، بين القوى الانانية والامتناع من الاتجاهات الجنائية ، كاهلية المنع والمقاومة بصفة عامة وبين النشاطات الفردية ، والاهلية الملائمة للحياة الاجتماعية ، وهذا يعنى استعداد الوسط الاجتماعي .

وان الاعتراف بخطورة الجريمة ، واهلية ارتكابها ، وخطورة حضور المجرم لايمكن ان نحصل عليه الا باختبار الجنائي وموقفه من الوسط الاجتماعي

على أن تراعى المعايير الأساسية العلمية والاستعداد من الأساليب التي
أشرنا إليها من الناحية النفسية .

إن تعبير الاستعداد الإجرامي تشير إلى حالة سابقة لارتكاب نسوع
من الجرائم ، وهذا يعني الأهلية التي توجد لدى بعض الأشخاص لارتكاب
أفعال جريمة ، على وجه العموم منطوره ، ويتبع ذلك تدريجات أو اغرامات
خارجية تجعل الشخص يخضع لتدخل فيشتاد اليه (١١) .

ولذا فإنه يقرر في هذا الصدد . ان الرجل العادي ليس هو الرجل
الغير الفاضل ، بل هو الرجل الذي ستهياته درجة من القدرة لتصبح له التكيف
بصفة ثابتة مع ضرورات الحياة الاجتماعية وإدراك قيمة أفعاله قياسا على
التواعد الأخلاقية الممكنة .

فالإنسان يقع تحت تأثير الخير والشر والعيب والبنفساء والنهم
والقناعة والاجرام والبراءة أي ليس كل الناس مجرمين وليس كل الناس
عاديين . والعاديين نواصبحت لهم فرص الاجرام لاقتراضوا الجريمة بعد
تفاعل شخصياتهم مع ظروف بيئية معينة (١٢) .

تقييم نظرية دى توليو :

١ - من ايسا النظرية :

ما من نظرية الايؤخذ منها ويرد عليها مهما بلغ مداها وقد اشك منها
ما جعلها تمتاز به ، الا وهو تعدد العوامل وتفاعلها لانه لم يقتصر على عامل
واحد كما فعل غيره ، إذ تعارف قبله لومبروزى وفرويد وبونجيه واثنقنوا
جميعا ، والواقع يريد ماذهب اليه دى توليو ان غالبا ما تتجمع العوامل

D. Di Tullio, op.cit, p. 87

١١

١٢ - د . عوض محمد . المرجع السابق ص ٨٦ ، ٨٧ .

العضوية والاجتماعية اى الظروف الداخلية والناحية فتتفاعل ثم ينتج عن تفاعلها السلوك الاجرامي .

ومن مميزات نظرية دى توليو ايضا ايداعه في الربط بين العلاقة النفسية والعلاقة العضوية ، اذ غار عميقا في دراسة الانسان نفسا وفلسفيا ودين ان من اثار اقتراح هذين العاملين نشوء الجريمة ، ونحن نكتفي معه في جانب ونختلف في جانب اخر ، فوجه الاختلاف ان الفلسفة في نظرنا لا علاقة لها البته باقرار الجريمة لان الله تعالى ابدع الانسان غاية الابداع فطره وامتدادا ، قال سبحانه وتعالى : (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) (١٣) حيث تدل هذه الصياغة على ان الانسان تجلت به عناية الله ، في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق سواء في تكوينه الجسماني البانيخ الدقيقة والتعقيد ام في تكوينه العقلي الفريد ام في تكوينه الروحي العميق ، وفي هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين النفسى ، فالانسان يولد وهو برىء الذمة نقي السريرة صافي الفطره .

اما وجه الالتقاء فان النفس قد تكون سببا في اقرار الجريمة . لان الله تعالى اودع فيها الاستعداد الفطرى لفعل الخير والاستعداد الفطرى لفعل الشر ، قال سبحانه وتعالى (ونفس وما سواها ، فانهما فجورما وتقواها ، وقد افصح من زكاتها وقد شاب من دساها) (١٤) ، وهذه الايات الاربع مرتبطة ومكملة للايات التي تشير الى ازدواج طبيعة الانسان ومسئولته خلال هذه الايات تبرز لنا النظرة الى الانسان بكل معالمها فهذا الانسان مخلوق مزدوج الطبيعة مزدوج الاتجاه وتعني بكلمة مزدوج على وجه التعديد انه بطبيعة تكوينه مزدوج باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والتفائل فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر كما انه قادر على

١٣ - سورة التين الاية رقم (٤) -

١٤ - سورة الشمس ، الايات ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ .

توجيه نفسه الى الخير والى الشر سواء بسواء وان هذه القدرة كامنة فسي
كيانسه .

نقد نظرية دي توليو :

لعل ابلغ الانتقادات الموجهة الى نظرية دي توليو انه اعتمد اعتمادا
اساسيا على علم الفسلفة وجعل افرازات الغدد البشرية لها اثر مباشر
على اقتراف الجريمة ، اذ اضطرابات الغدد براءة تؤثر على الاضطرابات
العقلية ، والمجرم بناء على هذا مريض جسميا قبل ان يمرض سلوكا بناء على
منطلق نظريته .

وقد انتقد بنا على هذا ، لانه لم يقدم اى دليل علمي يثبت وجود
العلاقة بين افرازات الغدد والسلوك الانساني المفضي الى الاجرام ثم علما
الفسلفة والتشريح لم يثبتوا ولم يكتشفوا غدة لها علاقة مباشرة بالجريمة
سلبا او ايجابا ، ولو افترضنا صحة نظريته لوجب على فقهاء القانون
رفع العقاب عن المجرم لانه بناء على نظرية دي توليو مريض والمرضى
لا حرج على افعاله بالضرورة ، فلا عقاب على جريمة لم تقترب لولا
المرض وهذا الرأى يصعب التسليم به .

وتم خطأ في المنهج العلمي وقع فيه دي توليو الا وهو اعتماده على
ثلة قليلة جدا من المجرمين الذين حللهم فسلجة ثم عمم نتائج ما توصل
اليه على الناس كافة في كل زمان ومكان ، ولم يعتمد التحليل الفسلجي
على المستقيمين الاوسياء ليقارن بينهم وبين المجرمين الذين حللهم فسلجة
، وحيث لامقارنه بين المجرمين والمستقيمين ولانه لم يعتمد على شرائح
مختلفة مؤتلفه بل اعتمد على النزر اليسير فلا يمكن تعميم نظريته على
المجتمع الانساني الكبير .

وقد تجلى لنا من خلال اطلعنا على رأى المختصين ذاتهم اعنسي

المختصين منهم في علم الاجرام وعلى رأسهم الفقيه الايطالي جرسيني حيث وجه نقدا لادعا لهذه النظرية اثرنا ان نجمله بالفقرات الاتية : -

١ - ذكرنا انما ان عماد هذه النظرية قائم على الربط الوثيق بين الغدد العضوية والحياة العقلية ولقد تسائل الفقيه جرسيني وهو ينتقد دى توليو انه سعى الى تفسير السلوك الاجرامي داخل نطاق التكوين العضوي للمجرم ، وكان من الاجدر به ان يبحث في نطاق (العوامل النفسية) عن الاسباب الدافعه مباشرة الى اقتراح المجرم لسلوكه الاجرامي حتى يتسنى له معرفة الحقائق الكاشفه عن شخصيته الاجرامية .

٢ - ومن ناحية اخرى يصف جرسيني دى توليو بالتجاوز والاسراف ويتجلى هذا الاسراف بالنسبة للمجرمين العاطفين اذ ربط دى توليو بين السلوك الاجرامي لهذه الفئة من المجرمين وبين فكرة التكوين الاجرامي لذا لم يفرق البته بين المجرم المتمرس وبين المجرم بالصدفه بل لم يفرق بين من اقترف الجرائم الخطيره وبين من اقترف الجرائم التافهه بل والتافهه اللغاية وهذا خطأ سجلسه جرسيني على دى توليو اذ شتان بين المجرم المتمرس والمجرم بالصدفه . ثم الغدد العضويه لو كان لها تأثير مباشرة على الاضطرابات العقلية ومن ثم السلوك الاجرامي لما وجد المجرمون صدفه . اذ لا يوءيد المنطلق السليم ان الغدد تمرض فجأة وتشفى فجأة ، ثم كيف يستفحل في الغدد الداء وتقترف الجريمة صدفه ثم يمن على الغدد بالشفاء بلا دواء هذا كلام لا ينسجم مع المبادئ المنطقية المتفق عليها عقلا .

٣ - ما نظرية دى توليو الا امتداد النظرية لومبروزو وقد وجهنا مسا امكن ما توجهه من نقد الى نظرية لومبروزو في موضعه فلم نرى موجبا لاعادته وحسبنا ما نقل عن جرسيني انه قال (ان دى توليو بنظرية هذه لم يصف تحسينا يعتمد به الى ما سبق للعالمين لومبروزو وفيرى ان اعلناها

يصدق فكرة الاستعداد للأجرام) ، ونقل عن جرسبي أيضا انه قال (ان
دي توليو بأرائه هذه قد منح خصوم المدرسة الوضعية حجة يعولون عليها
في نقدهم لهذه المدرسة فيتهمونها بالتقصير وينسبون اليها انها تقتصر
دراسة الظاهرة الاجرامية على النواحي البدنية و البيولوجية كما ينسبون
اليها انها تنهج فلسفة سادية) (١٥) .

ولعل اعتراف دي توليو دليل على تأرجيح نظريته وعدم ثباتها
نصوبية بقائها راسخة تجاه النقد الهائل الذي وجه اليها ويبدو من خلال
اعترافه ان العوامل الاجتماعية لها قيمة كبرى وسبب بالغ على السلوك
الاجرامي ، ومع ذلك فان اساس المدرسة الوضعية اعتمد على فكرة التكوين
الاجرامي التي نادى بها دي توليو وغيره .

وقد نقل عن دي توليو قوله (لا بد ان اقرار مجزى عن فهم كسل شيء
وتفسير كل شيء فشي ميدان كهذا الميدان يكتشف المتأمل في كل مره سببا
جديدا ويدرك ان الظاهرة المتطورة (يعني العوامل الاجتماعية) لا تلغى
الظاهرة المنشئة (يعني العوامل الانثربولوجية) وانه في داخل كسل انسان
يعيش العلوم الى جوار المجهول والطبيعي (اي الاعضاء والاعصاب والغدد)
الى جانب غير الطبيعي (يعني التسوى النفسية والاجتماعية) والمحدود
(اي الجسم) جنباً الى جنب مع غير المحدود (اي النفس والروح) (١٦) .
ومسئفة القول :

ان نظرية دي توليو تنتقد لانها تمسكت بفكرة التكوين الاجرامي
ولانها اصبحت عن المساواة ولم تفرق بين الجرميين صنفه او ممارسة ، ولم

١٥ - د - عيد الفتاح الصيغيني ، د - محمد زكي ابو عامر : المرجع السابق
ص ٩٢ ، ٩٣

١٦ - د - جلال ثروت ، الظاهرة الاجرامية : الاسكندرية ، ١٩٧٢ ، ص ٨٢

يشير إلى اختلاف الجريمة نوعاً وان هذه النظرية لأنتم البيئة الاجتماعية
سبب مباشرة في اقتراح الجريمة ما لم يوجد الاستعداد المتمثل بالتكوين
الاجرامي ، ثم الواقع عندنا خير ناقد لهذه النظرية إذ نسم الناس يتسمون
بالبرامة والاستقامة في عصر مديد من الزمن يشهد لهم بذلك وإذا بأحدهم
يقترف الجريمة بدافع خارجي لإعلاقه له البتة بالتكوين الاجرامي كمن
يقتل زوجته التي يراها مثلبسة بجريمة الزنى مع عشيقها وكذلك من
اقترب الجريمة حينما استفزه حادث قتل والده امام عينيه او اى حادث
خارجي لولاه لما اقترب الجريمة اليته ، والواقع في مفهوم الجريمة عندنا
ناقد اخر لنظرية دى توليو إذ لاجريمة ولا عقوبة الا بنص وكثير ما تختلف
نصوص القوانين من زمان الى زمان ومن مكان الى مكان فهل ياترى ان نصوص
التكوين الاجرامي يختلف عن نصوص القوانين ام ان نظرية دى توليو
تعلم بالفيب بحيث تحيط بكل المتغيرات التي تقتضيها طبيعة المكان
والزمان .

www.alkottob.com

الباب الثالث

عوامل السلوك الاجرامي

يشترط الاستاذ سذرلاند على علم الاجرام كي يصبح علما بالمعنى الحقيقي لكلمة علم ، ان يتولى تنظيم العوامل المتعددة والمتشعبة والمتنافرة التي ينسب اليها السلوك الاجرامي ، ويعمل على ايجاد وسائل تماسك بين هذه العوامل ، عن طريق وضع قواعد تفسيرية عامه يمكن ان يستند اليها في تحقيق التفسير العلمي والفني الذي يتضمن وصفا دقيقا للعوامل التي لا بد من تظافرها لتكوين الظاهره الاجرامية (١٧) .

فالسبب قد يكون نتيجة لعامل واحد او نتيجة مجموعه من العوامل هذه العوامل قد تمثل عدة حلقات او مراحل في التسلسل السببي ، ثم ترتبط هذه العوامل بالسلوك الاجرامي بالرابطه السببية .

وقد تجلّى لنا من خلال البابين الاول والثاني ، ان السلوك الاجرامي لا يمكن ان يكون ثمره عامل واحد فحسب ، لان دراستنا التحليلية التأصيلية قد اوصلتنا الى حقيقة وهي ان الظاهره الاجرامية لا يمكن اسنادها الى عامل واحد سواء اكان هذا العامل فرديا او اجتماعيا ، وانما هي ثمره تظافر العوامل الفردية والاجتماعية معا .

ولو تدبرنا مليا بالظاهره الاجرامية في مجتمعنا او في اى مجتمع اخر لوجدنا اغلب المجرمين ولدوا وهم يرفلون بحلية الفطره البيضاء ثم احاطت بهم مجموعة من العوامل الشعورية والاشعورية تفاعلت مع بعضها حتى تمخضت عن عامل قد يكون واضح البيان ، وقد يكون مجهولا يتجلّى

١٧ . د . عبد الفتاح الصيفي و د . محمد زكي او عامر ، المرجع السابق ص ١٣ - ١٤

تأثيره في الجانب اللاشعوري للمجرم ، وعلى سبيل المثال قد يجتمع عامل التشرد مع عامل الحرمان من عطف الابوين ثم يجتمع عامل الشعور بالوحده في وحشة المعاناة مع عامل فقد الوجه العطوف الذي يأخذ بيد هذا المعذب واذا بتلك العوامل الشعورية واللاشعورية تولد عاملا مباشرا تتقترف الجريمة به .

وبما ان الظاهرة الاجرامية كما اسلفنا ثمرة تظافر العوامل الفردية (الداخلية) والعوامل البيئية (الخارجية) لذا فأننا سنتناول كل هذا العوامل بالدراسة والبحث تباعا في الفصلين الاتيين : -

الفصل الاول / العوامل الداخلية
الفصل الثاني / العوامل الداخلية

الفصل الاول

العوامل الداخلية

وهي مجموعة العوامل المتعلقة بالمجرم ذاته ، واعني بها العوامل التي يفضي تفاعلها كلا او جزءا مع الظروف الخارجة عن ذات المجرم الي تحقق السلوك الاجرامي (١) ، وبما ان هذه العوامل متعددة لذا فاننا سنقتصر دراستنا على اهم العوامل المؤثرة في تكوين المجرم ذاته وعلاقتها بالسلوك الاجرامي .

١ . د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ، ص ٧٤

www.alkottob.com

المبحث الاول

(الوراثة)

المطلب الاول

تعديد معنى الوراثة

اولا - قوى الوراثة والتغير :

الوراثة هي الطبيعة الاصلية للكائنات الحية ، ويتنازع الانسا
شأنه في ذلك شأن اى كائن اخر ، قوتان متنافرتان تتجاذبان في اتجا
متضادين هما : قوة الوراثة او مشابهة الاصل وقوة التغير او الت
على
فقوة الوراثة تعمل على التشابه بين الاباء الابناء اى انها ت
ان تمييز الخلف بخصائص السلف ووظائفه ، في حين ان
تعمل على العكس من ذلك اذ تحرص على تحقيق الاختلاف في خصائص
الخلف عن السلف (٢) .

وتنتقل الصفات الوراثية من الاصل الى النسل بواسطة الكروموسومات
الموجودة في الخلية ، ويتكون جسم الانس من ملايين الخلايا ،
وتحتوى كل خلية على ٤٦ جزء من هذا الكروموسومات فاذا تم الاخصاب
عن طريق التقاء حيمن الرجل ببوي المرأة نتج عن ذلك الجنين المتأخر
بصفات الاب او بصفات الام ، بكليهما باعتبار ان هذه الخلية المزدوجة
الجديدة تشتمل على ٤٦ كروموسوما ايضا يكون نصفها اتيا من الاب
الاب والنصف الاخر اتيا من الام (٣) .

- ٢ - د . نصر انور علي ، د . امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق
ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
٣ - د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ٧٥ ، ٧٦ .

ثانيا - المقصود بالوراثه في علم الاجرام :

للموراثه في علم الاجرام مدلول خاص يتلائم مع المبادئ الانسانية لهذا العلم ، وحينما يتحدث علماء الاجرام عن وراثه الاستعداد الاجرامى فانهم لا يقصدون بذلك السلوك المفضى الى الجريمة ، باعتبار ان الجريمة فكرة قانونية يتغير مدلولها بتغير الزمان والمكان . لذا يصعب على قوانين الوراثة ان تحيط بالانظمة والمبادئ القانونية . وقد سبق ان ناقشنا فكرة توريث بعض الخصائص الاجرامية بمناسبة تقييم نظريته لومبروزو ، وقد اثبتنا خطأ هذه الفكرة وما يترتب عليها من نتائج (٤) .

فاذا كان السلوك لا يمكن ان يورث ، فما الذى يورث اذا وفقا لوجه نظر هؤلاء العلماء ، ان الذى يورث بموجب رأيهم (٥) هو بعض الامكانيات او بعض القوى الكامنة التي تحقق عاملا رئيسيا في السلوك الاجرامى نظرا لما تتميز به من قابلية على تحديد شخصية الفرد وتوجيه نوازع السلوك الانساني فيه نحو النشاط والتحقيق في كل ما يعرف من وجوه اشباع الرغبات الفريزية ، ومن ثم احتمال اقترافه الجريمة .

٤ - انظر ص ٧٨ - ٨٢ من هذا المؤلف .

٥ - د . يسر انور علي ود . امال عبدالرحيم عثمان ، المرجع السابق ص ١٧٠

المطلب الثاني

اثر الوراثة على السلوك الاجرامي

حاول بعض العلماء تفسير السلوك الاجرامي من خلال الربط بين الوراثة والجريمة ونتيجة لنظر البحوث والتجارب في ميدان علم الوراثة نشد نجم عن هذه المحاولات مجموعة من الدراسات ركز بعضها على الجينات واستهدف من وراء ذلك تحقيق مطلبين ، يتمثل الاول في دراسة الجينات وعلاقتها بارتكاب الجريمة ، ويتحقق الثاني في دراسة قدرة الجينات وتكاثرتها في تغيير سلوك الانسان ، في حين اتجه البعض الاخر الى الاستعانة بالهندسة الجينية في الزراعة لتطبيقها على الانسان .

المجموعة الاولى : الهندسة الجينية :

اكمل الاستاذ ليسينكو (Lyssenko) احد اعضاء المجلس العلمي الزراعي السوفيتي مشروع ميشورين (Meitchourine) بالبحث الذي نشره سنة ١٩٤٨ اذا قام بسوجيه الروابط بين بحوثه الزراعية وبين دراساته في الميدان البيولوجي ، وتأكيد العلاقة العلمية بين خصائص النباتات وخصائص الكائنات الحية ، حين توصل الى نتائج ايجابية بهذا الصدد مثل انتقاد اللراء المؤيدة لاثار الوراثة في تحقيق السلوك اجرامي وعلى الاخص نظرية الاستاذ لومبروزو . وقد ضمن هذه النتائج مؤلفه الموسوم : الوراثة والجريمة ، كما تضمنت هذه النتائج انتقادا النظرية وايزن التي تبنت فكرة العتمية . لانها حددت روابط لا علاقة لها بالصفات الوراثية وانما تتعلق بشروط الحياة (٦) .

B. D. Tullio, op. cit, La Conception Soviétique,
p. 55 - 57

وقد حاول ليسنكو في دراسته المذكورة اجراء مقارنة بين الجينات عند
الحيوانات الموجودة في بعض النباتات من خلال الفحص الذي اجراه
الخلية الموجودة عند الانسان وبعض الخلايا النباتية ، وانتهى من هذه
الى القول : ان التغييرات التي نجدها في الابوين والتي تنتقل الى الابناء سواء
اكانت طيبة ام خبيثة يمكن ان نجدها ايضا في بعض النباتات ، ومثل هذه
التغييرات لا يمكن اعتبارها نتيجة التقسيم الخاطيء لهذه التحديدات في علم
الاجرام ، فالصفات العضوية لا تنسجم مع هذه التحديدات لانها تعتبر من قبل
المظاهر الطارئة ويقرر ليسنكو ان العلم هو عدو المصادفة ، افالوراثة تهدف
الى تحقيق الصفات المحددة ، فهي لا تنصب الا على الاشكال والسمات ، وهذا
لا يعني قابلية الوراثة على الاحتفاظ بالطبائع الخاصة المميزة لكل كائن حي (٧)
لان المظاهر العضوية والتكوينية لهذه الكائنات تختلف باختلاف الغذاء
اليومي الذي تقتات عليه والوسيلة التي يتم بها توفيره ، فالفقير السدى
يبذل جهودا كبيرة من اجل توفير هذا الغذاء يختلف عن الغني الذي يحصل
على هذا القوت دون ان يبذل اى مجهود يذكر ، ومن ثم فان الغذاء السدى
يتضمنه القوت المذكور يساهم جوهريا في بناء كيان الخلية التي تتحكم في
نقل الصفات الوراثية ، ولذا فانه لا يتفق والنتائج التي انتهى اليها مندل
في نظريته بخصوص التكوين الوراثي لان الصفات الظاهرية في مجموعها
لا يمكن ان تزول .

وبصدد الفعل الوراثي للصفات المكتسبة اكد ليسنكو على امكانية
تغيير او تحويل الخصائص الوراثية للصفات المكتسبة التسي تكون نتيجة
العوامل البيئية بقوله :

Cite par Julin Huxleug La genetique Sovietique – ٧
Stoch. 1949. p. 116.

ان البيولوجي اذا قبل بتفسير الطبيعة الخاصة بالكائنات الحية معنى ذلك ان هذا التفسير يمكن بشكل او بأخر ان يحقق مصلحة الانسان ، مادام انه اصبح من الممكن حمل كل نوع قابل للانبات مع امكانية تغير مظهره وصفاته في فترة قصيرة ، وهذا يدفعنا الى الاقرار بان الحياة هي السبب الكامن وراء كل تغيير يصيب الابن او الفرع سواء اكان ذلك لدى الكائنات الحية ام النباتات ، لان الهندسة الجينية في الزراعة ساهمت في تغيير النباتات الوحشية الى نباتات طبيعية مفيدة . ونفس الشيء يمكن تطبيقه على الانسان حيث يمكن للهندسة الجينية في الخلايا البشرية أن تغير من سلوك الانسان نحو الاحسن ، وعن اثر الفعل الوراثي في الصفات المكتسبة ضرب ليسنكو مثلا :

اشجار الخوخ المحمولة الى اوربا فتحت تأثير المناخ عليها يمكن ان تغير صفاتها باعتبار ان المناخ هو احد الظروف المؤثرة في الخلايا الحياتية .

ولذا فانه يؤكد في هذا الصدد : ان كل من وايزمان ومندل اندين تبنا النظرية الداروينية قد تجاهلوا التطور الطبيعي للحياة البشرية التي حدد اسمها مشروع ميشورين المذكور ، لان العلم الذي يستطيع ان يحيط بتاريخ ويجد له تفسير يتجاوز العالم النظم ، وينجح في نقل او تغيير ذاتيته بطريقة اكثر ايجابية تمكن الانسان من ان يحقق اسلوبا جديدا يتلائم مع الحياة الذي هو جزءا من طبيعتها ، ورغم ان هذا المفهوم لم يكن واضحا للجميع ، الا ان الدليل عليه يمكن تلمسه بسهولة ، اذ ان الانسان بذاته حريص على ادراك الطبيعة وانتأمل في اسرارها وخفاياها ونتيجة لهذا التدبير فانه يمكنه الاحاطة بالتسلسل المنطقي للاسباب والنتائج .

وبما ان الانسان جزء من الطبيعة فان يكون بالضرورة مسايرا
:حركتها ايجابيا مع تغيرها وتطورها ، فهو يتغير ويتطور نتيجة لتغيير
الطبيعة وتطورها ، ورغم ذلك يبقى الانسان هو جوهر المسألة ، ويستمر
اجهد المتواصل بحثا عن ذات الانسان وحقيقته ، من حيث ارتباط مشاعره
وحاسيسه بالصور الطبيعية . ومدى نجاحه في تحقيق هذا الارتباط واثر
ذلك في نشوء مشاعر جديدة له ، وماهي المعايير التي يفكر الانسان في ان
يضعها لنفسه ؟ والحقيقة التي يمكن الوصول اليها بموجب هذه النظرية
هي : ان القدرة على العمل في وسط الكائنات الحية ليس فيها اى اشار او
مظاهر للخصائص الوراثية (٨) .

فالوراثة ليس بمقدورها ان تنقل الا الصفات العضوية الشابهة اما
الصفات الطارئة كالسوك الاجرامي فانه لايمكن نقلها بالوراثة ، اذ
الوراثة تمثل القدرة التي ترجع الى مجموع اعضاء الجسم الحي ، لانها
الاندر الذي تشترك به مجموعة من الافعال بشروط خارجية متشابهة ،
حيث ان تتابع نوعية وصفات الاباء في الابداء سببه ارتباط الوراثة بالجسم
الحي ، وليس بجهود الكروموسومات ، لان الصفات الاجرامية يحتمل ان
تنقل بواسطة الوراثة نتيجة تأثير الظروف الخارجية كظروف العمل مثلا
دون ان يكون للعوامل الوراثية المتحصرة على العيوب البيولوجية اى دخل
في تحقيق هذا الاثر (٩) .

٨ - د . ذنون احمد ، شرح قانون العقوبات العراقي - دراسة مقارنة ،
الجزء الثاني في العقوبة ، بغداد ٩٧٩ ، مسجوبة بالرونيو ص ٧٧ ، ٧٨

B. Di tullio, op. cit. p. 56. 57.

تقييم اسلوب الهندسة الجينية :

مزايا الدراسة :

لا ريب في ان هذه الدراسة ساهمت الى حد كبير في اظهار اهمية
العوامل الوراثية وأثرا على السلوك الاجرامى ، ومن خلال اعتماد
نتائج الابحاث التى انتهت اليها الهندسة الجينية احد الفروع الجديدة
للمعلوم الحياتية ، اذ لا يمكن ان ننكر التطورات الهائلة التى اصابت هذا
الميدان والتغييرات الجذرية التى قلبت المفاهيم السائدة في هذا المجال راسا
على عقب بسبب انبعاث النظريات المتطورة والدراسات المختبرية واتتجارب
العلمية التى نجحت في نقل صفات جديدة وامكانية تغيير في خصائص بعض
النباتات عن طريق اعادة بناء تركيبية الخلية النباتية مباشرة ، وقد أكد
الدكتور ديرك فلاويل من معهد الانتقاء النباتي قدرته على اختيار اى جزء
يلزمه من البكتريا لعلمه التام بوظيفة كل جزء من التركيبية الجينية ومسئ
ثم الحكم على هذا الجين فيما اذا كان يؤيد وظيفته ام لا رغم اعتراف
الاستاذ المذكور بان الجينات التى يمكنه تحديدها لاتتجاوز ٢٠ جينا فسي
حين ان انواع الجينات في النبتة الواحدة قد يصل الى ٣٠ الف نوع ، ومرد
الصعوبة في التحديد يعود الى استخدام تقنية استنبات أنسجة المزروعات ،
اى اخذ قطعة من نسيج نباتي واستنباته في جو ملائم ، وما من شك في
ان تقدم البحوث في موضوع الهندسة الجينية من شأنه ان يساعد المزارعون
على تجاوز ظروف الطبيعة القاسية . المتمثلة بدرجات الحرارة واثار البيئة
والمياه المالحة (١٠) .

١٠ . الهندسة الجينية في الزراعة ، مجلة علوم ، العدد الثاني ، ازمة
الاولى نيسان ٩٨٤ ص ٥٤ ، ٥٥ .

الانتقادات الموجهة لهذه الدراسة :

على الرغم من المزايا التي يتمتع بها أسلوب الهندسة الجينية الا انه تعرض لعدة انتقادات نجل فيما يلي اهمها : -

القد بالغ ليسنكو في اظهر اهمية العامل التوجيهي ، لان هذا العامل هو واحد من العوامل الكثيرة المتداخلة ، وقد سبق ان بينا بانه لايمكن افراد عامل واحد ليكون سببا مباشرا قائما بذاته ، ورغم اقرارنا باهمية العامل التوجيهي الا انه لايمكن انكار دور العوامل الاخرى في تكوين الظاهره الاجرامية ، لذا يتعذر على العامل المذكور ان يحقق هذه الظاهره بمفرده ، ولو اتيح له تحقيق ذلك فمعناه ان الانسان يمكن ان يكون بمفرده سببا قائما في ذاته ، وهذا لايمكن قبوله لمخالفته لطبيعة الوقائع والاشياء ، اذ تلعب المشاعر والاحاسيس والدوافع التي تحيط بالانسان دورا كبيرا في توجيه السلوك وجهة الخير او الشر ، وقد اوضح الاستاذ انتوليزي (Antolisei) هذا المفهوم بقوله :

ان العبرة بموقف الفرد الذي يتبلور نتيجة توافر مجموعة من الصفات لديه تدفعه للخروج على قيم المجتمع ومصالحه (١١) .

كما يؤخذ على الاستاذ ليسنكو اعتماده الكبير على نتائج ابحاثه المختبرية في تفسيره للسلوك الاجرامي وبذلك يكون قد اغفل انسان وما يتضمنه من عجائب في تكوينه ومن اسرار كامنه في نفسه والبحث العلمي كما اكدنا اكثر من مره ما زالت وسائله عاجزه عن سبر اعماق النفس وكوامنها الخفيه ، فالطبيعة البشرية وما جبلت عليه من خصال مختلفة

Antolisei. La Copacita. adelenqueve,
seritti de. diritto penal, Millano, 1955. p55

• 11

متباينة في الميل نحو الخير او الشر (١٢) ، تجعل من هذا الانسان مخلوق مزدوج الطبيعة ، لذلك لا يمكن اتخاذه موضعا للتجارب ، لان القدره علنى توجيه نفسه نحو الخير او الشر كامنه في نفسه .

لذا فان مقارنه الانسان بالنبات هو من قبيل الخلط غير الصحيح الذي يتنافى مع الاسس العلمية الصحيحة ولايعنى الاجمع مثلثات غير متجانسة ، لاختلاف الطبيعة الخاصة لكل من الانسان والنبات (١٣)

وحتى لو سلمنا جدلا بقابلية الجينات على تغيير سلوك الانسان ، فما هو السبيل الذى يمكن اتباعه ليصبح في مقدور الجينات القيام بهذه العملية الصعبة والخطيرة ، ورغم التفاؤل الكبير الذى يسود علماء الوراثة في هذا الموضوع بالذات ، الا انهم مازالوا غير مقتنعين بقدره الابحاث العملية على القيام بهذه المهمة ، اذ قامت مجموعه من الباحثين بجمع اعداد كبيرة من ذباب الفاكهه المتصف بالغباء لوجود التغير الاحيائي الذى يجعل من هذا الذباب عاجزا عن تعلم التحسس بخلاف الذباب الطبيعى ، وقامت هذه المجموعة بتتبع دراسة جينات السلوك مصورين بكل دقة المواقع الكروموسومية للجينات التى ينتج عنها السلوك الشاذ من اجل تحديد تأثير كل جين من هذه الجينات وتثبيت الوقت الذى بدأ به العمل للوصول الى معرفة اسباب السلوك غير الطبيعى .

فالجينات كما هو معلوم تلعب دورا كبيرا في عمليات التعلم والسلوك ، فهي التى توجه الارسان لحوالي عشرة ملايين خلية عصبية في دماغ الانسان ، بعض منها تكفل للانسان احتفاظه بالسلوك . واخرى تنظم

Kinbreg. (o). les problemes Fondamentaux
de la Criminologie, Paris, 1960. p. 32.

• ١٢

١٣ • د • ذنون احمد ، المرجع السابق ص ٤١ ، ٤٢

الإدراك انحسبي بالنسبة لما يحيط بالإنسان من الخارج ، فالدماغ يبدأ منذ لحظة الولادة بتمييز حوالي أربعين صوت واضحا من بين الأصوات ساعة الولادة ، علما بأن كافة اللغات الانسانية تتكونه من الأصوات المذكورة .

كل هذه الخصائص الدقيقة والبيديعه التي يتفرد بها الإنسان عن غيره تجعل من الصعب كما يقول العلماء المختصون العبث بسمات السلوك والذكاء لأن جهاز الاعصاب في الدماغ يتكون منذ لحظة الولادة ، ولاجل التحكم في هذه السمات لا بد من تغيير الجهاز المذكور ، وهذا امر لا يخلو من صعوبه لعدم اكتشاف الوسائل المناسبة للقيام بهذه العملية ، أما تغيير شبكة الدماغ فإنه عمل يصعب تحقيقه هو الآخر ، ويتساءل الاستاذ برنارد ديفيز من جامعة هارفاد عن السبب الذي يدفع ببعض العلماء للتورط في مثل هذه العمليات الصعبة والمعقدة ، لأنها تكمن في ادخال جينات سلوك معروفه في خلفية غير معروفه ، وينتهي الاستاذ ديفيز الى القول : على الرغم من نجاح العلماء في القيام بهذه العملية بنسأ على الاسباب الضرورية التي تدعو هؤلاء العلماء لتغيير شخصية الإنسان وسلوكه فإت التغيير الخارجي يكون اسهل بكثير من تحويل الجينات او تغييرها . (١٤) .

المجموعة الثانية : - دراسة تاريخ الاسره :

يقصد بدراسة تاريخ اسرة المجرم وضع بيانات لاصول فرد معين تتضمن الاشارة الى كافة نواحي السنوك اللا اجتماعي والجرائم التي اقترفها هؤلاء الاصول ، وميدان علم الاجرام حافل بمثل هذه الدراسات التي

١٤ . د . حسين فاضل الربيعي ، الهرمونات والجينات ، البايولوجيا الجزئية لملاقة الهرمونات بالماده الوراثيه ، مجلة العلوم، المرجع السابق ص ٥٦ - ٦١ .

تتولى البحث في ذرية احد المجرمين لعدة اجيال ، ومن هذه الابحاث الدراسة التي اجريت على عائلة ماكس جوك الامركية وكان راس الاسرة الذي عاش في اوائل القرن الثامن عشر من مدمني المسكرات كما كانت زوجته تمارس عملية السرقة ، وقد شملت هذه الدراسة سبعة اجيال لهذه الاسرة بلغ عددهم (٧٠٩) شخصا ، ومن خلال هذه الدراسة تبين ان (٢٠٢) منهم من محترفي الدعارة (١٤٢) متشردا و (٧٧) مجرما ارتكبوا جرائم مختلفة ، وعديدون غيرهم من المتسولين و نزلاء الملاجىء وعدد اخر من المصابين بامراض عقلية والمصابين بامراض تناسلية (١٥) .

وثمة دراسة اخرى اجريت على عائلة كاليك من امريكا الشمالية شملت على (٤٨٠) سلفا لهذه العائلة ، تبين من خلالها ان ما لا يقل عن (٢٧٤) شخصا اتهم او ادين في اقتراف جرائم مختلفة من بينهم (٣٧) حكموا بالاعدام ، كما تبين ان فرعا من هذه العائلة يكاد يكون باكملة من محترفي الدعارة والشواذ ومرتكبي الجرائم العامة (١٦) .

ومن هذه الدراسات ايضا ، الدراسة التي اجريت في سويسرا حول اسرة زيرو (١٧) تمخض عنها ان جل افراد هذه الاسرة تنهج نهجا اجراميا وراثا من جدهم الاعلى فقد كان بعضهم مدمنا على الخمر ، وبعضهم اصيب بالتخلف العقلي ومنهم من اقترف الجرائم المختلفة وحكم عليه جنائيا ويدلل القائم بهذه الدراسة على صحة رأيه بفشل كافة المحاولات المبذولة لاصلاح سلالة هذه العائلة سواء اكانت محاولة السلطة ام رجال الدين (١٨) .

-
- ١٥ . د . فوزيه عبد الستار ، المرجع السابق ، ص ٨٠ - ٨١
١٦ . د . جلال ثروت و د . محمد زكي ابو عامر ، المرجع السابق ص ١٣٦
١٧ . وهو اسم مستعار لهذه الاسرة لان الكثير من افرادها كان على قيد الحياة وقت اجراء الدراسة .
١٨ . د . يسر انوار علي و د . امال عبد الرحيم عثمان ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٣

تقييم اسلوب دراسة تاريخ الاسرة :

المزايا :

ما من شك في ان الباحثين الذين قاموا باجراء هذه الدراسات قد بذلوا جهدا لا يستهان به في هذا المضمار محاولين الوصول الى النتائج الموجودة لبحوثهم الميدانية . ولذا فان تقييمنا ينصب على الجهود القيمة التي بذلها هؤلاء الباحثين دون ان تشمل النتائج التي انتهوا اليها .
وهناك بعض الجوانب الايجابية التي لا بد من تشيبتها في هذا المقام وهي نجاح هؤلاء الباحثين في لفت الانظار الى اهمية دراسة المجرمين وفق اسس الوراثه باعتبار ان هذا العلم يمثل من وجهة نظرهم وسيلة عملية تدلل على اثر الوراثه في توجيه السلوك الانساني .

الانتقادات :

ان ما تقدم من مزايا لا ينفى خطأ النتائج التي توصل اليها الباحثون من خلال الدراسات الميدانية التي قاموا بها ، اذ اننا لانعد الوراثه قادرة على نقل اسباب السلوك اجرامي معتمدين في ذلك على الادله الاتيه
١ - ان خلاصة هذه الدراسات قد اعتمدت على بحوث ميدانية اجريت على ثلاث اسر من مجموعة ملايين الاسر في المجتمع العالمي يختلفون في العادات والتقاليد ويتباينون في الزمان والمكان وليس من القواعد العلمية ان تعمم على ملايين الاسر صفات اسر ثلاث شملت تلك الدراسات .

٢ - بصفتي احد المهتمين بتحليل الظاهرة الاجرامية ، كانت تتجلى امامي الدراسة الميدانية شئت ام لم اشأ ، وما اعظم المشاهد المتناقضة التي لازالت تشير الاستغراب في مخيلتي اذ ثمة اسر يتعذر ذكر اسمائها التزاما بمنطق الامانة الاجتماعية ، اسر اتصف الالباء فيها بمنتهى النبل والشهامه والتقني واذا ببعض ابنائها ينحدرون في مهاوى الشر والرذيلة ، واسر

اشتهرت بالشر والعدوان واذا بابنائها يرتقون المنازل الاجتماعية العليا
لكرم اخلاقهم وسماحتهم وتواضعهم ، ولهذا تأثر مجتمعنا بهذه المشاهدة
المتناقضة التي تمثل خير دليل على خطأ النتائج التي انتهى اليها الباحثون .

٣ - قال سبحانه وتعالى وهو اصدق القائلين (يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي) قال المفسرون : (تدل هذه الاية على قدرة البارئ
عز وجل على خلق الاشياء وازدادها زيدل بخلقه هذا على كمال قدرته
فمن ذلك اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن) (١٩) .

٤ - لو كانت الصفات الوراثية تنقل وراثه لما ارسل الله تعالى
الانبياء والمرسلين لاصلاح البشر اذما نقل وراثه لا يمكن ان يغير بفعل الوراثة
وهذا امر محال ، اما الحقيقة فان السلوك الانساني لا يورث لانه يدور بين
الخير والشر والمسائل الروحانية لاعلاقة لها بالوراثة ، ولنا في اسلافنا
العظما خير دليل على ذلك فلو حللنا شخصية اى من هؤلاء في الجاهلية
لوجدنا بانه يحمل خصائص وصفات متناقضة تماما عما اصبح عليه بفضل
الاسلام ، ولو كانت الجريمة تخضع لقانون الوراثة لما تغير سلوك هؤلاء
نحو الاحسن ولفشلت ايضا المدارس الاصلاحية في اداء رسالتها ، ولما
استطاعت ان تقوم من سلوك احد .

ولهذا فاننا لانعد العوامل الوراثية اسبابا في السلوك الاجرامي واما
نتائج الدراسات الميدانية التي توصل اليها الباحثون فان سببها في تقديرنا
كان بسبب الاكتساب بعد الولادة دون الاكتساب من لحظة الاخصاب ، اذ لو
انقذ طفل حين ولادته من بيئة تتسم بالشر والجريمة وربى على الخير
والفضيلة لاكتسب منها الخير والفضيلة ايضا ، ولهذا فاننا نؤكد ما
سبق ان ذكرناه من ان السلوك الانساني سواء اكان خيرا ام شرا يتحقق
بعد الولادة وليس عن طريق الوراثة .

١٩ . الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٤٢٨

www.alkottob.com

المبحث الثاني

الجنس

خلق الله تعالى المرأة من نفس الرجل ، قال تعالى (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسألون به والارحام ان الله كان رقيبا) (٢٠) ، ومما لا ريب فيه ان هذه الاية الكريمة دلت على ان المرأة مخلوقه من نفس الرجل وبناء على هذا فلا فرق بينهما الا ما يتعلق بالتكوين العضوي الخاص بكل منهما وبالمكتسبات من الهيئة الاجتماعية ولذين السببين نالت الأحصاءات الجنائية على الجرائم التي تقتربها النساء اقل بكثير من جرائم الرجال كما سنبين ذلك فيما بعد ، ولو شاركت المرأة في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية مشاركة الرجل ذاته لازداد عدد الجرائم باطراد بقدر ما تزداد هذه المشاركة ، ولكن لحكم تكوينها ومما تتسم به من حياء جعلها في وضع اجتماعي ينسجم مع ذات تكوينها ، ولهذا نجد المرأة كلما لعبت الدور الذي يلعبه الرجال اقتربت الجريمة كما يقتربها الرجال وفعلا فقد اجمع الباحثون في هذا الميدان ان اجرام النساء يختلف عن اجرام الرجال من ناحيتين كمية ونوعية ، وهذا سنتولى ايضا حبه في المطلوبين الاتيين : -

٢٠ . سورة النساء ، اية رقم (١)

المطلب الاول

الاختلاف بين اجرام النساء واجرام الرجال

اولا . الناحية الكمية :

أكدت الاحصاءات الجنائية في كل مكان من العالم على ان نسبة اجرام النساء اقل بكثير من اجرام الرجال وقد اسفرت الدراسة الاحصائية التي قام بها بعض العلماء الامان لاستخلاص النسب المئوية التي تبين نصيب المرأة في المساهمة في ارتكاب الجريمة عن نتائج تؤيد الاختلاف الكمي بين اجرام النساء واجرام الرجال وكما يأتي . (٢١)

ت	اسم الدولة	وقت اجراء الدراسة	النسبة المئوية
١ -	بلجيكا	١٨٢٧ - ١٩٢٣	٢٥ر٥ %
٢ -	تشيكوسلوفاكيا	١٩٢٣ - ١٩٢٥	
	أ . بوجيميلوراquia		١٩ %
	ب . سلوفاكيا		٢٣ر٩ %
٣ -	هنغاريا	١٩٢٦ - ١٩٣٠	٢٢ر٦ %
٤ -	بولونيا	١٩٢٤ - ١٩٢٧	١٧ر٩ %
٥ -	ايطاليا	١٩٢١ - ١٩٢٣	١٧ر٤ %
٦ -	النمسا *	١٩٢٦ - ١٩٣٠	١٦ر٣ %
٧ -	سويسرا	١٩٢٩	١١ر٣ %
٨ -	هولندا	١٩٢٦ - ١٩٢٩	١٠ر٥ %
٩ -	فرنسا	١٩٢٥ - ١٩٢٩	٩ر٨ %
١٠ -	انكلترا	١٩٢٦ - ١٩٣٠	٩ر٥ %
١١ -	النرويج	١٩٢٦ - ١٩٣٠	٨ر٣ %
١٢ -	اليابان	١٩٢٥ - ١٩٣٠	٦ر١ %

٢١ . د . يسر انول على ، د . امال عبد الرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٨٣ و ١٨٤ .

ورغم ان هذه الدراسة الاحصائية قد اجريت في فترة زمنية قديمة نسبيا لانها اجريت تقريبا بين سنة ١٩٢١ - ١٩٣٠ . الا انها تبذل على صحة ما ابديناه في المقدمة رغم اقرارنا بالتطورات الكبيرة التي طرأت على الحياة الاجتماعية للمرأة في الدول التي كانت محلا للدراسة ، ولسوء تهيئات لنا الان دراسة احصائية اكثر علمية وحدائه من تلك الاحصائيات لاستطعنا ان نتلمس الاثار المباشرة لمشاطرة المرأة للرجل في مختلف الميادين . ولذا فان المرأة كلما تحملت من مشقة الحياة او شاركت الرجل في تحمل اعباء المسؤولية او لعبت ادواره الاجتماعية اللامشروعة المتمثلة بتناول المخدرات والمسكرات ونعيب القمار كلما ازداد نسبة ارتكابها للجرائم . والاحصاءات الجنائية خير شاهد على ذلك فالفرق بين نسبة اجرام المرأة الى نسبة اجرام الرجل تكاد تكون كبيرة جدا في المجتمع العراقي . لان المرأة العراقية لم تلعب دور المرأة الغربية في ممارسة الظواهر الاجتماعية اللامشروعة ، وان سلوكها مازال محكوما بكتير من التقاليد والقيم التي يمتاز بها مجتمعنا الفاضل ، لذا تمخضت الدراسة الاحصائية التي قمنا بها عن اجرام الرجال يفوق بكثير اجرام النساء حيث بلغت النسبة المئوية لاجرام المرأة في العراق سنة ١٩٧٩ ارا ١١٪ (٢٢) .

وحيث ان المرأة اليابانية اقل ميلا من المرأة في الدول الاخرى للمشاركة في الحياة الاجتماعية العامة فان جريمتها اقل من نسبة الجرائم المقرفة من هؤلاء النساء ، حيث بلغت ارا ١٪ وهي اقل نسبة في الجدول المتضمن للنسب المئوية لاجرام النساء في بعض دول العالم .

٢٢ . النشرة الاجتماعية الاحصائية ، الجهاز المركزي للاحصاء مسح الجريمة في مرحلة التحقق (عدا المخالفات) سنة ١٩٧٩ ص ٣٧

الاجتماعي ، إذ المفروض ان سكان هذه المناطق سوف يكون اجتماعيا . لهمم تاريخ طويل من البؤس والحرمان المادي والفكري والمعنوي ، تكديس سكاني شديد في اماكن ضيقة والمساكن قذرة وغير صالحة للسكن حبيسا وانتشار البطالة ، والاطفال مهددون صحيا ونفسيا ودراسيا ، وهسته الاحياء تكون افضل بؤر للجريمة والدمارة والعصابات الاجرامية (١) -

وبما ان هذا التركيز يتخذ صورة تجمع الناس في العواصم والمدن الداكنة فالاجرام خصائص تميزه عن الاجرام في الريف (٢) : لهذا فان التطور الاجتماعي والحضاري قد تميز بصفة عامة بزيادة في نسبة الانحراف والاجرام ، فتطور الافكار المتصلة بالسلوك اللئيم والسلوك المنحرف ظهرت التقاليد القانونية والاجتماعية التي تتجم عن مخالفتها صور عديدة من الجرائم والردائيسل *

ومن العوامل التي تؤدي الى ارتفاع نسبة الجرائم في المدن الكبيرة :

١ () التقدم الحضاري الذي ضاعف من الحاجات والرغبات ، وما يتبعه من مجهودات تبذل في سبيل اشباع هذه الحاجات والرغبات ، وهذا يؤدي في كثير من الاحيان الى سلوك اجرامي ، لان التطور الحضاري يرافقه زيادة في القوانين التي تحكم السلوك الانساني . وهذه الزيادة تقابلها زيادة الفرص لمخالفتها وتبعها لذلك تزداد نسبة الجرائم الماركسية *

٢ () كثافة السكان وتركزهم في المدينة يزيد من فرص التقليد والمحاكاة في اقتواف الجرائم بشكل تفوق بدرجة كبيرة نسبتته في الاحياء الريفية ، ومن ابرزها القمار وتعاطي الخمر والدمارة والرهينة وغير ذلك من الانحرافات الاخلاقية *

١ - د . مصطفى حجازي : الاحداث الجانحة - ابراهيم السايح - ص ٩٥ .
٢ - د . صبير تميم احمد : الدراسة العلمية للسلوك الاجرامي ، القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، ص ١٨٥ .

٢ (الحياة الاجتماعية تميل الى التعقيد في ادينة اكثر منها في الريف ،
يؤدى الى زيادة الجرائم ، فالبيئة الحضرية المعقدة من شأنها ان تدفع
الفرد الى التردى في مهاوى الجريمة . وهذه الحقيقة ملموسة بصفة
خاصة في المدن الكبيرة حيث تكون بيئتها الاجتماعية سببا في اقتراف
كثير من الجرائم بسبب المفريات ووسائل اللهو والترفيه مما يوجد
معها الافراد صموبة في التكيف مع بيئتها المعقدة فيصبح افراد اكثر
عرضة للانزلاق والاعتراف ، خاصة ان اغلبية المهاجرين الى المدينة
هم من الشباب الذكور ، ومرحلة الشباب من اكثر مراحل العمر
حيوية ونشاطا وشموحا ، وتمثل بداية للاستقرار العاطفي والمكاني
والهتي ، وعلى عكس ذلك البيئة الريفية فانها تميل الى البساطة
مما يسهل على الفرد التكيف مع بيئتهسسا .

اذ لاواجه هذا الفرد مشاكل صعبة مستعصية كبا لايتعرض لمفريات
تدفعه السلوك الاجرامسي .

٤ (ان التقدم العلمي والحضارى في المدن سهل للمجرم استخدام الاساليب
التقنية والعلمية ، لاسيما المجرم الذى يتصف بالذكاء والقبليية اذا
استعمل هذه الوسائل في مباشرة نشاطه الاجرامي دون ان يكتشف
اسسوره .

٥ (ان ازدياد التجمعات الانسانية في المدن وما ينجم عنه من ازدياد
سكاني من شأنه ان يهيء الاقامة المناسبة للمجرم اكثر من الريف ،
لان الفرد يمكنه ان يستقر في المدينة دون ان يقيم علاقات مع جيرانه
ما يسهل عليه التحرك بحرية دون ان يلفت نظر احد ، اذ يجد في
المدينة المحيط الاجتماعي الذى يلبي رغباته غير المشروعة ، لهذا
يفضل المجرمون الاقامة في المدن على الاقامة في الريف اذ في الريف يكون

التسلسل	الجريمة	النسبة المئوية
١ -	الجرائم التي تمس الاسرة	٤٤ر٠٩٪
٢ -	الجرائم المتعلقة بالبنوه ورعاية القاصر وهجر العائلة	٣٠ر٤٣٪
٣ -	القذف والسب	٢١ر١٤٪
٣ -	اخفاء اشياء متحصلة عن جريمة	٩ر١٣٪
٥ -	السرقعة	٥ر٥٤٪
٦ -	الاعتداء على الموظفين	٥ر٢٤٪
٧ -	القتل	٥ر١٤٪
٨ -	خيانة الامانة	٤ر٢٩٪
٩ -	المساس بسير القضاء	٣ر٩٧٪
١٠ -	لعب القمار	صفر
١١ -	جرائم السكر	صفر

وخلاصة القول ان المرأة اذا بقيت محافظة على انوثتها ولم تشارك الرجل في بعض النشاطات الاجتماعية العامة فانها تكون اقل اجراما من الرجل بنسبة لا يستهان بها والدراسة الاحصائية خير دليل على ذلك ، والا فقد تقترف المرأة الجريمة كما يقترفها الرجل لاسيما وانها اسرع منه غضبا واشد ثورة وقد اثبتت اخر الدراسات العلمية التي اجريت بهذا الصدد ان الغضب من سباب المرأة ، لانه يدخل في التركيب النفسي والمضوى لها .

المطلب الثاني

تفسير الاختلاف الكمي والنوعي بين اجرام المرأة والرجل :

اولا - اختلاف مشاركة المرأة الرجل للحياة الاجتماعية :

لاشك في ان المركز الاجتماعي الذي تمارسه المرأة داخل المجتمع يؤثر تأثيرا كبيرا في تحديد اتجاه سلوكها الانساني خيرا ام شرا وقد اكدنا هذه الحقيقة من خلال رجوعنا الى الاحصاءات الجنائية المعتمدة بهذا الصدد فكلما ازدادت مشاركة المرأة الرجل في تحمل مشاق الحياة وانقيام بما يقوم به الرجل سلبا وايجابا اخذا وعطاء كلما اجتثها ظروف الحياة الى ما اجتث الرجل اليه من السلوك الاجرامي ، لانه يصعب على الانسان اقرار الجريمة وهو بعيدا عن الاخرين لايحتك بهم سلبا ام ايجابا الا اللهم بعض الافعال التي يطلق عليها جرائم اصطلاحا كحوادث القتل التي تقع تطبيقا لهالة الدفاع الشرعي ، ولذا فان المرأة ان اشتركت مع الرجل بكل اعماله فان اقرارها للجريمة يكون اكثر احتمالا .

واما اجمل واقع مجتمعنا الذي تهيسن على بعض جوانب سلوك افراده القيم الاخلاقية الفاضلة من حيث ميل المرأة للاحتفاظ بانوثتها وحرصها على احترام الروابط الزوجية والحفاظ على دوام السعادة بتفضيلها ادخار ما وهبها الله من طاقات من اجل استقلالها بشؤون الاسرة والقيام بمواجبتها الاول المتمثل في اعداد البنات الاساسية في المجتمع اذ هي المسؤولة عن تربية الاطفال وتنشأتهم النشأة الصالحة ليكونوا رجال المستقبل دون ان تعتمد الى تبذير هذه الطاقات الغلظة في الامور التي تتنافى ودورها الكبير في المجتمع .

ولما كان وضع المرأة المجتمع الياباني مشابها لحد ما لوضع المرأة في مجتمعنا من حيث تفضيلها لاستغلال طاقاتها في العناية بشؤون الاسرة

والعمل على كل ما من شأنه تحقيق الرفاهية والسيادة لميت الزوجية .
لذا فقد وجدنا ان نسبة ارتكابها للجرائم أقل بكثير من الجرائم التي ترتكبها
المرأة في المجتمعات الرأسمالية الاخرى كما في الدول اوروبا انغريية والولايات
المتحدة الامريكية واستراليا بسبب دخول المرأة الميكسر لميادين العمل
المختلفة على حساب واجبها الاساسي (٢٧) .

ثانيا - الاختلاف في التكوين ابيولوجي :

تختلف المرأة عن الرجل عضويا ونفسيا ، فمن الناحية العضوية
تكون المرأة اضعف تكوينا من الرجل ، وفي دراسة اجراها الاستاذ كوتليه
عمد فيها الى مقارنة جسم المرأة بجسم الرجل من اجل التوصل الى معرفة
قوة المرأة وقياس نسبة قوتها الى الرجل ، وقد استخدم في هذه المقارنه
وسائل القياس لمختلف المظاهر الداخلية والخارجية ، وتوصل في خاتمة
دراسته هذه الى ان قوة المرأة تساوي نصف قوة الرجل (٢٨) ومن هذه
النتيجة انطلق بعض العلماء لتعميل انخفاض نسبة الجرائم الخطيرة التي
ترتكبها النساء والتي تتطلب بذل مجهودا بدنيا كبيرا ، و عدم ميل النساء
لاستخدام العنف في اقرار الجرائم ، ولعل وظائف المرأة فطره كانت سببا
في عدم ميلها الى العنف الذي يميل اليه الرجال ، اذ غالبا ما تكون في
في دور حمل او ارضاع وغير ذلك من الحالات التي تختص بها المرأة ،
كما يمكن القول بان ميل المرأة فطره الى الاحتفاظ بمحاسنها انوثة
وجمالا سببا له وجاهته في عدم ميل المرأة الى العنف

(٢٧) د . يسر انور ود . امال عبد الرحيم عثمان . المرجع السابق ص ١٨٤
(٢٨) د فوزية عبد الستار المرجع السابق ص ١٠٣

وللعوامل النفسية أثر لا يستهان به على سلوكها الانساني خيرا ام شرا ، وقد ترتكب المرأة الجريمة اذ شعرت بفقد شيء من ذاتيتها او مما يختص بها سواء في العنصر الروحاني او العنصر المادي ، ولذا فأنهسا تقترف الجريمة متى ما مست مشاعرها مساسا جارحا او تعرضت مصالحها لخطر ، (٢٩) وهكذا تتناسب كمية الجرائم تناسبها طرديا اضطراب عواطفها واشتداد غضبها ، وقد نقل بعض الفقهاء قصة اخرى تدل على مدى عنف المرأة اذا مست مصالحها ، بالنص الاتي :

حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابو عاصم عن ابي جريح عن عمر وبن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال نشد عمر الناس ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنين فقال حماد بن النابغة :

٢٩ - يسجل التاريخ القديم والحديث شواهد تدل على قسوة المرأة ومن ثم ارتكابها اعنف الجرائم واقساها اذا تضررت مصالحها الخاصة من تلك الحوادث ما اشارت اليها الابيات المشهورة عند النحاة :

اذا قالت حذام فصدقوها	فان القول ما قالت حذام
الا ياقومنا ارتحلوا فسيروا	قلو ترك القطا ليلا لنام
فلولا المزعجات من الليالي	لما ترك القطا طيب المنام

والايات المذكورة قالها زوج الامرأة المشهورة لسدى الجميع ، حيث اعتدت ضرة حذام فقطعت يد حذام فما كان من حذام الا ان اضرمت حجرا حتى صار لضى وعمدت الى رمية على وجه ضررتها وهي نائمة فاستنجدت ضررتها بقومها وقد عرفت حذام بشرستها بمجىء قوم ضررتها الى حربها ، شفاء الصيد في شرح شواهد القطر ، مطبعة حجازي ، القاهرة سنة ١٣٣٥ هـ ، ص ٤ ابن هشام الانصاري ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، بلا تاريخ ، ص ٩٥ .

كنت بين امرأتين احداها الاخرى بمسطح فقتلتها فقضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في جنينها بغرة وان تقتل (٣٠) .

والذى نراه ان المرأة بما فيها من نفس رقيقة اسرع الى عنفوان
الغضب من الرجل ، ولذا فان اى محفز خارجي يستفزها يمكن ان يساعد
على ظهور بعض العوامل الكامنة في نفسها ومن ثم يؤدي الى غضبها ، وقد
سبق ان بينا تفصيلا الاثار الكبيرة للغضب على سلوك المرأة
وتوجيهه وجهة الشر ومن ثم اقترافها الجريمة ، وقد مددت المرأة بالغضب في
جريمة اللعان بصفة الغضب وسيلة نفسية مخيفة تذكر المرأة بعاقبه يمينها
ان كان زورا وافتراء قال تعالى : (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم
شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين
والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويدرا عنها العذاب ان
تشهد اربع شهادات بانله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عنيتها
ان كان من الكاذبين ، ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه
من الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) (٣١) .
ويصدد هذا التهديد يورد المفسرون رحمهم الله : انما خصت الملاعة
بان تخمس بغضب الله تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور بخيلائها
واطماعها ، ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد (٣٢) .

٣٠ (واصل القصة نقلها الامام الضحاك ايجاز ثم وثقها واوردها د .
خالد الجميلي تفصيلا ، انظر ، الومضات في تخريج احاديث
الديات ، ص ١١٩ .

٣٢ (سورة النورة الايات من ٦-١٠ .

٣١ (انظر تفسير الفخر الرازي القاهرة ، ١٣٠٨هـ ، الطبعة الاولى ج٦ ص
٢٣٥

المبحث الثالث

(السنن)

تعد حياة الفرد سلسلة متصلة الحلقات تبدأ بولادته وتنتهي بوفاته ، وبين هذه البداية وتلك النهاية يمر الفرد بمراحل عمر مختلفة يخضع فيها لتغيرات متعددة ، ينمو فيها تكوينه العضوي والنفسي كما وتتغير البيئة المحيطة به ، ويؤثر هذا النمو والتغير على سلوكه وتصرفاته (١) ، لذا فإن التغيرات التي يمر بها الفرد خلال مراحل حياته هي نوعان :

النوع الاول :

التغيير الداخلي ويبدو جلياً في مرحلتي الطفولة والشباب ، حين تزداد الطاقة البدنية وتنمو الغرائز المختلفة لاسيما الغريزة الجنسية .

النوع الثاني :

التغيير الخارجي : ويقصد به التغيير الذي يطرأ على البيئة المحيطة بالفرد في مراحل عمره المختلفة والتي تتلائم مع التغيير الداخلي بالنسبة لمراحل العمر المختلفة (٢) .

ولم يتفق المختصون (٣) في علم الاجرام على مراحل النمو لدى الفرد

- ١ - د . علي عبد القادر القهوجي ، علم الاجرام وعلم العقاب ، الدار الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ١٩٦٣ .
- ٢ - د . مأمون محمد سلامة . اصول علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .
- ٣ - د . فوزية عبد الستار مبادئ علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، د . يسر انور علي ود . امال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ص ١٨٨ ، د جلال ثروت ومحمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ١٤٥ - ١٤٨ ، في حين يقسمها د . مأمون سلامة الى ثلاث مراحل هي الطفولة والبلوغ والشوخة ، انظر د مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٧ .

إذا قسمها بعضهم الى اربعة مراحل هي :

مرحلة الطفولة والمراهقة أو البلوغ والنضج والكهولة . في حين
اضاف البعض (٤) الاخر مرحلة الشباب كمرحلة وسطية بين المراهقة
والتنضج .

اما في الفقه الاسلامي فقد قسمها الفقهاء (٥) الى المراحل الاتية :

١ - الصغير : ويسمى بالفلام حتى البلوغ وهذه المرحلة تنقسم الى
قسمين صغير غير مميز دون السابعة (٦) وصغير مميز من السابعة حتى
البلوغ ، والبلوغ يعرف بالمتغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على الصغير
والمتحققة باحتلام الصبي وبحيض البنت ، اى قدرة كل منهما على الزواج
والانجاب ، واذا تأخر تحقق هذه الظاهرة فان الفقهاء يلجأون الى السن
تحديدا لهذه المرحلة ، وقد ذهب فقهاء الشافعية الى اعتبار مرحلة خمس

٤ - د . محمد خلف ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ - ١٩٤ ، وقد قسمها
د . احمد عوض بلال الى سبع مراحل هي : الطفولة والمراهقة والنضوج
المبكر والنضوج المتوسط والنضوج الكامل والسن الحرجة والشيوخوخة ،
راجع في تفصيلات ذلك : د . احمد عوض بلال ، علم الاجرام
(النظرية العامة والتطبيقات) دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٤
- ١٩٨٥ ، الطبعة الاولى ، الصفحات ٢٥٦ - ٢٦٤ .

٥ - الاشباه والنظائر لابن نجيم وشرحه غنم العيون والبصائر للحموى
القاهرة ط ١ ، بلا تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٣٥ .

٦ - د . عبد الكريم زيدان ، الوجيز في اصول الفقه ، دار النذير للطباعة
والنشر والتوزيع ، بغداد ١٣٨٣ هـ ١٩٦٢ م ط ١ ص ٨١ ، وقد ذكر
بهذا الصدد ان سن التمييز مقدره عند العلماء ببلوغ الصغير لسن
السابعة وهذا لاجل ضبط الاحكام ولم يكن الفقهاء المتقدمون يقدرون
للمميز سنا معينة وانما فعله المتأخرون منهم وربما اساسه ماجاء في
الحديث بشأن امر الصغار بالصلاة . (مروهم بالصلاة وهم ابنا سبع
واضربوهم عليها وهم ابنا عشر) .

عشر سنة مرحلة بلوغ لدى الجنسين سواء ظهرت علامات الرجولة والانوثة
ام لم تظهر ، والى هذا ذهب صاحبنا ابو حنيفة محمد وابو يوسف ، اما ابو
حنيفة فقد اخذ بالاحتياط اذ رفع مرحلة البلوغ الى ثماني عشرة سنة للذكر
وسبع عشرة سنة للأنثى (٧) .

٢ - مرحلة الفتوة والشباب : وتبدأ من سن التاسعة عشر الى الثلاثين .

٣ - مرحلة الكهولة : وتبدأ من سن الثلاثين الى الخمسين .

٤ - مرحلة الشيخوخة : وتبدأ من سن الخمسين الى نهاية العمر
وهذه المراحل المختلفة اثار شتى على الظاهرة الاجرامية ، اذا الظاهرة
الاجرامية تزداد بتقدم المراحل التي يمر بها الانسان وتنحسر ببل تكاد
تختفي في المراحل الاولى في حين تتضاءل في مرحلة الشيخوخة غالباً وبناء على
ذلك نستعرض فيما يلي اراء العلماء المختصين والباحثين الميدانيين في
هذا الصدد .

المطلب الاول

مرحلة الطفولة

وتبدأ هذه المرحلة من لحظة الولادة حتى سن الثامنة عشر ، وبالنظر
لما تمتاز به هذه المرحلة من تغييرات جوهرية في النمو والادراك فقد اُشرت
تقسيمها الى ثلاث مراحل تستوعب هذه المتغيرات التي يمر بها الطفل قبل
التمييز وبعده وعند دخوله مرحلة المراهقة .

المرحلة الاولى : الطفولة قبل مرحلة التمييز (الصغير غير المميز) :

وتبدأ بمولد الطفل حتى بلوغه سن السابعة من عمره ، فقد ذهب البعض (٨)

٧ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للفقيه الكاساني ، مطبعة الامام ،
القاهرة ١٩٢٢ ج ٧ ص ٤٤٧ .

٧ - د . عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، دار النهضة العربية ،
بيروت ، ١٩٢٢ ، ص ٧٥ ، د . اسحاق ابراهيم منصور ، الموجز في
علم الاجرام ، والمعقاب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٧٩ ،
ص ٥٢ .

الى ان الجرائم تتركز في ثلاث مراحل من العمر وهي :

المرحلة الاولى : بين سن الثالثة والسادسة .

المرحلة الثانية : بين سن اربع عشرة والسادس عشرة .

المرحلة الثالثة : بين سن الثانية والاربعين والخامسة والاربعين معللين ذلك بخضوع العقل والنفوس خلال هذه المراحل لنزعات شهوانية متعددة بسبب تحول بعض الغرائز الفطرية وتغير قوة الذات .

في حين يرى البعض (٩) ان هذه المرحلة لا علاقة لها بالظاهرة الاجرامية رغم اهميتها في تكوين شخصية الفرد ، فانطلق في بدأ حياته يعتمد على والديه اعتمادا كلياً ، ولا يتمكن من فهم وادراك - العوامل البيئية والاجتماعية المحيطة الا في سن السابعة أو الثامنة ، ولهذا عد هؤلاء الفقهاء سن السابعة هو السن الذي يبدأ فيه الطفل في الخروج عن طاعة والديه وينتهي السلوك الذي يمكن ان يتحقق معه الفعل الجرمي .

ويتجه رأى ثالث الى (١٠) عدم ادخال هذه المرحلة في الظاهرة الجرمية نهائياً ، فقبل بلوغ الطفل سن التاسعة لا يمكن ان تظهر في حياته افعال اجرامية ، وحتى بعد بلوغه سن التاسعة الى سن الثانية عشرة فان هذه الافعال لا تظهر الا على سبيل الاستثناء ، وحجتهم في ذلك ان معظم التشريعات الجنائية لا تسمح بمسائلة الحدث جنائياً الا اذا كان قادراً على الفهم والادراك .

ان هذه الاراء لم تقلح في اعطاء تفسير دقيق وواضح للملأقة بين مرحلة الطفولة الاولى والسلوك الاجرامي ، لانها تجاهلت الحقائق التي

٩ - د . علي عبد القادر القهوجي علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

١٠ - د . احمد عوض بلال ، علم الاجرام (النظرية العامة والتطبيقات) المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

سبق الاشارة اليها بصورتها التفصيلية ، ويتصورنا فان دراسة العلاقة بين هذه المرحلة وسلوكه الاجرامى لاتعنى بالضرورة الاقتصار على تحقيق سياسة المنع والرع وانما ينبغي ان تتضمن دراستنا ابعاد من ذلك ، فسياسة المنع وسياسة التوقيى من الجريمة لاتتحقق الا اذا امكن التحيلولة بين الفرد وبين اقترافه الجريمة حتى وان كان في مراحل عمره الاولى ، وهذا ما يطلق عليه السياسة الوقائية الخاصة بالصغار ، لهذا قلنا بان مرحلة الطفولة قبل التميز مرحلة بالغة الخطورة لانها تمثل بداية الاستعداد لدى الطفل للتأثر بما يدور حوله في بيئته ، فالطفل وهو ينمو يقلد من حوله قبل ان يعقل مايفعل ولذلك ينبغي ان يكون من حوله صالحا ليكتسب منه الاخلاق والعادات والقيم الفاضله ، فبنشأ نافعا مستحقا للتكريم الذى كرمه الله في انسانيته ، قال تعالى ((ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من سن الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) * .

ولان الطفل غالبا مايحرص على التقليد فان هذه الظاهرة سرعان ماتؤتى ثمارها فتتولد الخطورة الناشئة عن واقع البيئة غير السوية التى ينمو فيها الطفل ، فاذا تجاوز الصغير سن السادسة تشعبت مصادر المعرفة عنده من المدرسة كمنهاجج والقائمين على شؤونها كأشخاص وسنوك التلاميذ الذين يعكسون بيئات اجتماعية شتى وكذلك الاطفال الذين يختلط بهم عند خروجه الى الشارع . وبما ان الطفل مازال قاصرا في تمييزه بين الخير والشر فان المسؤولية الكبرى تقع على الابوين في هذه المرحلة ولما تمتاز به هذه المرحلة من خصوبة فقتسد تحت الشريعة الغراء على استغلالها على افضل وجه ، اذ امرت الوالدين بتوجيه الصغير وتربيته على اسس قويمه حتى تشحن روجه شحنا بمبادئ الخير والمحبة والفضيلة ، ولا ثم حصن منيع يتحصن به الانسان من

★ - سورة الاسراء ، الاية ٧٠ -

الجريمة الا هذه المبادئ التي تتلخص بتقوى الله والخوف من عقابه
والشغف بثوابه ، اي حصن امضى قوة يحول دون اقتراف الجريمة من
حفظ الصغير قوله تعالى (من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض
فكأنما قتل الناس جميعا) (١١)

واى طود يحصن الانسان من نزوات الشيطان اعظم من ان يحفظ
الصغير قوله تعالى (والسيار والسيارة فأقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا
نكالا من الله والله عزيز حكيم) (١٢) وقوله (ولا تبغ الفساد في الارض
ان الله لا يحب المفسدين) (١٣) .

حصون شتى امرت الشريعة الاسلامية المرين بان يوجهوا الصغار
على انوارها حتى يستقبحوا الجريمة وأخطارها وقد اكدت الشريعة على
مبدأ القدوة الحسنه في التربية والتوجيه لانه خير تطبيق عملي بعد هذه
المبادئ النظرية قادر على توجيه الصغير توجيهها حسنا مثاليا يبتغى
الصغير فيه على فطرته السليمة والقدوة الحسنه لا يقتصر اثرها على
الصغار فحسب بل انها في تصورنا لها الاهمية الكبرى حتى بالنسبة للمبالغين
واهدا كان الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز تنهمر دموعه ويشعر جلده
حينما يسمع قوله تعالى (وقفوههم انهم مسؤولون) (١٤) لان القدوة
الحسنة والمثل الاعلى والمسؤولية لا يختص بها واحد دون اخر بل هي
شاملة لروافد المجتمع كافة ، وهي امانة وكل مؤتمن مسئول امام الله من
الابوين الى الاخ الكبير الى الاخت الكبيرة الى كل من وضع في عنقه امانة
التربية والتوجيه والتعليم بالشكل الذي بينه النبي محمد صلى الله عليه وسلم

١١ - سورة المائدة الاية ٣٢ .

١٢ - سورة المائدة الاية ٣٨ .

١٣ - سورة القصص الاية ٧٧ .

١٤ - سورة الصافات الاية ٢٤ .

بقوله : كللكم راع وكللكم مسؤول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع في اهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتهما والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته والابن راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته ، فكللكم راع وكللكم مسؤول عن رعيته (١٥) .

وتعدل الاحصاءات الجنائية (١٦) على ان الجرائم التي يرتكبها الصغار تكون قليلة لا تكاد تذكر ، حيث بلغت النسبة المئوية لاجرام الصغار غير المميزين في العراق لسنة ١٩٧٩ : ٠ : ٠٫٩٪ ، ويتصورنا يعود سبب انخفاض الجرائم بالنسبة لهذه المرحلة لعوامل شتى اهمها : -

١ - شدة الرقابة التي يفرضها الابوان مقرونة بالعناية الفائقة على ابنهما في هذه المرحلة من حياته .

٢ - شعور الطفل بالقناعة وقلة المغريات التي تدفعه لاقتتاف الجريمة ، لان هذه المرحلة اشد ارتباطا بانفطرة السنيمة بل تمثل امتدادا لها .

المرحلة الثانية :

الطفولة بعد مرحلة التمييز (الصغير المميز) :
وتقع هذه المرحلة بين سن السابعة حتى سن المراهقة ، فقد دلت الدراسات النظرية والتجارب العملية في مختلف أرجاء المعمورة على ان

١٦ - اخرجة البخارى ومسلم براوية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .
١٥ - راجع النشرة الاحصائية التي تصدرها دائرة الاحصاءات الاجتماعية مسج الجريمة في مرحلة التحقيق (عدا المخالفات) لسنة ١٩٧٩ ، ص ١٥٦ .

الادراك يبدأ في السنة السابعة من عمر الانسان ، وعلى هذا الاساس فأن
احدث النظريات التربوية اخذت بالحد الأدنى لبداية الادراك اذ جعلت
اكمال سن السادسة بداية الانتظام في المدارس ، وهذا دليل قد لا يختلف
فيه اثنان ، لانه مجمع عليه بين رجال التربية ثبتت اصالته نظريا وعمليا
فاذا ما بلغ الصغير السن السابعة صحب الادراك القدرة على التمييز
التي يترتب عليها تكليف الصغير ببعض الواجبات التي يكون لها اثر
كبير في بناء شخصيته ومن أبرزها الصلاة ، ولهذا امرت الشريعة الابوين
ان يعلموا الصغير الصلاة في سن السابعة ، ولما كان التمييز يتكامل في سن
العاشر لذا يكون الصبي في هذه المرحلة اهلا لانزال العقوبة التأديبية بحقه
سواء اكان بالكلام الهادف ام بالضرب اليسير الذي يحقق التوجيه
والتذكير تنفيذاً لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (مروا اولادكم
بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم في
المضاجع) .

وهذه المرحلة مهمة في حياة الانسان اذ تتسم بقدرة الصغير على
التقبل والادراك والتمييز بين الخير والشر ، لانه يحس بالالم النفسي
اذا فقد شيئاً كما يحس بألم غيره اذا تعرض صديق له الى مكروه ، وقد
دلت التجارب على ان الصغير في هذه المرحلة ينتظم في المدرسة ويصعب ان
ينتظم فيما قبلها الا بمرافقة احد ذويه لانه لم يحسن التمييز قبل السابعة
من عمره في حين انه يكون في السابعة اقدر على التمييز لذا نجده مستمرا
على الدراسة ومنتظما فيها دون انقطاع ، ولو ارجانا مرحلة التمييز التي
سن التاسعة لكان هذا تخلفاً زمنياً اذ قد يبلغ الصبي سن الاحتمال في
السنة الثالثة عشر ومعنى ذلك اننا جعلنا اربع سنوات ما بين الطفولة
والرجولة وهذا امر سماعه يفني عن الرد عليه اذ قررنا هدر سنتين من
عمر الانسان تمر دون تمييز او ادراك ، وهذا يتعارض مع حقيقة تفرض

نفسها وهي ان القرن الحادي وما صاحبه من تطور علمي وتكنولوجي هائل في مختلف الميادين ساهم في تقديم وسائل سهلت توصيل المعلومات السليمة اذهان الصغار باساليب تناسب وعيهم وادراكهم ، مما رفع فعلا من قابلية هؤلاء على التمييز الى حد قد نشعر فيه احيانا ان الصغار قد تجاوزوا مرحلة الصغر بما نلقاه منهم من تساؤلات ومناقشات مختلفة حول ما يدور في حياتنا اليومية وما يرافقها من احداث ، وربما لا يقتنعون فيما نقدمها لهم من ايضاحات واجابات تراعي فيهما مداركهم ظنا منا بضعف مقدرتهم على الفهم الا اننا نراهم يلحون ويطلبون بالمزيد من الايضاحات والتفسيرات المستندة الى تبريرات منطقية مقنعة وقلما يوجد الان من الاباء من لا يتعرض الى مثل هذا النمط الاسئله التي قد تخرجه ولا يجد لها جوابا مقنعا لابنائهم ، وينظره سريعة فاحصة الى اطفالنا اليوم مقارنة باطفالنا بالامس يتجسد لنا الفرق الكبير بين ما كانت تمتلاء به عقولهم من خرافات وافكار مريضة بسبب قصص وحكايات العفاريت (١٧) والجن وغيرها من الاوهام التي غالبا ما يلجأ اليها الاباء والامهات لتخويف ابنائهم او لسد انفراغ حينذاك في حين ان عالمنا الذي يعيش فيه اطفالنا اليوم قد نبذ ذلك كله وابدله بما هو حقيقي ويمكن ان تستثمر هذا التغيير بما ينفع اذا هيأنا لاطفالنا من يحسن تربيتهم ويوجههم وفق القيم الاخلاقية الفاضلة النابعة من وجدان امتنا ذات التقاليد العريقة *

١٧ - يعد الكاتب الدنماركي اندرسن من اشهر الرواة لهذه الحكايات والقصص التي راجت في اذهان الصغار لفترة طويلة *

المرحلة الثالثة : مرحلة المراهقة والبلوغ :

وتقع هذه المرحلة بين البلوغ وحتى سن الثامنة عشر ، ولاهمية هذه المرحلة فقد اوجب المختصون مراعاة درجات السن المتفاوتة خلال هذه المرحلة ، لانهم يرون ان تأثير السن على السلوك الاجرامي يختلف فسي فترة البلوغ عنه في فترة ما بعد البلوغ ، كي يمكن تحديد الدور الذي يساهم به السن في تحقيق السلوك الاجرامي(١٨) ، فالفرد يخضع خلال هذه المرحلة لتأثير عاملين متعارضين هما التكوين النفسي الداخلي والظروف البيئية الخارجية ومن شأن هذا التعارض دفع المراهق لاقتراف الجريمة ، اذ يقع الفرد خلال هذه المرحلة تحت تأثير غرائزه وعواطفه ورغباته الشخصية ، لاسيما ان حب المغامرة والتحدى واظهار القوة تصاحب شعوره بنمو تكوينه الجسماني وازدياد طاقته البدنية واضطراب ميوله الغريزية والعاطفية وضعف في قدرته على ضبط النفس(١٩) ، وهذا مايزيد من فرص تعارضه مع العوامل الخارجية التي لايتيسر له تلبية هذه الرغبات لاسنا تجده يثور لاتفه الاسباب ، ويكون التعبير عن عدم الرضا باقتراف الجرائم التي تحتاج الى قدر من الدهاء والذكاء والحكمة نادرا بالنسبة له .

وتشير الاحصائيات الجنائية الى ان نسبة اقتراف الجرائم في هذه المرحلة مرتفع جدا ، اذ يمثل عشرة اضعاف الجرائم المقترفة فسي المرحلتين المسابقتين ، ففي مصر تشير الاحصائيات المعتمدة لعام ١٩٨٢ ان عدد المتهمين بارتكاب الجنح في ذلك العام لمن تتراوح أعمارهم بين ١٣ و ١٦ سنة بلغ ٢٢٣٣ متهما ، ٢٨٨٨ متهما لمن تتراوح بين ١٦ و ١٨

(١٨) د مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق
(١٩) د . رمسيس بهنام ود . علي عبد القادر القهوجي ، علم الاجرام والعقاب ، منشأة المعارف الاسكندرية ، ١٩٨٦ ص ١٢٢ .

سنة في حين بلغ عدد المتهمين باقتراح نفس الجرائم لمن هم اقل من ٧ سنوات يبلغ ٢٧٣ متهما و ٨٦١ متهما لمن تتراوح اعمارهم بين ٧ و ٩ سنوات و ٣٥٣٨ متهما لمن تتراوح اعمارهم بين ٩ و ١١ سنة و ٥٤٣١ لمن تتراوح اعمارهم بين ١١ و ١٣ سنة (٢٠) .

اما في الفقه الاسلامي فالمرهق هو الذي قارب مرحلة الاحتلام ولسا يحتلم (٢١) ، وقد ذهب بعض الفقهاء الى اعتبار مرحلة المراهقة تبدأ من بلوغ الصبي سن الثانية عشرة الى من التكليف المعروف ببلوغ الصبي دور الاحتلام او بلوغه من السن خمس عشرة سنة فيما اذا لم تظهر علامات الاحتلام (٢٢) .

وما اخوفنا على الابناء في هذه المرحلة العصبية من حياتهم ، إذ الصبي كأنه جواد جامح لا يستقيم الا بالفارس الذي يوجه العنان كما يقود الريان السفينة الى شاطئ السلام ، لان الصبي حين يشب عن الطسوق ويبتعد عن الرقيب يرى نفسه على حين غفله في عداد الرجال حيث الغد تنمو وتضطرب والغرائز تهيج والرغبات تتدفق مما يحرص على اشباعها مع وجود الطاقة البدنية والشعور بالقوة وربما يجرد في خضم الصراع متنفسا لهذه انطلاقات المكبوتة ، ولكن مثل هذه الظواهر تكاد تختفي في المجتمعات المحافظة لان الصبي وان دخل في مرحلة المراهقة فهو مرتبط برعاية الله تعالى اذا وجهه المربون منذ الصغر نحو الخير واشعروه بقرب الله تعالى منه ، وما دام المراهق لم يبتعد عن المراقبة والتقوى فهو بعيد كل البعد عن

(٢٠) د . احمد عوض بلال ، علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٢٥٧ و ٢٥٨ .

(٢١) الزاهر في غريب انفاذ الشافعي ، صنفه ابو منصور الازهرى ، الكويت ١٩٧٩ فقرة ٢٧٣ ص ١٨٦ .

(٢٢) الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية على مذهب الامام ابي حنيفة النعمان ، مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ المادتين ٤٩٤ / ٤٩٥ ص ٧٨ .

المنزلقات والمغريات التي تفضي الى الجريمة ، اما الذين حرموا من نعمة التوجيه الصالح فانهم تأهين ضائعين يسيرون كالعبياد بلا عتار خلف الغرائز والشهوات لاهم الا اشباع غرائزهم وشهواتهم باى شكل .

ولانريد بما قدمناه ان نهول من مخاطر هذه المرحلة كما هو لها غيرنا لاننا ننظر الى قوة ادراك انصيبي ، اذ كل شيء فيه نحو النضج ؛ والعقل مفتاح الخير والشر في نضج ايضا ، فاذا ما تعاون المربون من الاسرة الى المدرسة الى وسائل الاعلام في جميع انواعها المسموعة والمقروء والمرئية استطاعوا ان يكونوا رجل المستقبل الذي يريدونه ، اما اذا لم يتحقق ذلك عندئذ يبتلى المجتمع بالفوضى التربوية ، المتمثلة بتناقض التوجيه الاسرى والتوجيه المدرسي والاجتماعي ، فقد تخفق الاسرة فسي توجيه الابناء الوجهه السليمة وقد تعجز المدرسه عن اكمال هذه الرسالة وقد يشجع المجتمع هذا الاضطراب وعدم تحقق التناسق بين ادوار الاجهزة المذكورة فيبتلى الوطن اشد البلاء ، اذ ينشأ رجال المستقبل نشأة منحرفة لاتعرف الا ارواء الغرائز والشهوات وان كانت على حساب الغير .

ولا يخفي ان وسائل الاعلام لاسيما المرئية منها الكالسينما والمسرح والتلفزيون لها تأثير كبير اذ هي قادرة على توجيه الصبي والمراهق توجيهها سليبا او ايجابيا ، فالافلام المخلية ومسا تظهره بعض الحلقات التلفزيونية من مواقف وقضايا تجد لها التبرير كالكسب الحرام وانربح الفاحش وانخيانة الزوجية والاعتداء ، على حرمان الاخرين وحقوقهم ، وغير ذلك من البرامج غير الهادفة التي من شأنها ان تثير جملة من الغرائز الفطرية المتأصلة في نفس الانسان كغريزة حب المال والغريزة الجنسية فيهيج بسبب تلك الاثارة ولا يجد من يهذب من نزواته او يهدىء من ثورة غرائزه ، وبهذا تقترب الجرائم لان وازع الفضيلة ضعف في نفسه ونحن

نعم ان الفضيلة والرذيلة لاتقبل القسمة على المناصفه اذ انذى ينعدم عنده الوازع الاخلاقي لا يتورع عن اقتراح جرائم السرقة والاعتداء والجرائم الاخلاقية وغير ذلك . والذى يالف الفضيلة بمحافظته على القيم الفاضلة وتحليه بمكارم الاخلاق لايدع مبدأ امر الله به الالتزم به حتى يجد نفسه في طود منيع لايرى الجريمة ولا الجريمة تراه .

ومجمل ما ترى ان العلم وحده قد لايقوى على التوجيه والتربية . وانما لا بد له من ان يقترن بالتوجيه التربوي الخلقى ، اذ بموجب هذا التوجيه يتغلى الانسان عن مبدأ الرذيلة كافة ويملاء قلبه بالفضيلة المتمثلة بالخوف من الله والابتعاد عن الجريمة لانها نزغته من نزغات الشيطان تتنافس مع من حي في رحاب الرحمن تطبيقا لقونه تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها) فانكفر بالطاغوت من ابرز معانيه ان يمحو الانسان من قلبه كل رذيله ليملاءه بنور الفضيلة .

المطلب الثاني

مرحلة الشباب

وتقع هذه المرحلة بين سن الثامنة عشر حتى سن الخامسة والعشرين، وتتميز هذه المرحلة باعتبارها من اخطر مراحل العمر اذ يرتبط بها وصول الاضطرابات النفسية والنفسية المتصلة بالمراهقة الى نهايتها ، وظهور الاستعدادات الاولى لطور الاستقرار ، وقد كشف الاحصائيات مدى خطورة هذه المرحلة من مراحل العمر اذ بينت ان نسبة اقتراح الجرائم كانت مرتفعة خلالها (٢٣)

٢٣ - د . فوزية عبد الستار ، مبادئ علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

وليس ادل على ذلك ما أثبتته الاحصائيات الشهرية لعام ١٩٧١ من ارتفاع نسبة الجرائم خلال هذه المرحلة ، إذ بلغت نسبة جرائم الأموال ٧٢ و ٥٢٪ وجرائم النصب ٩٦ و ٢٤٪ وجرائم خيانة الامانة ٨٣ و ٢٣٪ من الجرائم الخاصة باناشيكات ، وفي نطاق جرائم الاشخاص بلغت نسبة جرائم القتل العادي والقتل المشدد والضرب المفضي الى موت ٢٤٪ وجرائم الضرب والجرح العمد ٤٠ و ١٠٪ وجرائم القتل المرتبطة بحوادث الطرق ٧١ و ٤١٪ وجرائم قيادة لاسيارة بدون ترخيص و ٤٣٪ ، (٢٤) .

وفي الكويت تشييرا احصائيات الادارة العامة للامن لعام - ادارة السجون لعام ١٩٧٥ ، ان مرحلة الشباب تستأثر بنسبة ٦٥٪ من مجموع السجناء (٢٥) .

اما في العراق فقد اشارت الاحصائيات الرسمية التي يصدرها الجهاز المركزي للاحصاء ان نسبة الجرائم التي اقترفها الشباب على المخالفات لسنة ٩٧٩١ هي ٨٧ و ٢٥٪ (٦٢) ، كما بلغت نسبة حوادث المرور التي ارتكبتها الشباب لنفس السنة ٢٢ و ٢٪ (٢٧) .

٢٤ - د. احمد عوض بلال ، علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص ٢٥٩ -

٢٦٠ .

٢٥ - د. عبود السراج ، علم الاجرام وعلم العقاب ، دراسة تحليلية في اسباب الجريمة وعلاج السلوك الاجرامي ، الكويت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، الطبعة الثانية ، ص ٢٢٤ .

٢٦ - انظر النشرة الاحصائية التي يصدرها الجهاز المركزي للاحصاء ، مسح الجريمة في مرحلة التحقيق (عدا المخالفات) لسنة ١٩٧٩ ، ص ١٥٦ .

٢٧ - انظر نشرة احصاء حوادث المرور المسجلة لسنة ١٩٧٩ ، (عدا المخالفات) ائجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة احصاء النقل والمواصلات ص ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ .

ولخطورة هذه المرحلة فقد عنيت بها جميع التشريعات ولاسيما
الشريعة الاسلامية اذ اونتها مزيدا من الاهتمام والعناية بما خصت به
الشباب من توجيهات وارشادات تذكي ضمائرهم وتنقي انفسهم وتصفسي
سرايرهم من اجل مساعدتهم في تجاوز مخاطر هذه المرحلة باقل معاناة
ممكنة ، ومن ابرز المشاكل التي يعاني منها شبابنا الان هي الغريزة الجنسية
هذه الغريزة التي اودعها الله في كلا الجنسين ، ثم قدر حلها بامر يسير
منسجم مع الكرامة الانسانية الا وهو الزواج الذي اباحته الشريعة بسبل
وحثت عليه قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم ((يامعشر الشباب من
استطاع منكم الباء فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ، فان لم
يستطيع فعليه بالصوم فانه له وجاء)) ومما يؤسف له ان اصبح
الزواج امرا عسيرا في عصرنا هذا ، اذ جنى الناس عسى انفسهم فقيد
فرطوا بنعمة كبيرة وهبها الله لهم وهي نعمة الاستقرار الروحي السني
يتحقق في ظل الزواج ولايمكن للبشرية ان تنعم بالاستقرار الا اذا نبذت
الوسائل المادية التي فشلت في تحقيق الاستقرار النفسي والتمست الحل
من المسائل الروحية ، لان البشرية ليست بحاجة الى زيادة المخترعات
في الجوانب المادية بقدر حاجتها الى اختراع الوسائل التي تنجح في اكتشاف
مجاهل النفس الانسانية من اجل تطوير وسائل العلاج الروحية التي
تحقق الاستقرار النفسي والروحي وبهذا تثمر هذه الوسائل اكلها فسي
اشاعة السعادة والطمأنينة بدلا من البؤس والشعور بالقلق .

وفي مرحلة الشباب تزداد انقوة البدنية والعقلية فعلا ، فيصاحب
ذلك شعور الشاب احيانا بانه قد وصل الى مرحلة النضوج في كل شيء
فيؤدي ذلك الشعور ابوهمي الى اصابته بالغرور الذي يوحى له بانه يتميز
بالفضليه على غيره ، فيدفعه ذلك ان يظهر هذه الافضلية بين الناس
فيوقعه ذلك في كثير من المشاكل ، ومن اوضح هذه المشاكل مايقع من

حوادث السيارات المؤسفة وما اكثرها ، وسببها غانيسا هو حب التبارى
واظهار القوة وحسب السيطرة والانانية المتمثلة بحب الذات وعدم الاكتراث
بمشاعر الاخرين وهذه نتائج طبيعيه تتحقق من الاحساس الوهمي
بالافضليه على الغير والنهج الذى نتمنى من الشباب ان ينهجوه يتلخص في
امرين :

الاول : تقوى الله تعالى لان التقوى تحول دون اقرار الجريمة .
فالتقوى معناها التذكير بالاوامر والنواهي التي شعت عن الخائز لتكسون
لنناس خير منهج ونبراس ، اذ الاوامر هي انور والنواهي هي الظلام ،
وشتان بين النور والظلام .

الثاني : الزواج وهو الحل العملي الذى تخفف به وطأة الرذائل
وتزدهر به الفضائل لان الاقتران بالمرأة هو سكن الروح والفؤاد ذلك
السكن الذى بناه الله تعالى من لينة الود المقدس قال تعالى (ومن آياته
ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة
ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) (٢٨) .

نذا فان كل علاقة غير مشروعة بين الرجل والمرأة من شأنها ان
تدنس هذا السكن العظيم ونقض اركانه ، فارادة الله اقتضت الحماية
والقدسية له ، والعلائق غير المشروعة مهما اتخذت لها من وصف او اطلق
عليها من لفظ ماهي الانفئات شيطانية دلت الوقائع القضائية وما اكثرها
على ان كرامة الانسان تنزل دون مستوى الادمية اذ تختلط الانساب وتخان
الاحباب وتختل الثقة وتحل الاساءة محل الاحسان وتصبح المرأة فيها كما
حدث في البيئة الاخرى كأنها بضاعة او وسيلة مؤقتة لاغايه يسكن اليها
القلب وتطمأن اليها الروح ، ويصبح الرجل مع الخيانة الزوجية اللااخلاقية

٢٨ - سورة الروم ، آية ٢ .

لا يعرف من نعمة الجنس الا النهم كأنه ذئب جائع لا يأرب له الا ارواء الغريزة الجنسية ، بينما المدة والفضيلة تتعاقب في سكن الزوجية المقدس ، هذا السكن الذي ما حال دون تشييده الا المال الزائل ، وبتصورنا ان حل هذه المسألة امر يسير يتحقق باعتبار الزواج طريق الوصول الى المال دون اعتبار المال طريق الوصول الى الزواج ، وقد ايد الواقع الاجتماعي صحة هذا التصور ، فمئات الشباب تزوجوا وما يمتلكوا الا اليسير من ضرورات الحياة وبعد فترة زمنية قصيرة ببارك الله في رزقهما فأمتلكا هذه الضروريات وعرج كل منهما على صرح السعادة والطمأنينه ، لان الانسان بعد ان يتزوج ينشط في عمله ، فهو من اجل اسرته يضاعف من نشاطه وجهوده لانه لا يكافح من اجل ذاته ، وانما من اجل زوجته واطفاله ، وفعلا ايد علماء الاقتصاد دور الاسرة في زيادة النشاط الاقتصادي وازدهاره *

المطلب الثالث

مرحلة النضج والكهولة

وتقع هذه المرحلة بين سن الخامسة والعشرين وسن الخمسين ، وفيها تقترب شخصية الفرد في ملامحها وهيئتها من صورتها النهائية ، ولاهمية هذه المرحلة وطول فترتها فقد قسمها البعض الى مرحلتين (٢٩) هما : مرحلة النضوج المتوسط وتمتد الى سن الخامسة والثلاثين ومرحلة النضوج الكامل وتمتد من سن الخامسة والثلاثين الى الخمسين ، تتميز المرحلة الاولى بكثرة النشاط والحيوية والحاجة الى الحياة العاطفية المستقرة في حين

٢٩ - د . احمد عوض بلال ، علم الاجرام ، السابق ، ص ٢٦٢ و ٢٦٣ ،
وهناك تسمية أخرى لها تين المرحلتين هما : مرحلة الكبير الشاب من
٢٥ - ٣٥ سنة ومرحلة الكبير الراسخ من ٣٥ - ٥٠ سنة راجع في
تفصيل ذلك ، د . عبود السراج ، علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع
السابق ، ص ٢٢٣ .

تتميز الثانية بالاستقرار على المستوى المهني والمكاني والعاطفي (٣٠)، ولما يتسم به الفرد في هذه المرحلة من هدوء واستقرار وتفتح ونضوج بالمعنى الدقيق فإن نسبة الجرائم في مرحلة النضج رغم طول فترتها تكون اقل من نسبة الجرائم التي يقتربها الفرد في مرحلة الشباب، فقد اشارت الاحصائيات الفرنسية ان نسبة المحكوم عليهم في فترة العمر من ٢٥ - ٣٥ قد انخفضت عن مرحلة الشباب من ٤٦١ الى ٣٧١ ، كما انخفضت نسبة الجنح في مرحلة العمر ذاتها الى ٢٥ و ٢٨ % بعد أن كانت في مرحلة الشباب ١٥ و ٣١ % كما بلغت نسبة جرائم هذه المرحلة ٢٢ % من جرائم الاموال العادية والعنفية و ٩٩ و ٢٦ من جرائم الايذاء البدني و ٢٥ % من جرائم القتل المرتبط بحوادث السيارات كما اشارت نفس الاحصائيات ان نسبة المحكوم عليهم في فترة العمر من ٣٥ - ٥٠ سنة لسنة ١٩٧١ كانت ٣٨ و ٢٤ % من مجموع الجنايات المرتكبة ، وبالنسبة للجنح كانت النسبة ٧٧ / ٢٥ % فيما يتعلق بالذكور و ٦٥ و ٣٠ % فيما يتعلق بالاناث ، كما هبطت جرائم الفعل الفاضح العلني النسبي إلى ٢٠ % من مجموع جرائم الفعل الفاضح المقترفة (٣١) .

وفي الكويت تأتي مرحلة النضج في المرتبة الثانية بعد مرحلة الشباب اذ تتمثل نسبة ٥ و ٢٢ % من مجموع الجرائم (٣٢) .

وتمثل هذه المرحلة بداية الاستقرار في المجتمعات المعاصرة ، لان المجتمعات القديمة تتسم بالاستقرار المبكر وكذلك بعض مجتمعاتنا الريفية المعاصرة ايضا ، اما المجتمعات المدنية فانها تعلق الاستقرار على اكمال مراحل

٣٠ - د فوزية عبد الستار ، مبادئ علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق ص ١١٠ .

٣١ - د احمد عوض بلال . المرجع السابق ، ص ٢٦٢ - ٢٦٤ .

٣٢ - د عبود السراج ، المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

الدراسة ولاسيما مرحلة الدراسة الجامعية ، ثم الخدمة العسكرية ، وليسو
اجرينا عملية حسابيه بسيطه لتبين لنا ان الانسان المعاصر في مجتمعنا
يكمل مرحلة الابتدائية في السنة الثانية عشر والثانويه في السن الثامنه
عشر والجامعية في السنه الثانيه والعشرين على افضل التصورات ثم الخدمة
المسكرية وفي تصورنا ان الاستقرار المكاني ووجوداني في الوقت الحاضر
قلما يبدأ قبل سن الخامسة والعشرين وهو السن الذي يبدأ فيه الانسان
يتحمل المسؤوليات وتتبلور فيه الشخصية التي غالبا ما يحافظ عليها
صاحبها بعد الفترات الزمنية التي امضاها في الوصول اليها ، وعلى هذا
الاساس يقترض ان تقل نسبة ارتكاب الجرائم ، ولكن الاحصاءات الرسمية
تدل على خلاف ذلك ، والذي نراه ان كثرة الجرائم راجع في الظاهر الى
طول هذه المرحلة التي يتصل قسم منها بمرحلة الطيش والشباب ويرجع
البعض الاخر الى اسباب متعلقة بهذه المرحلة منها الفشل في تحقيق الاستقرار
المادى او الوظيفي او العاطفي ، وقد تقل الجريمة اذا ما تكامل التضجج
ببلوغ سن الاربعين حيث يبلغ الانسان اشده عقلا وجسما ، قال تعالى
((حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه)) (٢٣) .

ثم تتضاءل الجريمة ما بين سن الاربعين والخمسين ، اذ قد يكون
الانسان بعد الخمسين مشمئزا من اقرار الجريمة لفضالة الحياة في عينيه

٢٢ - سورة الاحقاف ، الاية ١٥ ، وقد اكد هذه الحقيقة العلامة ابن
الازرق بقوله (وانعمران كله من حضارة وباداه وملك وسوق له
عمر مخصوص كما لاشخاص الكونيات ، والاربعون للانسان غاية في
تزايد قواه ، عندها تقف الطبيعة عن ذلك برهه ثم تأخذ في الانحطاط)
انظر ابي عبد الله بن الازرق ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق
وتعليق د . علي سامي النشار ، منشورات وزارة الثقافة والفنون
بغداد ٩٧٨ ج ٢ ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

بعد ان فهمها على حقيقتها او لعجزه عن اقترافها روحيا او بدنيا كردود الفعل التي واكبتها في الحياة والنواصب التي المت به والامراض التي أصابته وقد يكون متمتعا بسمعه جيدة او مكتسبها شخصية مرموقة يحرص على ان يحافظ عليها لاسيما وان الانسان في هذه المرحلة كشجرة تشعبت اغصانها واينعت ثمارها بكثرة الاولاد والاحفاد فارتكاب الجريمة والحاله هذه قد تسبب له ولاولاده واحفاده ضررا ماديا ومعنويا الى غير ذلك من العوامل التي تساعد على تضاعف الجريمة في مرحلة الخمسين ، ونحن نرى ان الانسان في مرحلة النضج والكهولة بحاجة ماسه الى توجيه فكري يعتمد امور اربع ان اتحدت وتعانقت اثمرت الشخصية التي يندر للنزعة الاجرامية ان تجد اليها سبيلا وهذه الامور هي : التقوى والسعى والتوكل والقناعة ، فالمتقي يجب بالضرورة ان لا يكون معتديا لان الاعتداء ظلم على حق الانسان ، والاعتداء على الحق الفردي هو اجسام خطيرا واعظم ضررا من الاعتداء على حقوق الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى في الاعتداء على حقه ((ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) (٣٤) وقال تعالى في حكم الاعتداء على حق الانسان : (ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا) (٣٥) .

والمتقي ينهل من مورد القرآن حتى يتعطر قلبه بنور الخالق العظيم وتتعلق روحه بجوهو الفضيلة واذا صلح القلب فقد صلح الجسد كله فالجريمة كما سبق ان بينا تستقر في القلب بالنية والعزم والتفكير قبل ان تتحرك بها الجوارح في التنفيذ ، وما الجوارح الا وسائل تنفيذ اوامر القلب والعقل فاذا ماظهرت القلوب وشعت العقول بانوار الخير وحب

٣٤ - سورة النساء ، الاية رقم ١٦٧ .

٣٥ - سورة النساء . الاية رقم ١٦٨ ، ١٦٩ .

الآخرين ، فلا امر يأمر الحوارج بسوء فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من شر النفوس عموماً ومن شر ما يتولد عنها من الاعمال ومن شمس ما يثرتب على ذلك من المكازة والمقويات) (٣٦) اما الامر الثاني وعمسو السعي فهو مستوحى من قوله تعالى (وان ليس للانسان الا سماعى وان سعيه سوف يرى) (٣٧) والسعي وان واكبه بعض الفشل فانه لا يبد ان يوتي شمارة بالامل ، واى حث والسعي يمكن ان يبلغ القدر الذى صوره المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله (اذا قامت الساعة وفي يده احدثكم غرسه واستطاع ان يفرسها قبل ان تقوم فليفرسها)) او كما قال ثم التوكل على الله تعالى ، وقد جعلته بعد السعي لان الله قدّم السعي عليه بقوله : (فاذا عزمتم فتوكل على الله (٣٨) وان الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرجل الاعرابي الذى ترك ناقته طليقة وتوكل على الله (اعقل وتوكل) والتوكل هو الشعور بوجود القوة المعنوية التى يعتمدها الانسان ويوكل اليها الامور بعد الاخف بالاسباب المادية ، فاذا توفر عنصرها هسهه المعادلة اى العزم والشعور بقوة الله تعالى اثمرت باطمئنان القلب وانشراحه بتحقيق النصرانى كان الهدف المبتغى ، فالاطمئنان على هذا الاساس ليس الا عملية بسيطة فى مظهرها وفى استخلاصها لاتعدو ان تكون السعي والعزم + التوكل = انشراح النفس واطمئنان الروح ، وقد سبق ان او ضعنا المقصود بانشراح النفس واطمئنان القلب فنحسب اليه دفعا للتكرار ، اما القناعة وهى الامر الاخير فانها عماد الشخصية الانسانية التى يقف بها الانسان طوداً يتحدى المصاعب ويتغلب على الفشل . حتى يصل الى مبتغاه ويحقق المآرب التى يطمح اليها فالارزاق قدرها الله تعالى

٣٦ - اغائسة المهفان للاسام ابن القيم ، المطبعة الميمينية ، القاهرة ط ١ ،

١٣٣٠ هـ ص ٤١ . ٤٢ .

٣٧ - سورة النجم ، الاية رقم ٣٩ .

٣٨ - سورة ال عمران الاية رقم ١٥٩ .

كما قدر اقوات الحياة منذ الازل ، فكل شىء مخلوق بقدر . ولم يكن الخلق عبثا ، قال تعالى (افحسبتم انا خلقناكم عبثا وانكم اليينا لاترجعون) (٣٩) حتى المطر قدره بحدود ما يحتاج اليه خلقه (٤٠) ، واذا ما قدر رزق الانسان فان القنوع الذى يتعدى الفشل يرضى بما قدره الله له ولا ينزلق مسع المنزلقين في اقرار الجريمة المحرمة من اجل ان يحقق لذة عاجلة او يطمئن نزوة عابرة اذ القنوع لا يسلك بالضرورة الا السبيل المشروع وهو يتسم للقدر اذا قلت المعاناة المادية والروحية فالقناعة من الايمان والمؤمن يعمر قلبه باسباب العزيمة والتصر المتمثلة بالصبر ، ولنا في اسلافنا قدرة حسنة فقد سموا بالقناعة والرضا اذ يسمون ويتوكدون وبالقليل يرضون ويحبون الناس جميعا ولا يحسدون احدا على نعمة قد اجزلها الله لهم مهما بلغست ولكن الشاب لا يستطيع ان يعيش في نعمة هذه الفضائل ما لم تنهل الشايبه من نفس مورد هذه القيم . حتى يرضى بالقليل لان ما فوق العاجلة لا يمكن اروائه البتة . وما اخال غنى النفس الا القناعة والاطمئنان والرضا ، والذى حرم من نعمة القناعة يتصفه بداء النهيم والطمع الذى لا يستطيع كنوز الدنيا ان تملأ جوفه وتطفا دمه ، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم

٣٩ - سورة المؤمنون الاية رقم ١١٥ .

٤٠ - الامام ابن القيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ، مطبعة دار السعادة القاهرة ١٣٢٣ هـ الجزء الاول ، الطبعة الاولى ص ٢٣٥ ، ولا يمكن القول بهذا الصدد ان هناك مناطق يكون فيها المطر اكثر من العاجلة والمناطق اخرى لا ينزل فيها المطر ، لان الانسان لم يحسن تصريف المطر كما ينبغي ، وهناك سر قد يجهله الانسان فما يبدو قائضا عن الحاجة في منطقة معينة يغور في الارض ليكون رزقا يسوقه الله الارض اخرى بقنوات تحت الثرى تخفى عن الابصار ، اما المناطق المتسمة بالجفاف فقد قدر الله بحكمته ان يأتيها رزقها من الماء بواسطة العيون والابار بدليل ان الحياة فيها باقية ، ولو انعدم الماء منها البتة كما نتصور بسبب عدم مزول المطر لانعدمته فيها الحياة وهذا امر غير متصور *

(أو كان لابن واديان من مال لا يتغنى واديسا ثالثا ولا يملا جوف ابن
ادم الا التراب) (٤١) .

ونظرا لما تتصف به بعض الامراض التي سبق الكلام عنها من
خطورة وخشية سرعان عداها بين ابناء مجتمعنا الطيب ، فقد اشرت
الاستدلال ببعض الحكم الذي تنم الطمع والحسد والنهم والجشع ليستشير
بها طلبتنا ويتغلبوا على الصعاب والبلايا التي قد تواجههم في حياتهم
اليومية المليئة بالتعقيد والمشاكل .

وما اجمل التصوير الذي صور به المصطفى صلى الله عليه وسلم
الغنى بقوله (ليس الغنى من كثرة العرض ولكن الغنى النفس) (٤٢) ،
ومعنى الحديث ان الغنى المحدود هو غنى النفس وقلة التثبث بالحياة اذ
ينبغي عدم التفكير في رزق الغد ، لانه اذا تيسر للانسان من المال ما يكفيه
فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لاجل المستقبل ، ويعنيه على ذلك
قصر الامس ، والتحقق بان الرزق له لا يد وان يأتيه وان لم يشتد
حرصه ، فأن شدة العرص ليست هي السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان
يكون واثقا بوعد الله تعالى ومكذبا بوعد الشيطان الذي يعصه الانسان
دائما بالفقر ، بقوله الذي تردده السنة الكثيريين : ان لم تعرض على الجمع
والادخار فربما تمرض وربما تعجز فلا يزال طول العمر يتبعه في الطلعب
خوفا من التعب ، وهذا العرص لا ينفك عن الانسان الا بحسن ثقته بتدبير

٤١ - شرح الامام النووي على صحيح الامام مسلم ، ارشاد الساري لشرح
صحيح البخاري ابي العباس شهاب الدين احمد بن محمد القسطلاني ،
الفكر ، المجلد الرابع ص ٤٤٣ .

٤٢ - وسئل بعض الحكماء الغنى فقالوا : الغنى قلة تمنيك ورضاك
بما يكتفيك ، وقال بعضهم : وجدت اطول الناس غمما الحسود واهناهم
عيشا القنوع ، الامام ابي حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، دار الفكر
القاهرة ١٣٥٦ هـ المجلد ٤ ص ١٦ ، ١٧ .

الله تعالى في تقدير ارزاق العباد ، وقد بين الغزالي مفهوم القناعة بقوله (ان يعرف ما فيها من عسر الاستغناء وما في الحرص والطمع من النذل فاذا تحقيق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع ذل (٤٣) . كما جعل الامام الغزالي القناعة شعبة من شعب العقبة (٤٤) ، لذا ينبغي لمن حرم من نعمة المال أو من فقده أن يستعمل القناعة؛ ولمن منحه الله هذه النعمة أن يستعمل السخاء والايتار . اذ السخاء من اخلاق الانبياء ، قال المصطفى صلى الله عليه وسلم (الاسلام ليس ارتضيته لنفسى وان يصلحه الا السخاء وحسن الخلق ، فاكرموه بهما ما صحبتموه) (٤٥) وفي ذلك حث على القناعة والسخاء .

وروى ان رجلا قال يارسول الله اوصني فقال لسه (عليك بالاياس مما في ايدى الناس تعش حرا واياك والطمع فانه فقر حاضر ٠٠٠) (٤٦) فالطمع هو تعب مستمر لصاحبه وان كان ذا كثرة من المال ، صحيح ان المال مستحسن تطلبه النفوس وتميل اليه ولكن من يستكثر منه ويسغرق فيه دون يصرفه في وجوهه المشروعة يؤدي الى هلاكه فاما من يقتصد فيه فلا يأخذ منه الايسيرا أو اخذ منه كثيرا الا أن صرفه في وجوهه فهذا ينشعه ، لذا فأفضل شيء هو الاعتدال والتوسط في جميع المال (٤٧) .

-
- ٤٣ - الامام ابن حامد الغزالي . المرجع السابق ص ١٨ ، ٢٢ ، ٢٣ .
 ٤٤ - ابي حامد الغزالي ، معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، منشورات دار الافاق الجديدة . بيروت ١٩٧٨ ، ط٣ ص ٩٠ .
 ٤٥ - ابن قدامة المقدسي مختصر منهاج القاصدين ، دمشق ١٩٨٠ هـ ، ١٩٦١ م ط٢ ص ٢١٨ .
 ٤٦ - ويس وعا ابن محمد الارزنجاني الحنفي ، ١٣٢٧ هـ ص ٥٢٩ .
 ٤٧ - ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى ، المرجع السابق ص ٤٥١ ، ٤٥٢ .

المطلب الرابع

مرحلة الشيخوخة

وتبتدا هذه المرحلة عند بلوغ المرء الخمسين من عمره حتى انقضاء الاجل المحتوم ، وقد تتسم بالطول الزمني المصحوب بالطوارئ التي تفاجيء الانسان ، اذ قد ينتهي اجله بعد الخمسين وقد يستد الى ماشاء الله من العمر ، اذ القوى في هذه المرحلة يدب فيها الضعف . وتهن العظام وعلى حين غفله تتفاقم الالام ، ولا يخفي على الباحثين أن لهذه الامور كلها اثرا بالغاً على النفس والقلب وهل تقترب الجريمة الا بهما . وما الجوارح الا جنود بيد الجوامع . ولهذا العلل فان الجريمة تتبار كلما تقدم عمر الانسان ، ومن اهم مميزات هذه المرحلة :

اولا : أن نوازع الشر لدى الانسان وميله الى اقتتاف الجريمة قد تستمر حتى بعد سن الخمسين نظرا لاستمرار النوازع والدوافع الاجرامية أو نشوء نوازع ودوافع جديدة فخلوا قلب الشيخ من السوازع الدينية ومخافة الله وشعوره بالوحشة والحاجة وعقوق الابناء والاحفاد له ، لهذه الاسباب ربما يلجأ الشيخ الى اقتتاف الجريمة حاقدا على مجتمع افنى فيه زهرة شبابه دون أن يجد ما تطمئن به نفسه وتأنس وحشته ، وما ابدع الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يدرك اثر حاجة الشيخ على نفسه مالم يقنن المجتمع على تكريمه واعزازه : (عرفناك شابا وتركتك شيخا) قال ذلك للشيخ الذمي الذي وجده يشكو من حاجة ، اذ قرر صرف له مرتبا من بيت المال يكفيه ويغنيه عن السؤال .

ثانيا : أن نوازع الجريمة قد تبقى متأصلة في نفس الشيخ اذا لم يظهرها بمنهل الخوف من الله ، ولانه يهن عظما ويمرض جسما فقد يتجه

الى اقتراح الجريمة بوسائل غير مباشرة مستخدم ماخبراته الذهنية والفكرية معتمدا على التخطيط والتحريض الى غير ذلك من الوسائل والاساليب التي لا تحتاج الى القوة البدنية وما يترتب عليها من الجراء والمغامرة وعدم المبالاه ، اما جرائم الشذوذ الجنسي كما يذكرها بعض الباحثين (٣٨) في علم الاجرام فهذه ظاهرة لا تتجلى في كل المجتمعات واذا وقعت بعض هذه ظاهرة لا تتجلى في كل المجتمعات واذا وقعت بعض هذه الظواهر ، مجتمع ما فلا يمكننا أن نعممها على المجتمعات كافة ، لان الفريضة الجنسية تبدأ بالضعف والوهن وقد تدفعها هموم الحياة التي يكون اثرها على الشيخ اليأس اشد اضعاف مضاعفة في وقعها على الشاب المتفائل ، كما تؤثر عليه مكانته الاجتماعية لان الشيخ في هذه المرحلة غالبا ما يكون ابا او جدا محاط بسراكن الاولاد باستشاره الاحفاد ، وهل الانسان الا مخلوق عاقل خلقه الله تعالى في احسن تقويم يتغط بالذين اتعظ بهم ، وهو يوشك أن يتفارق ويرحل اليس لمثل هذه الاعتبارات والعوامل من اثر يحول دون أنحرافه أو شذوذه مصداق ذلك الواقع الاجتماعي واذ أن جل الشيوخ يسارعون

٤٨ - د . فوزية عبد الستار ، مبادئ علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ص ١١٢ د . محمد خلف المرجع السابق ص ١٩٤ ، د . يسر انور علي ود . امال عبدالرحيم عثمان المرجع السابق ص ١٩٣ ، ويقرر الاستاذ Cazzaniga أن الجرائم الجنسية عند الشيوخ يزداد عددها نسبا لاصابتهم بازمة اختلال في توازن الهرمونات اى اختلال في توازن افرازات الغدد وقبله قرر العالم البلجيكي كيتليه بالاستناد الى الاحصاء الجنائي للسنوات من ١٨٢٦ - ١٨٤٤ أن درجة الاجرام الجنسي وان كانت تبلغ اقصاها في سن ما بين ٢١ - ٢٥ ثم تتناقض في مراحل العمر التي تليها الا انه يطرأ عليها اما ثبات أو ارتفاع وقتي طفيف في مرحلة الشيخوخة مرة في الفترة الواقعة بين سن ٤٥ - ٥٤ من العمر ومرة اخرى في الفترة بين ٥٥ - ٧٠ ، رسيس بهنام علم الاجرام ، الاسكندرية ٩٧٠ ج ١ ط ٣ ، ص ٢٨٩ - ٢٩١

الى طلب المغفرة من البارى عز وجل معبرين عن ذلك بادائهم الفسروض
والتكثيف المطلوبة عموما وعلى الاخص فريضة الحج شعورا منهم بأن
ما فاته من العمر هو الكثير وما بقي هو الاقل .

ثالثا ، اثبتت الاحصائيات الجنائية الرسمية انخفاض نسبة الجرائم
خلال مرحلة الشيخوخة عموما ، فبينما يحتل اجرام الشيوخ في الاحصاء
المصرى في العشر السنوات الممتدة من سنة ١٩٣٠ الى ١٩٣٩ (٣٥٪) (٤٩)
من مجموع المجرمين فان اجرامهم لعام ١٩٦٩ يمثل اربعة (٥٠) مسن
المجرمين ، اما في العراق فقد بلغت النسبة المئوية لاجرام الشيوخ لسنة
١٩٧٩ : ١١ر٤٨٪ (٥١) .

وصفوة القول : أن الظاهرة الاجرامية قد تبقى متقدده مالم تتدخل
عوامل تساعد على اطفائها ، ولهذه فان مجتمعنا الذى لازال ينعم بانوار
القرآن الكريم تختلف فيه نسبة جرائم الشيوخ عن النسب الموجودة فسي
المجتمعات الاخرى التي جبلت على حب الذات والتنكر الذى تسبب بالايجاد
فلا احد يشارك الشيوخ في تلك المجتمعات معاناة الزمان متناسين ما قدموه
من خير واحسان لابناء مجتمعهم خلال فترة شبابهم ، اما في مجتمعنا فقد
يخجل الاولاد والاحفاد اذا اشتغل الالباء والاجداد وهم لا يتمتعون بالصحة
التي تساعده على الشغل او ان العمل الذى يؤدونه لا يتلائم مع وضعهم
الاجتماعي ، لان عمل هؤلاء ربما يولد عيبا اجتماعيا يلحق الاولاد والاحفاد
وليس هذا بمنه من الوليد أو الحفيد اذا الولد وما كسب لابيئه تنفيذ الامر

-
- ٤٩ - محمد البابلي بك ، الاجرام في مصر ، اسبابه وطرق علاجه ، مطبعة
دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤١ ، ص ١٠٠ .
٥٠ - د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ص ١١١ .
٥١ - النشر النشرة الاحصائية التي يصدرها الجهاز المركزي للاحصاء
لسنة ١٩٧٩ ص ١٥٦ .

المصطفى صلى الله عليه وسلم للولد الذي شكك اخذ ابيه شيئا من ماله (اتت ومالك لا بيك) ، ثم اتفق فقهاؤنا رحمهم الله على قاعدة : العزم بالغنم ، اذ الوليد غنم من الاب حتى بلغ اشده ، ومن غنم ليس بمنه عليه اذا غرم ، لانه يعطي بعدما اخذ . وصلة الارحام بعد بر الوالدين لها اثر بالغ على كسر طود الوحشة الذي الشيخ الهرم . قال سبحانه وتعالى : (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم ، اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى بصائرهم (٥٢) ، كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصل الارحام (افشوا السلام وصلوا الارحام) وقال (الرحم معلقة بالعرش نقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله (٥٣) .

أما النساء فلهن الحفظ الاوفى في مجتمعنا اذا بلغت اعدان من الكبر عتيا وكثيرا ماتمسي العجوز مخدومة لآخادمه ترفل بالسعادة والعزة تعيش في رعاية وكرم البنين والبنات من شدة الرحمة بالامهات والاياء وليست هذه المعاملة الفاضلة يدون سند شرعي يحميها بل هي احكام مستنبطة من القرآن الكريم اذ الابناء ممنوعين حتى من التأسف امام الوالدين اللذين بلغا الكبر عند الوليد الذي ربياه منذ الصغر . وما اعظم احكام القرآن التي شملت الشيوخ رجالا ونساء بهذا الضمان المنقطع النظر ، لانه يجعل فرض احترام الوالدين بعد فرض عبادة الله تعالى مباشرة بالتتابع لا بالتعاقب ، فالقرآن الكريم استعمل الواو في حرف العطف ولم يستعمل تم قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ! ما يلفن عندك الكبير احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما

٥٢ - سورة محمد ، الايتان ٢٢ و ٢٣ -

٥٣ - العالم محي الدين ابي زكريا النووي الشافعي ، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، مكتبة الشرق الجديد - بغداد ص ٣٣ .

وقل لهما قولاً كريماً، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما
كما ربياني صغيراً (٥٤) ولأن الام تختلف عسبن الاب في شدة التعصب
النصب الذي تقدمه للوليد اذ تحمله كرها وتضعه كرها ولانها احسوج
الى العون من الاب قلبا وعاطفة . فقد روى أن رجلا جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال : (يارسول الله من احق الناس بحسن صحابتي؟
فقال امك ، قال ثم من ؟ قال : امك ، قال ثم من ؟ قال امك ، قال ثم من ؟ قال
ابوك (٥٥) . وبهذا العرض الوجيه يتبين لنا أن منزلة الشيوخ في
مجتمعاتنا تختلف عما هي عليه في المجتمعات الاخرى ، ولهذا فان اقتراحهم
الجريمة بشتى انواعها يكون بنسبة تقبل كثيرا عن الذين يفاسرعون اضافة
والحرمان لوحدهم ويشعرون بالوحشة والوحدة والعز في مجتمعات حرمات
من نعمة الخوف من الله عز وجل .

٥٤ - سورة الاسراء - الايتان ٣٣ و ٢٤ .
٥٥ - العالم محي الدين ابو زكريا النووي الشافعي . المرجع السابق : ص
٣١ .

www.alkottob.com

الفصل الثاني

العوامل الخارجية

وهي مجموعة الظروف والعوامل التي لا تتعلق بالمجرم ذاته ، وإنما تتصل بالواسط الذي يعيش فيه ، ويكون من شأنها التأثير على سلوكه وتوجهه نحو اقرار الجريمة (١) ، ويطلق على هذه العوامل في مجموعها اصطلاح البيئه الاجتماعية الاجرامية ، فالانسان يولد على الفطرة السليمة تلك الفطرة التي فطر الله تعالى عليها الناس كافة ، قال تعالى « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (٢) . وما يكاد الصغير يتخطى مرحلة البراءة حتى تحيط به العوامل الاجتماعية المشبعة بالظلم والطمع والحاجة الى غير ذلك من العوامل المؤثرة في السلوك الانساني ، ومن طبيعة الانسان انه يؤثر ويتأثر ويغير ويتغير ، ومن هذه المؤثرات والمتغيرات العوامل الاجتماعية التي تحيط به ، والانسان مهما بلغ من مستوى مرموق في العلم ومهما اكسبته الحياة من تجارب فانه يتأثر بتلك العوامل ولا يمكن له ان يتجاهلها ، فمنهج الانسان يمكن ان يتغير نحو الاحسن أو الاسوأ خلافا لمظهره ومقوماته البيولوجية التي يصعب تغييرها لخضوعها لعوامل الفطرة والوراثة ، وقد ناقشنا قدرة الجينات وامكانياتها في تغير سلوك الانسان بمناسبة تقييم اسلوب الهندسية الجينية (٣) ، ولهذه العلة اقام البارى عز وجل الحجج على الانسان اذ ارسل اليه المرسلين ليغيروه وهو قادر على التغيير ، لان الله تعالى اودع فيه الاستعداد الفطرى لفعل الخير والاستعداد الفطرى لفعل الشر

- ١ - د . عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ص ٥١ .
- ٢ - سورة الروم اية (٣٠) .
- ٣ - تراجع الصفحات ١٧١ وما بعدها من هذا المؤلف .

لذا يجب على المربين والمصلحين أن ينجحوا نهج الإصلاح الشامل في التربية الاخلاقية ، لان الهدف الذى يسعون لتحقيقه يجب أن يكون شاملا متكاملا يتمثل في اصلاح الفرد واصلاح المجتمع ، كل منهما لا يستقيم الا باستقامة الاخر فالمجتمع الصالح من الفرد الصالح والفرد الصالح من المجتمع الصالح ، وهذا هو التفسير التكاملي للظاهرة الاجرامية .

وبما أن الظروف الاجتماعية التي تحيط بالانسان متعددة ، الا أن هناك عدة بيئات يعيش فيها الفرد ويتأثر بظروفها خلال مراحل نموه الانساني يكون لها اثرا كبيرا على سلوكه وشخصيته ، لذا فاننا سنقتصر دراستنا في هذا الفصل على اهم البيئات المحيطة بالفرد والتي يكون من شأنها التأثير في سلوكه وتدفعه نحو اقتراف الجريمة .

المبحث الاول

البيئـة العائليـة

يقسم الانسان بالقدرة على التغيير والتكيف ، لانه جيل على طبيعة تتقبل مثل هذا التغيير ، اذ النفس الانسانية مستعدة لان تنتهج الخير والشر ، وقد اوضحنا ماتمميز به هذه النفس من خواص واسرار وتدعو دائما المهتمين بدراستها الى التعمق فيها والغور في اسرارها ، فيما اذا ارادوا الاحاطة بها كاملا ، ولعل بيئة الاسرة من المؤثرات الكبيرة في سلوك الفرد نحو الخير أو الشر لاسيما في المراحل المبكرة من عمره أى الفترة التي يستحيل عليه أن يعتمد على نفسه في تصريف شؤونه الخاصة (٤) ، اذ الاسرة هي الخلية الاجتماعية الاولى التي تحيط بالانسان منذ ولادته لذا يشتد تأثيرها على الصغير حتى بلوغه السن السابعة ، الانسان يولد على الفطرة السليمة ، الا انه يحمل معه الاستعداد نحو الخير والشر قال الله تعالى (ونفس وما سواها فالهـمها فجورها وتقواها) (٥) .

لذا فإن الاساس المعول عليه في توجيه الصغير وتربيته يتمثل فسي قيادة الاسرة واعني بها الوالدين فاذا كانا صالحين ملتزمين بما امر الله فإن ابنائهم غالبا مايكونوا متأسين بسلوكهم مقتفين اثرهم ملتزمين بنهجهم ، ولهذه الحقيقة فإن السلوك الانساني يتناسب في اتجاهه كليا مع السلوك السائد في الاسرة ، اذ غالبا مايصطبغ الصغير بصبغه اسرته ، وبناء على هذا فإن الاباء يسألون امام الله تعالى وامام المجتمع عن سلوك ابنائهم ، اذ غالبا مايكون سلوك الابناء مرآة تمكس حقيقة

٤ - د . عمر السعيد رمضان ، المرجع السابق ص ٦٤ .

٥ - سورة الشمس ، الايتان ٧ و ٨ .

الآباء، ولهذا أكدت الشريعة على مبدأ القدوة الحسنة في التربية والتوجيه،
لأنه خير تطبيق عملي بعد هذه المبادئ النظرية قادر على توجيه الصغير
توجيها حسنا .

لذا فإن مسؤولية التربية والتوجيه مسؤولية كبيرة تتطلب تضافر
طاقتي الأب والام فإذا غاب أحدهما ضعفت الطاقة وضعف الطاقة يتولد عنه
ضعف وخلل في التربية ، إذ التربية السليمة قائمة على ثلاث دعائم أساسية
هي : غرس فضيلة الخوف من الله منذ الصغر ووجود الأب بصفته السلطة
القادرة على التوجيه والتأديب ووجود الام باعتبارها العنصر الأساسي
في التوجيه المستمدة قوتها من وجود الأب وسلطته ، فإذا فقدت أحد هذا
الدعائم أو الركائز المعززة لهذه الدعائم اعتلت التربية واختل التوازن في
الأسرة .

ومن الركائز المهمة في عملية التربية السليمة صلاح الآباء والامهات
لاتهم إذا لم يصلحوا لم يستصلحوا ، فعناصر الإصلاح الشامل يجب أن
تحقق في الآباء أولا إذ إن فاقده الشيء لا يعطيه .

وخلال البيئه العائلية تتعرض التربية الاخلاقية لمؤثرات عديدة ،
وخاصة في المراحل الاولى من عمر الانسان ، وهذه المرحلة هي : مرحلة
الرضاعة ومرحلة الحضانه ومرحلة الطفولة غير المميزه ، وبما اتنا بحثنا
مرحلة الطفولة غير المميزه بشيء من التفصيل عند الكلام عن مراحل عمر
الانسان (٦) ، فأنتنا سنقصر بحث في هذا المجال على مرحلتين فقط وهما :
مرحلة الرضاعة ومرحلة الحضانه .

٦ - راجع ص ١٩١ وما بعدها من هذا المؤلف .

المطلب الاول

مرحلة الرضاعة

يولد الانسان كما اوضحنا انفسا على الفطرة السليمة ، ولكن الاستعداد نحو الخير أو الشر يكون مع الانسان منذ لحظة ولادته وينمو معه حيثما نسا ، و ثم امور يستحيل عقلا تحققها في هذه المرحلة لعدم وجود الوسائل التي تقع بها ، فمضغ الطعام كما بينا لا يمكن أن يتحقق في لحظة ولادة الطفل ولا في الشهور الاولى من عمره ، وكذلك الظاهرة الاجرامية لانبعثها على اساس انها محتملة الوقوع في هذه المرحلة ، بل نبحث العوامل المؤثرة على اخلاق الطفل خلال هذه المرحلة ، ومن اهمها الرضاعة حيث يقرر المختصون في الميدان التربوي أن الطفل يتأثر بلبن المرضعة وبسلوكها وبأخلاقها عن طريق الرضاعة ، لذا فإن من مستلزمات التربية الاخلاقية السليمة التحرر عن اخلاقية المرضع لانها اذا كانت سيئة الخلق اثر لبنها على اخلاقية الطفل (٧) ، وقد بين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اثر الرضاعة واهميتها في اخلاقية الطفل ، اذ يسرث عن طريقها خصائص المرضع واخلاقيتها بقوله (لا تسترضعوا الحمقاء فأن اللبن يورث) ، ويؤكد الامام الغزالي علسى اهمية هذا الموضوع بقوله (والصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل مانقش وصيانتته بأن يؤدبه ويهذه ويعلمه محاسن الاخلاق . . . وينبغي أن يراقبه من اول مرة فلا يستعمل في حضانتته وارضاعه الا امرأة سالحة متدنيه تأكل الحلال فأن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه الصبي انعجت طينته من

٧ - د . مقداد يالجن ، التربية الاخلاقية الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٧ هـ -
١٩٧٧ م ط ١ ، ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

الخبث فيميل طبعه الى مايناسب الغيائث (٨)، وقد تبني جان جاك روسو هذه الحقيقة بقوله (ويجب أن تكون المرضع أيضا جيدة الصحة حسنة المزاج هادئة فأن العنف والانفعالات والكدر كلها تفسد اللبن واذا قصرنا اهتمامنا على الجسم لم نحقق الا نصف هدفنا فقد يكون اللبن جيدا والمرضع سيئه ، فحسن الطبع ضروري كحسن التكوين . . . والاشهرار لا يصلحون لاي عمل مهما كانت الاحوال وتزداد اهمية اختيار المرضع متى علمنا أن الوليد سيكون موكولا اليها كلية في مدة الرضاعة) .

كما يقرر بعض المربين أن الرضاعة الصناعية من العوامل المؤثرة على اخلاق الطفل في هذه المرحلة وانها تعميق عملة التربية الاخلاقية (٩) وفي هذاالاتجاه ذهب العالم النفساني وليم سكودوجال قائلا (واني لا ارى امة باسرها تقوم تربتها على التغذية الصناعية لا بدوان يتجلى في افرادها خشونة في الطباع وفتور وصرامة في علاقاتهم ببعضهم ببعض وقصور في تأثير شامل الحنان الذي يرفق الخلق ويهدبه . . . واني لا اقترح أن تصبح زجاجة الطفل موضوع تحريم قومي عام يستند الى اسباب اوجه بكثير مما يبديه الاباء من اسباب ولهذا يهاجم المرأة العصرية التي لا تقوم بواجبها طفلها لانها مقصرة في وظيفتها التربوية ، فهي تترفع عن القيام بارضاع ولدها بشديها وبمملها هذا تحرمه من دفء حضنها ورقة عواطفها (١٠) .

وقد حدد القرآن الكريم مدة هذه المرحلة بسنتين قال تعالى (والوالدات يرضعن من اولادهن حولين كاملين لمن اراد أن يتيم الرضاعة) (١١) .

- ٨ - الامام ابي حامد الغزالي ، احياء علوم الدين القاهرة ، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م ج ٣ ص ٢٦ .
- ٩ - فالرضاعة من واجبات الام فاذا قصرت في هذا الواجب ترتب عايب تقصيرها كل النتائج الضارة التي بينها المربون .
- ١٠ - مقداد يالجن ، المرجع السابق ص ٤٥٤ ، ٤٥٥ .
- ١١ - سورة البقرة ، آية ٢٣٣ .

المطلب الثاني

مرحلة العضانة

وهي مرحلة الرعايه والتوجيه والتربيه وتبدأ من باوغ الطفـل سنن الثالثه ، وبتصورنا فأن هذه المرحله هي انسيب مرحله للحـرث والاتيـات ، ولذا الـاباء ملزمون بحـرث ارواح أبنائهم لغرض بذرات العـب واخيـر كـي تـؤتـسي عمليـة التـربيـة الاخـلاقـيـة اكـلها ، لان المرحله المبكره من عمر الانسان كما يجمع على ذلك علماء النفس تعتبر اخطر مرحله تؤثر على الـابناء سلـبـا او ايجـابـا اذ ان النفس الانسانيـة في هذه المرحله تنبت كل ما ينشـر بها من بذرات الخيـر والشر ، وان الطواهر المبكره تحفر بؤره في نفس الانسان يصعب اكتشافها وازالتها . وما ابدع الشاعر الذي يصور هذه المرحله تصورا فنيا دقيقا .

ان العـصـون اذا قومـتها اعتـدلت ولاتلين اذا كانت من الخشب وتتمثل اهمية هذه المرحله في انها بداية الاستعداد لدى الطفل للتأثر بالرعايه والتوجيه وما يدور حوله في بيئته ، وبناء على هذا فقد اشترط الفقهاء المسلمون في من يتولى تربية الطفل في هذه المرحله ان يكون صالحا ومن ذوى الاخلاق الحميدة ، لان حق الحضانه يسقط بالنسبة للمفاسق حتى وان كان اقرب الناس الى الطفل ، كما قرر هؤلاء الفقهاء ان تكون الحضانه بيد الام لانها اكثر رقة وحنانا به ، ومن اجل انجاح عمليه غرس قيم الخير والفضيله في قلبه نينشأ رقيقا وعطوفا محبا لابناء مجتمعه ، واذا ثبت فساد الام انتقلت الحضانه الى الاب ، وعنى كل حال فسان اساس التربيه الاخلاقية هو الحنان ، لان من يحرم من حنان ابويه او يعامل بقسوة لاميرر لها ربما لا يكون محبا للناس (١٢) .

١٢ - د . مقداد يالجن ، المرجع السابق ص ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم اهمية الرحمة والمجبة في التربية واثرها الكبير على خلق الانسان اذ : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الاقرع بن حابس التميمي جالسا فقال الاقرع ان ابي عشرة من الولد ما قبلت منهم احدا فنظر انيه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال (من لا يرحم لا يرحم) (١٣) ، وقال لقوم انكروا تقبيل الاطفال (او املك ان نزع الله الرحمة من قلوبكم) .

وقد اكد هذه الحقيقة الكثير من الباحثين في ميدان الدراسات المتعلقة بالسلوك الاجرامي ، ومن هؤلاء الاستاذ سيرل بيرت الذي قام بدراسة استهدفت الكشف عن عوامل جنوح الاحداث في لندن ، وقد استخدم في بحثه عينه تجريبيه تضم ٢٠٠ حدث جانح من الذكور والاناث ومجموعة ضابطة تمثل نفس العدد المذكور من غير الجانحين ، وقد انتهى الباحث في خاتمة هذه الدراسة الى القول ان : اسباب جنوح الاحداث ترجع الى أكثر من عامل ، ومن هذه العوامل حرمان هؤلاء الاحداث من رعاية الوالدين وعطفهم (١٤) .

كما توصل الى نفس النتيجة فريق من المختصين في التربية وعلم النفس بالمقارنة الاحصائية التي شملت مجموعة من الاحداث قضوا هذه المرحلة في الملجئ ودور الرعاية الاجتماعية يعيدون عن رعاية والديهم وحنانهم وبين مجموعة من الاحداث نشأوا في ظل هذه الرعاية والحنان ،

١٣ - مصطفى محمد عمارة ، جواهر البخارى وشرح القسطلاني ، القاهرة ١٣٤١ هـ - ص ٤٣٦ .
١٤ - د . عبد الفتاح الصيفي ، علم الاجرام ، المرجع السابق : ص ٣٦ .
٣٧ .

حيث اتضح لهم من خلال هذه المقارنة ان اغلب المجرمين والمنحرفين والشواذ هم من النوع الاول ، وقرروا في نهاية هذه الدراسة ما يأتي : (لكي يكون النمو سليماً يجب ان يعيش الطفل في انحضانة الطبيعية التي توفرها عاطفة الام الخنون ورعايتها وشفقة الاب الرحيم ورعايته (١٥) .

لذا كان من اهم مستلزمات التربية الاخلاقية الصحيحة ان ينعم الابناء بعطف الاء وحنانهم بجانب التوجيه والتربية ، ولا يمكن تحقيق هذا الهدف اذا حرم الابناء من هذا النعم مهما كرس لهذه التربية من طاقة وهيء لها من اجواء ؛ لهذا فان من اكبر الاخطاء التربوية التي يرتكبها الاء بحق الأبناء الغياب غير المشروع عن الاسرة ، وهو ما يطلق عليه بعض الباحثين التفكك المادى للاسرة ، ونعني به انغماس الاب في المفاسد وممارسة النشاطات غير الاجتماعية كارتياح دور الرذيلة والغياب سهرا على موائد الخمر ولعب القمار . كلا يعمه في لهوه تاركين الامهات امام مسؤولية قيد تفشل غالباً بتحملها لفقدانها السلطة المادية التي يرمز اليها الاب *

ومن الظواهر التي لاتقل خطورة عن سابقتها ، وهي قضاء الام معظم اوقاتها خارج البيت بعيدا عن ابنائها لغير ضرورة مقتضية بل للهو والعبث كارتياح النوادي واماكن اللعب متناسية او مترفحة عن واجبه الاساسي المتمثل باعداد الفرد الصالح المحصن بالتربية الاخلاقية السليمة المبنية على العطف والحنان ، وهل هناك افضل من الحنان عاملا يرقق الطبع ويهذب الخلق ، وما اجمل شاعرنا اذ ينشد : (١٦)

١٥ - د . مقداد يالجن ، المرجع السابق ص ٤٥٦ .
١٦ - انظر ديوان الرصافي ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٣٧٥ هـ -
١٩٥٦ م ط ٥ ص ٣٥١ .

هي الاخلاق تنبت كالنبات اذا سقيت بماء الكرمات
ولم ار للخلاق من محل يهذبها كحضن الامهات
فحضن الام مدرسة تسامت بتربية البنين او البنات

وقد أكد هذا الواجب بعض المربين بقولهم (يكون الرجال كما يريد
النساء فاذا اردتم ان يكون الرجال عظماء فضلا فعلموا المرأة ماهي العظمه
وماهي الفضيله (١٧) .

لذا يمكن القول ان : الحضانه هي من صميم واجبات الام ، فان تنصلت
عن هذا الواجب فقد حرمت اينائها من اكبر نعمه يمكن ان يتمتعوا بها في
هذه المرحلة ، لان الام مهما بلغت من مستوى اجتماعي مرموق او حصلت
على اعلى الشهادات فانها لا تتمكن من ان تعفي نفسها من هذه المهمه ، فان
فعلت ذلك ترفعا حيث تجد نفسها اكبر من ان تنزل الى مستوى الحضانه او
اعتمدت على الخادمة او غيرها في تحقيق هذا الهدف ، قانها تكون قد ارتكبت
خطا فادحا لا يغفر لها .

وليس التواجد المجرد للابوين هو الذي يحقق هدف التربية السليمه
لان غياب التوجيه والتربيه وهو ما يطلق عليه التفكك المعنوي للأسرة، لا يقل
ضررا عن التفكك المادى لها ، فبالرغم من حضور الاثنين الا ان جهودهم
وطاقتهم المخصصه للتربيه والتوجيه مبدده وضائمه بسبب الخصام والشجار
الذى لا يبرر له او ترفع احدهما عن القيام بهذا الواجب المقدس ، وقد تبعد
هذه الطاقه بسبب انشغال الاب بلعب القمار ومعاقرة الخمر وفي هذه الحاله
يمكن القول ان وجود الاب خطر من غيابه اذ جعل من بيته حانه يشرب فيها
الخمر وناديا يلعب فيه القمار مع اصحابه ، وقد يتأثر الابناء الصغار بهذا
السلوك الباعث على الاجرام ، وغالبا ما يتولد عن هذه النشاطات غير

١٧ - د . مقداد بالجن ، المرجع السابق ، ص ٤٥٩ .

الاجتماعية المتنازع . لسببه . اذ يسود هذه الاسر غالبا الجو المشحون بالقلق وعدم الاستقرار لان العلاقات التي تربط ابناءها تكون غير سليمة ، فينجم عنها العداوة والبغضاء وهذا كله يؤثر تأثيرا سلبيا على الابناء لان الصغار غالبا ما يقلدون الكبار في تصرفاتهم فضيحة او رذيلة ، ناهيك عن الاضرار التي يكون من ابرزها تعطيل الابناء وصرفهم عن اداء واجباتهم المدرسية والبيئية .

وخلال مرحلة الحضانه يتأثر الطفل بكثير من الاحداث والظواهر ومن اشدها ظاهرة التقليد ، والتقليد كما يقول علماء النفس هو اول ما يبتدأ به الانسان في المرحلة المبكرة من عمره ، لان نفسيه اطفاله وطبيعته تكون لينة مرنة مثل العصون اليانعة تستجيب للتقويم والتطبيع بسرعة وهذا هو سبب خطورة هذه المرحلة من عمر الانسان . فالولد غالبا ما يحاول ان يقلد ابيه وكذلك البنات تحاول جاهدة ان تقلد امها ، فان كان سلوك الاباء صالحا حاول الابناء تقليده وان كان سلوكهم فاسدا حاول الابناء تقليده ايضا ولهذا قلنا ان البيئه العائلية مسؤولة مسؤولية مباشرة عن تربيته الابناء وسلوكهم ، فاذا ما فتحو اعينهم على الانانية وحسب انشهوات والعنف والمشاجرة غالبا ما تنعكس هذه الصور السيئة على سلوكهم وتصرفاتهم ، وقد اكد هذه الحقيقة الامام الغزالي بقوله : (ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع وتارة تكون باعتياد الافعال الجميلة ، وتارة بمشاهدة ارباب القعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصالح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعا) (١٨) .

١٨ - الامام الغزالي ، احياء علوم الدين ، المرجع السابق ص ٥٢ .

وهذا يعني ان السلوك الاجتماعي والاخلاقي يمكن ان ينقل من فرد الى اخر بالعدوى ، واساس هذه العملية هو التقليد . لذا يمكن القول بان الامام الغزالي قد نبه الى خطورة التقليد كعدوى اجتماعية قبل غيره من العلماء الغربيين بمئات السنين .

وبما ان الخير والشر والبناء والهدم والفضيلة والرذيلة والبراءة والاجرام والحب والبغضاء والايثار والانانية والقناعة والعداوة والظلم والتناقضات بشتى صورها يمكن ان يتحكم بها المجتمع ويوجهها نحو الاحسن والافضل ، اذ الانسان خلق في احسن تقويم ، وقد خلق على ان يكون صالحا مستقيما على الفطرة السليمة ، اجل مذ هو جنين حتى يرى النور وتستقبله الحياة ابتداء وانتهاء ، الا اننا اثرنا التركيز على مرحلتى الرضاعة والحضانة من بين المراحل الاخرى لانها تمثل البداية والاساس وكثيرا ماتعمد عليها النهاية في تحديد نمطها واتجاهاتها .

وتم عوامل اخرى لها تأثير كبير على الفرد في مختلف مراحل حياته خلال البيئة العائلية ، لعل اشدها خطرا وابلغها ضررا المغالاة في حب الدنيا ونسيان الدار الآخرة ، لان المغالاة في هذا الحب تولد النهم لدى الفرد وهو الشعور بعدم الاشباع وهو ابلغ من الطمع اضرارا بالمجتمع . وهذا يفضي غالبا الى الاجرام لان النهم وعدم الشبع معناه الحصول على المال باى وسيلة وان كانت غير مشروعة ، ولا يهتم ان تتم على حساب الغير او الاضرار بمصانحه مادام ان الفرد قد حقق مصلحته الذاتية .

ومن العوامل الاخرى التي تفضي الى الاجرام في بعض الامور انعدام العدالة ، لان الاباء اذا لم يعدلوا بين الابناء تولد عن هذا السلوك العداوة والبغضاء ، وكثيرا ما وقعت الجرائم بسبب عدم عدل الاباء بين الابناء ، اذ

امر الاسلام بالعدالة بين الابناء في جميع التصرفات اخذا وعطاءا حتى فيقبل لان في ذلك دليل على ميل الاب الى ولد دون سواه فيفضي ذلك انسى الحقد الذي غالبا ما يتطور فيتولد عنه الاجرام ولهذه العلة منع الرسول صلى الله عليه وسلم الوصية للوراث بقوله (لاوصية لوراث) . لمسا يفضي هذا التفضيل من اشاعة روح الحقد والكراهية بين الأبناء ، ولهذه العلة ايضا منع المورث من كل تصرف يكون من شأنه التفضل بين بعض الابناء على غيرهم . وانما ينبغي ان يتم التوريث كما امر به البارى عزوجل . وقد وقعت جرائم عديدة سببها تفضيل الاب بعض الابناء على من سواهم في المعطيات المادية : وقد أكد المصطفى صلى الله عليه وسلم على اهمية مبدأ العدالة في التربية الاخلاقية الاسلامية ، فقد روى مسلم (١٩) في صحيحه عن النعمان بن بشير قال : (تصدق على ابي ببعض ماله ، فقالت امي عمره بنت راحة : لا ارضى حتى نشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق ابي الى النبي صلى الله عليه وسلم ليشهده على صدقته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (افعلت هذا بولدك كلهم) قال لا ، قال : اتقوا الله واعدلوا في اولادكم) فرجع ابي فرد تلك الصدقة .

بل حتى المعطيات المعنوية تفضي الى الاجرام لان الاب الذي يحتقر او يهين ابنه بدون سبب : يولد شعورا لدى الابن بالانتقاص من مكانته وشخصيته والامتهان لكرامته مما يكون سببا في عدم احترام ابيه والتمرد على أوامره بل قد يؤدي الى الحقد عليه وكراهيته ، ومتى حقد الانسان على اقرب الناس اليه فانه لا يحب الاخرين وربما اقترب الجرائم بحقهم لهذه العجيج المنطقية الواردة انما اشتدت الحاجة الى اصلاح القمة والقدوه

١٩ - انظر صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ٣ ص ١٢٤٢ -
١٢٤٣ .

المتأسي بها المتمثلة بالوالدين والأولياء لان صلاحهما صلاح الأسرة وفسادهما ضياع الأسرة ، ونظرا لخطورة الدور الذي يلعبه الوالدين وأولياء فسي ميدان التربية الاخلاقية ، فاني اقترح التوسع في اسقاط الولاية أو سلبها لتشمل حالة الاب والولي المتحلل الفاجر وان لم يرتكب ايأ من الجرائم المنصوص عليها في المادتين (٣١ و ٣٢) من قانون الرعاية الاحداث والمادة (١١٢) (٢١) من قانون العقوبات العراقي ، اذ العله من السلب أو الاسقاط تعتبر قائمة فيما او اتسم الاب او الولي بالتحليل والفجور لان من يستبيح الرذيلة وينهج منهج انفسق والفجور اشد خطورة على المجتمع ممن يقتترف جريمة ربما وقعت مصادفة او كان تحت تأثير ظروف قاسية دفعته

٢٠ - فقد نصت المادة ٣١ على انه (تلي محكمة الاحداث ان تقرر سلب الولاية على الصغير او الحدث اذا حكم على الولي بجريمة من الجرائم المنحلة بالاخلاق والاداب العامة او باحدى الجرائم المنصوص عليها في قانون مكافحة البغاء وكان الصغير او الحدث هو المجني عليه في جميع الجرائم ، كما نصت المادة ٣٢ على انه : (لمحكمة الاحداث بناء على طلب احد أقارب الصغير او الحدث او الادعاء العام ان تقرر سلب الولاية على الصغير او الحدث لمدة تقدرها في الحالات الاتية :

اولا - اذا حكم على الولي بجريمة من الجرائم المنحلة بالاخلاق والاداب العامة
ثانيا - اذا حكم على الولي بجريمة الاعتداء على شخص الصغير او الحدث بالجرح أو الضرب أو الايذاء العمد .

ثالثا - اذا حكم على الولي وفق احكام المادة (٣٠) من هذا القانون .

رابعا - اذا حكم على الولي في جنائية عمدية بعقوبة سالبة للتحرير لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات) .

٢١ - نصت المادة ١١٢ على انه (اذا حكم على الولي او الوصي او القسيم بعقوبة جنحة لجرمة ارتكبها اخلاالا بواجبات سلطته او ولاية جريمة اخرى يبين من ظروفها انه غير جدير ان يكون وليا او قيسا او وصيا جاز للمحكمة ان تأمر باسقاط الولاية او الوصاية او القوانة عنه) .

الى اقتنائها ، والمجرم بالصدفة غالبا . ما يتصارع مع لوم النفس المضيبي السيئ
التوبة ، اما من استباح الرذيلة فقد صار الفجور ديدنه واضمحى الفسق منهجه
فالاب انذى ارتضى لنفسه نهج الجريمة يتمنى لغيره هذه السلوك والام التي
تلتخطت بالرذيلة ورضيت بها تسمى ان تسقط الاخريات في الكسيف الذي
سقطت فيه ، من اجل ذلك اقترحنا سلب الولاية او اسقاطها من الاياء السدين
استباحوا الرذيلة وتبنوا حياة التعلل وانفجور انقادا لا ولانهم من الضياع
والانحراف ، لانهم عاجزين عن القيام بواجباتهم تجاه اينائهم ، لقد انهم
المقومات الاخلاقية والمعنوية للتربية السليمة ، وفاقد الشيء لا يعطيه . "

www.alkottob.com

المبحث الثاني

البيئة المدرسية

إذا كانت البيئة العائليّة مسؤولة عن تربية الاجسام والعقول فبأنّ البيئة المدرسيه مسؤولة عن تنمية العقول وتهذيب النفوس ، بل هي متخصصة تخصصاً مباشراً بهذه الوظيفة ، ولخطورة هذه المهمة انشد احمد شوقي قائلاً:

قم للمعلم وابده انتبيجياً
كاد اعلم ان يكون رسولا

وكما كان تقليد الابناء للاباء متسماً بالخطورة البالغة على السلوك فكذلك التقليدياتي أكله في المدرسة التي تضم مجاميع شتى ما تم يقف المعلم (٢٢) وقفد المرشد الموجه فان تلك المجاميع قد تتفاعل وتتلاطم تلاطم الامواج فتذهب البراعم ضحية للمؤثرات الجديدة ، انتمى تتفاعل نفوس الطلبة معها وخاصة في المراحل المبكرة للمدرسة ، من الكلمة المسموعة الى الكلمة المقرؤة الى سلوك النقائمين على المدرسة ادارة ومعلمين ، أذ سلوك المعلمين له تأثير مباشر على نفوس الطلبة بما يتمتعون به من مكانه في قلوب طلبتهم وينظرون اليهم كقدوه ملزمه لتقليد لاسيما في المراحل الاولى انتمى غالباً ما يحرص الطالب او الطالبة على تقليد سلوك معلمه او معلمته جملة وتفصيلاً .

لذا ينبغي ان يتم اختيار هؤلاء المؤدبين اختياراً دقيقاً قائم على مراعاة خلقهم قبل علمهم وفعلاً وحرص اسلافنا على تحقيق ذلك ، اذ ان ، اوءدبين كانوا يصطفون اصطفاء معتمدين في اصطفائهم على ورعهم وتقواهم قبيل علمهم ، لهذا طرد سيدنا علي رضي الله عنه كثيراً من الوعاظ الذين لم

٢٢ . لقد فضلت استخدام كلمة المعلم وقصدت اطلاقها على كل من يتحمل امانة التعيين في كافة مراحل من الروضه الى الجامعة .

يتسموا بالورع والتقوى ، وما ابلغ الجواب الذى اجاب به الحسن البصرى رحمه الله في امتحان نوعاظ حيث سئل ما رأس الحكمة، فقال البصرى رأس الحكمة مخافة الله ، وان يعتمد على الورع والتقوى في اصطفاء المعلمين والمرشدين والمربين لان الخلق يؤثر في الطالب اكثر مما يؤثر المعلم . ولهذا قال علماء الاجرام ان البيئه المدرسية لها تأثير كبير على السلوك سببا وايجابا ، فاذا لم يحسن اصطفاء المعلم بل ورد مهنة التعليم كل من هب ودب ربما تسول نفس المعلم الذى لا يحرص على الالتزام بالقيم الاخلاقية الفاضلة ان يفسد خلق من والي امانة تربيته بدل ان يقومها وان هي الادورة عاجلة يدورما الزمان واذا بالطالب يشب على ما اكتسبه من فكر وسلوك معلمة السوء فانصاف العدم بالغش والكذب والغرور والالابالاة الى غير ذلك من الصفات الاخلاقية السيئه من شأنها ان تؤثر في سلوك الطالب تأثيرا سلبيا اذ يتقمص شخصية استاذة في هذه الصفات غير الحميده بل يزيد عليها ، وينزلق في طريق الشر والرذيلة فيقترب من الجريمة بوحى لاشعورى وهكذا يألف الشر والجريمة .

ولذا يجب اختيار المعلمين ذوى البصائر الشيره لان الخلق قبل المعلم اذ الاخلاق غالبا ما تنشر العلم والعلماء وقد لا تنشر العلوم ولا سيما المادية منها الاخلاق المثاليه في عصر تنتشر فيه النسبييه والنفعية والميكافيليه اى فكرة تيرير الغايه بالوسيله الى غير ذلك من الفوضى الفكرية المساعدة على السلوك الاجرامى ، ولمظلمة امانة التعليم كان اول ومضه سن ومضات القرآن الكريم تسلط الانظار الى المعلم الاول والاخر قال تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) (٢٣) .

٢٣ - سورة العلق ، الايات ١ - ٥ "

والذي نراه ان العلم اذا درس بأسلوب اخلاقي غالباً ما يكون سبباً من اسباب القضاء على بذور السلوك الاجرامي ، وما يؤكد ذلك ان قاعدة الرفعة عند الله تعالى تتكون من عنصرين ، عنصر الايمان واثمعه هذه الكلمة من قيم اخلاقية منقطعة النظير والعنصر الثاني عنصر العلم الذي جعله البارئ عز وجل في المرتبة الثانية ، اذ قال وهو اصدق القائلين (يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) (٢٤) وبذا فقد قرن الله تعالى الايمان بالعلم لان الايمان شجرة الاخلاق والعلم شجرة المعرفة ولا بد من اجتماعهما في السلوك الانساني حتى تتولد عنهما الفضيلة والاستقامة ، ولهذا حذر الله تعالى العلماء من عاقبة امرهم اذا سلكوا طريق الشر والرفيعة وابتعدوا عن طريق الخير والفضيلة فقال (انما يخشى الله من عباده العلماء) (٢٥) ، والذا امر المصطفى صلى الله عليه وسلم المعلم ان يلتزم بالعدل عند قيامه بواجب التعليم والا ستكون مسؤوليته كبيرة متى ما اخل بهذا الالتزام بقوله (ايما مؤدب ولي ثلاثة صبيبه من هذه الامة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع... الخائنين) (٢٦) *

ولهذا فقد كان المعلمون الملتزمون بهذه القيم الفاضلة يتمتمون بحضوه علياً في المجتمع اذ يشك اليهم الرجال وتغنى عليهم الاموال ويجلسون مجالس الخلق والامراء ، لان المعلمين كانوا مؤدبين حقاً ، وفعلاً كان اسمهم هكذا في العصر الاسلامي المشرق ، والمؤدب اسم فاعل يفعل ويعلم الفضيلة بشئ معانيها وصورها بعد ان يبدأ بنفسه لان فاقد الشيء لا يعطيه *

٢٤ - سورة المجادلة اية ١١ *

٢٥ - سورة فاطر اية ٢٨ *

٢٦ - محمد سخون ، كتاب آداب المعلمين ، تحقيق محمود عبد المونسي ، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر ١٩٨١ ، ج ٢ ، ص ٧٤ *

والمعلم يجب ان يؤدى امانته كما ينبغي في مراحل التعليم كافة لانه يتعامل مع انسان يؤثر ويتأثر بحسب المرحلة الدراسية التي هو فيها ، ويبقى المعلم الشمعة والمصباح الذى يستنير به الطلبة أنسى كانت المرحلة التي وصل اليها ، وبهذا يستطيع ان يؤدر ويغير ، فانسلك الاجرامى لا يمكن ان يتحقق فطرة او ينتقل وراثه انما يكتسبه الانسان اكتسابا ، لانه لم يثبت صحة النظريات التي زعمت انتقال السلوك الاجرامى بالوراثة وبالقطرة (٢٧) ، فالله سبحانه تعالى خلق الانسان في احسن تقويم وخلق فيه الاستعداد على التغيير والتأثير ، ولهذا جعلنا التعليم احدى وسائل التغيير نحو الخير او الشر بناء على توجيه المعلم نفسه وتعليمه ، فدور المعلم مكمل لدور الوالدين ويقوم مقامهما في المدرسة ، لهذا فقد منح حق التأديب شرعا وقانونا وعرفا ، وحق التأديب من الحقوق الثابتة فسي الشريعة الاسلامية له شروطه واصوله ، اذلك كان المؤدب مسؤول فيما اذا تعسف في هذا الحق ، لان عدم الالتزام باصول التأديب من شأنه ان يذهب من منفعتة ويفسد مهمته التربوية والاخلاقية فاذا ماتجاوز المؤدب حق التأديب تعرض للمسؤولية والجزاء فليس من حقه ان يضرب الوجه الذى حرم الله امانته كرامة للانسان ولما فيه من حواس قد تنعدم منافعتها لو تعرضت للضرب ، وقد امر المصطفى صلى الله عليه وسلم المؤدب بالاتزام بهذه الاصول بقوله (لا تضرب الوجه ولا تقبح) فالقسوة وانخلظه محرمة شرعا وهي غير التأديب ، بل حتى عقوبة الجلد المنصوص عليها في الشريعة في جرائم الحدود يشترط فيها ان لا تضرب على الوجه او اى عضو يحتمل ان تذهب منفعتة .

٢٧ - وقد بينا هذه الحقيقة في اكثر من موضع في هذا المؤلف .

وقد تضمنت الشريعة الاسلامية النص على حق التأديب وحددت اصوله وشروطه وعن هذا انحق قال الفقيه ابن غانم البغدادي : (المعلم اذا ضرب صبيا او الاستاذ المحترف اذا ضرب التلميذ قال ابو بكر محمد بن الفضل ان ضربه بامر ابيه او وصيه ضربا معتادا في الموضع المعتاد لا يضمن وان ضربه غير معتاد ضمن فان ضربه بغير امر ابيه او وصيه فمات ضمن تمام الدية في قولهم سواء ضربه معتادا او غير معتاد) (٢٨) ، وقال الفقيه ابي الميث السمر قندي (وان ادبه المعلم (اى لتعليمه) بغير امر الاب يضمن ، وان ضربه باذن الاب او الوصي فانه لا يضمن الاب ولا الوصي والا المعلم في قولهم جميعا (٢٩) .

ثم تشددت الشريعة في شروط استعمال هذا الحق اذ جعلت هلاك الطالب من حوادث قتل شبه العمد اى المصطلح عليه قانونا جريمة اضرب المفضي الى موت وليس من حوادث القتل الخطأ ، وبهذا تكون الشريعة قد حققت ضمانا منقطع التظير للطالب ، والمتأكد على هذه الضمانات فقد ذهب الفقهاء الى انه (لا يمكن اعتبار جنائية المعلم بدرجة في القتل الخطأ لان القتل الخطأ من شروطه ان يكون الجاني غير قاصد في قتل المجني عليه ولا ضربه ولا يمكن اعتبار جنائية المؤدب من القسم الاول وهو القتل العمد لان القتل العمد من شروطه قصد الجاني اذهاق روح المجني عليه وام يبق الا القسم الثاني من اقسام القتل فادرج الحنفية جنائية المؤدب تحته لان الجاني قصد

٢٨ - ابن غانم البغدادي ، ومجمع الضمانات ، القاهرة ، ١٣٠٩ هـ ،

ص ٥٤ .

٢٩ - ابي الميث السمر قندي ، خزانة الفقه وعيون المسائل وانوازل ، تحقيق استاذنا د . صلاح الدين الناهي ، المجلد الثاني ، عيون المسائل مطبعة اسعد بغداد ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م ، ص ٢٨٠ .

ضرب السجني عليه ولكن لم يقصد هلاكه (٣٠) *

وحيث ان المعلمين منشغلون بالمهام التدريسية المنهجية مما لا يمكنهم ان يعطوا للتربية والتوجيه والارشاد من وقتهم ما تستحقه هذه المهمة الشاقة قدرا كافيا من العناية والاهتمام ، ولحاجة مرمساتنا التعليمية الى مرشدين تربويين متخصصين تخصصا مباشرا في التربية والاخلاق ، لذلك اقترح على وزارة التربية ان تعمق هذه التجربة وتعممها بان تعين مرشدا تربويا لكل مدرسة لاسيما وان قانون رعاية الاحداث اوجب في المادة ٢١ منه تعين باحث اجتماعي في كل مدرسة ولنا بما لغيرنا اذا قلنا ان هذا الارشاد الخاص بالرياضة الروحية لا يقل اهمية عن سائر الدروس المنهجية ، ولاهمية الدور الذي يضطلع به المرشد ينبغي ان يتسم بصفات ثلاث لا تنقص احدا من عن الاخرى وهي : الخلق والامانة والعلم اما الخلق فلانه اساس الارشاد فتجلي المرشد بالاخلاق الفاضلة من شأنه ان يسهل مهمته لان مفتاح النفوس والقلوب هو الخلق *

اما الامانة فهي اذكى الصفات لان من خصوصيات عمل المرشد ان يطلع على سرىات الطلبة وعالمهم يكن امينا فقد تسول له نفسه ان يستغل هذه الصفة فتتحول مهمته من البناء الى الهدم ، اذ الطالب قد يتردد فسي ان يفصح عن خصوصياته ويبوح اسراره واثقا بدور المرشد ، اما العلم فان الارشاد كمي يكون مشمرا يجب ان يصطفى المرشد من ذوى الاختصاص في ميدان التربية الاخلاقية وان يؤهل للقيام بهذه المهمة الشاقة من خلال دورة تدريبية خاصة لهذا الغرض ، وينبغي ان لانستعين بوظيفة التربية

٣٠ - انظر في تفصيلات هذه الاراء ، زميننا د - خالد رشيد الجميلي ،
الدين واحكامها في الشريعة الاسلامية والقانون ، ١٩٧٥ ، ط ١
ص ٢٠٧ *

الاخلاقيه ، فاذا امتسنا المرشد يكون مربيا للاجيال العظيمة ، وللتنويه باهميتها فقد ذهب العالم الفرنسي الكسيس كاريل (٣١) في معرض تعليقه على اهمية هذه التربية ومقارنتها بتربية بعض الحيوانات بقوله (فيجب علينا منذ الان ان نزود ابناء المستقبل من جهة وطلبة مدارس المعلمين من جهة اخرى بالمعلومات التي تنقصهم حول سلوكهم في حياتهم الخاصة وحول تربية الاطفال ، فتربية الدجاج والغنم مهنة في اقصى السهولة بالنسبة لتربية صغار الكائنات البشرية ومع ذلك فان كمل من يرغب في تربية بعض الحيوانات لا بد ان يقضي فترة تدريب في احدى المزارع او مدارس الزراعة (٣٢) ويجب ان يتمتع المرشد التربوي بصلاحيات مادية ومعنوية يستطيع بها ان يدايك الكثير من العقبات التي يواجهها الطلبة . ويمكن ان يتخصص للارشاد جزء ثابتا من ارباح حانوت المدرسه ، فربما لمبلغ قليل من المال دور كبير في حل بعض المشاكل التي يواجهها بعض الطلبة المتصارعين مع الفاقة والحمان ، فشراء المرشد مثلا بعض الموازم المدرسية الضرورية ربما يساهم في ادخال السرور على قلوب هؤلاء الطلبة ويرفع من معنوياتهم ويقضي على الشعور بالامانة وتغلبهم عن سائر الطلبة ، وبمساعده الادارة في لجنة الانضباط الخاصة بالشكوى المقناب لانه اعلم بغيره بسلوك الطلبة ، كما يحق له ان يتذر ولي اسر الطالب اذا وجد تقصيرا او اهمالا في تربية اولاده او توجيههم ، وله الحق ايضا في الاشراف على الاقسام الداخلية ، لان هناك كثير من المشاكل تكمن

- ٣١ - ولد الدكتور الكسيس كاريل بالقرب من ليون بفرنسا سنة ١٨٧٣ . وحصل على اجازة في الطب والعلوم ، مارس التدريس لعدة سنوات ، وعمل في معهد (روكفلر) للابحاث العلمية لمدة ثلاثين سنة . منح جائزة نوبل للسلام سنة ١٩١٢ لبحائه العلمية القيمة ، لديه عدة مؤلفات أشهرها كتابية (الانسان ذلك المجهول) .
- ٣٢ - د . مقداد يالين . المرجع السابق ، ص ٤٥٨ .

فيها ، ولانجاح مهمته الصعبة ينبغي ان يهيء ملفا خاصا لكل طالب يضمها كل تقاريره وانطباعاته عن الطالب المذكور، فقد تساعد هذه التقارير على اكتشاف الانحراف المبكر وتشخيصه ومتى اكتشف هذا الانحراف وعولج في الوقت المناسب فقد قضى على السلوك الاجرامي في مهدة ، وهل نطمح باكثر من هذا ، لان الجريمة هي من اكبر المشاكل التي يعاني منها المجتمع خاصة في مرحلة الشباب لان الصغار متى الفوا الجريمة وصارت امرا طبيعيا لديهم ، اقترفوها في كبرهم بلا خوف من الله تعالى وبلا صراع في الضمير .

ومن الامور المؤثرة في النشاطات التربوية والاخلاقية مجالس الاباء والمعلمين لانه اذا كان من واجب المرشد التربوي تذليل المشاكل الخاصة بكل طالب فان من مهمة هذه المجالس معالجة المشاكل العامة للطلبة ومن اجل ان تكون هذه المجالس اكثر فاعلية اقترح ان يتطور عملها دون ان ينحصر دورها بعمل تقليدي يزور فيه الاباء المدرسة ويسألوا عن المستوى الدراسي لابنائهم وكان المسألة التربوية والاخلاقية مسأله درجات فحسب ، بل ينبغي ان يتحول الى اجتماع مثير تناقش فيه جميع المشاكل التربوية والدراسية ، فالامور الاخلاقية والتربوية لاتقل اهمية عن الامور العلمية وكل منهما مكمل للآخر ، لان العملية لاتستقيم باحدهما فقط ، يجب ان يفهم هذا مجلس الاباء والمعلمين وعلى اولياء الامور ان لايبخلوا بوقتهم وجهدهم تجاه ابنائهم ، لان عدم المساهمة بهذا الواجب من شأنه ان يفشل عمل هذه المجالس ، ولا اعتقد ان حضور ولي الامر الى المدرسة اربع مرات خلال السنة يسبب ارهاق بالنسبة اليه بل على العكس ان الوالد الملتزم يحرص على زيادة هذه المرات بقدر حرصه على تربية ابنه واستقامته ، وبهذا الاسلوب وحدة نستطيع ان نحول عمل هذه المجالس من اجتماعات تقليدية عقيمة الى اجتماعات تربوية نافعة .

المبحث الاول

بيشة العمل

ما لا ريب فيه ان العمل من اهم ضرورات الحياة ، فهو عصبها ومفتاح السعادة فيها ، وهو الرافد المقدس الذي يرتشف الانسان من منهله اهم المقومات الاساسية للمبقاء ، والتي يطلق عليها علماء الاقتصاد مصطلح تماسك البدن وهي الغذاء والكساء والمأوى ، وقد تضمنت الاية القرآنية الكريمة هذه المعاني قال تعالى (فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك الاتجوع فيها ولا تغمى وانك لاتظموء فيها ولا تضحى) (٣٥) ، كما حث المصطفى صلى الله عليه واله وسلم على اشاعة روح الامل والتفاؤل وحب العمل بقوله (من امس كالا من عمل يده امسى مغفورا له) وبالتأكيد على هذه القيم المثلى فقد قبل المصطفى رجلا قد اخشوشنت يده من العمل وقال مشجعا اياه هذه يد يعجبها الله ورسوله ، وهل هناك معاني اسمى ، مما تضمنته هذه الاحاديث الشريفة من حث على العمل ونهي عن الكسل والتواكل واليأس ، اذ بالعمل تتحقق العزة والكرامة عزة الرجل الذي يعف نفسه واهله بالتخلص من مذلة الحاجة والفاقة ، وبالعامل تزدهر الحياة ، وتتحقق اسباب التطور والرقى ، واذا جعلت بعض النظريات العوامل الاقتصادية من العوامل المباشرة في تحقق الظاهرة الاجرامية ، ولاسيما الفاقة والحرمان ، فان الشريعة الغراء قد امرت الانسان القادر على العمل ان يأكل ويلبس من كده دون الاعتماد على غيره ، اذ من يكون عائلا على غيره لا يبالي باملته ، ومذلة المنه لا يستمرؤها العفيف ، ولهذا اقرت الشريعة مبدأ : اليد العليا خير من اليد السفلى ،

٣٥ - سورة طه ، الايات ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ .

وهو مبدأ يقصد به العلو يشتمل معانيه المادية والمعنوية ، العلو الذي قصده هذا المبدأ لا ينصرف الى معنى الترفع عن العمل ، فأساس العلو الامل والعمل ، واساس الترفع اليأس والكنيل ولاعجب من سمو هذه الشاعدة ، لان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قام برعي الغنم في صباه ومارس التجارة في شبابه وشارك المسلمين في جميع نشاطاتهم العامة بل والخاصة احيانا . وان كان العمل حق تتكفل الدولة بتوفيره لكل مواطن في الوقت الحاضر ، فان المواطن بدوره يجب عليه ان يعمل ويتحرى عن العمل ، ولايعنى من هذا الواجب الامن فقد القدرة على العمل او عجز عن ادائه كما في حالات الشينوخة والعجز والمرض ، اذ يتحمل القادر على العمل مسؤولية كبيرة فيما اذا خل بهذا الواجب ، وبهذا الاتجاه سار قانون الرعاية الاجتماعية رقم (٢٦) لسنة ١٩٨٠ اذ نصت المادة الثالثة منه على ان (العمل حق تكفل الدولة توفيره لكل مواطن ، وهو واجب على كل عليه تستلزمه ضرورة المشاركة في بناء المجتمع وحمايته وتطويره وازدهاره وتهدف الدولة الى تأمين الضمانات الاجتماعية للمواطنين كافة في حالتي العجز والشينوخة) وما اجمل واقع مجتمعتنا الذي لازال ينعم بأنوار القيم الاخلاقية الفاضلة من حيث تأمين الرعاية الاجتماعية للعجزه والشيوخ وقملا فقد اكدت الاحصاءات الجنائية هذا الرأي ، فاننسبة المثوية لاجرام الشيوخ هي اقل من نسب الجرائم التي يقترفها الافراد في مراحل العمر الاخرى ، اذ بلغت النسبة المثوية لاجرام الشيوخ في العراق لسنة ١٩٧٩ . ١١٤٨ / (٣٦) .

٣٦ - راجع الصفحات الخاصة باجرام الشيوخ .

وقد اضاف قانون رعاية الاحداث رقم ٧٦ لسنة ١٩٨٢ الصغار الى طائفة غير القادرين على العمل اذ نصت المادة ٢٤ فقرة ٢ منه على انه (يعتبر الصغير مشردا اذا مارس اية مهنة او عمل مع غير ذويه) وحدد في المادة ٣ فقرة ١ المقصود بكلمة صغير (يعتبر صغيرا من لم يتم التسعة من عمره) . وانتفحص لاحكام القانون المذكور يتبين له بان المشرع قد سمح للصغير بالاشتغال مع ذويه حصرا ، واعتبر كل عمل مع غيرهم محققا لجريمة التشرد ، والذي نراه ان النص المذكور لم يتسم بدقّة التعبير . لان الصغير يمكنه ان يمارس كثيرا من الاعمال بمفرده دون ان يخضع لاحكام القانون ؛ لان هذا النص اعتبر الصغير مشردا اذا مارس العمل مع غير ذويه ؛ فان مارس العمل بمفرده فهو لا يعد عاملا مع غير ذويه ، وبهذا فان العلة التي قصدها المشرع من المنع لا يمكن ان تتحقق بصورة متكاملة ، اذ اغلب الصغار يمكنهم العمل بمفردهم ويتشردوا في انطراقات العامة . وفي اماكن انطلاق السيارات والمقاهي والبارات حيث تتجلبى الكثير من الوقائع التي لا تقل خطورتها عن خطر الصغير الذي يعمل مع غير ذويه . بل ربما هذه الاجسام ضروا واكثر خطرا لان ذلك يعمل مع مؤتمن مسؤول عنه امام امله وذويه والسلطات المختصة ، وهذا يعمل لوحده بلا امين ولارقيب عليه ولا احد مسؤول عنه اذا ما وقعت به النوازل ، ولهذا نقترح اضافة عبارة او مارس العمل بمفرده الى نص المادة ٢٤ فقرة ٢ دفعا للاجتهاد والتأويل وعلى كمال حال فسان النص المذكور قد اتسم بالاجابية نظرا لخطورة المرحلة التي يكون فيها الصغير وحاجته الى الرعاية والتوجيه ، وقد لا يجد مثل هذه الاحكام قانون رعاية الاحداث رغم مرور اكثر من (٧) سنوات على تطبيقه ، اذ حددت المادة ١١٣ منه يوم ١ - ٢ - ١٩٨٤ تاريخا لنهاية ، وحرصا منا على سلامة اخلاق هؤلاء الصغار الذين غالبا ما يقلدون غيرهم في السدوك ، لان

ظاهرة التقليد سرعان ما اتوتت ثمارها بالعدوى الاجتماعية فتتولد الخطورة الناشئة عن ظروف البيئة غير السليمة التي يعيشون فيها ، لذا نقترح على وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ان تضع احكام قانون رعاية الاحداث (موضع التنفيذ) رغم اقرارنا بالعبء الثقيل الذى يتعمله مجلس الرعاية الاجتماعية (٣٧) الذى يعد اهم تشكيل ادارى نص القانون على اقامته ، فهو يتولى اخطر مهمة يمكن ان تساهم جديا في تطبيق احكام القانون المذكور ، وعلى الرغم من الدور الاخلاقي والقانوني الذى يقوم به المجتمع كما بينا للحد من الاثار الجرمية في هذا المجال ، نجد ان هناك كثير من الحالات يكون للعمل فيها أثر كبير في تحقيق الظاهرة الاجرامية من اهمها : التدريب على العمل وأدابه والفضائل فيه ، لذا سيقتضمن هذا المبحث المطالبات الثلاثة الآتية :

المطلب الاول : التدريب على العمل

المطلب الثانى : آداب العمل

المطلب الثالث : الفضل في العمل

٣٧ - وقد حددت المادة الثامنة من قانون رعاية الاحداث اختصاصات المجلس المذكور بقولها (يمارس مجلس رعاية الاحداث الاختصاصات الآتية :

- أ - مناقشة وقرار السياسة السنوية بخصوص جنوح الاحداث .
- ب - اقرار خطة دائرة اصلاح الاحداث ومتابعة تنفيذها .
- ج - اقرار انشاء الدور والمدارس الاصلاحية بناء على اقتراح دائرة اصلاح الاحداث .
- د - وضع التوصيات لتوفير الحماية الاجتماعية من ظاهرة جنوح الاحداث .
- هـ - اقرار انظمة الدور والمدارس الاصلاحية قبل رفعها الى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية لتشريعها .

المطلب الاول

التدريب على العمل

قد تلجأ الظروف الكثير من الصغار والاحداث الى العمل ، وحيث ان التدريب على العمل غالبا ما يواكب الصغار لاسيما الذين حلت بهم مصيبة فقدان المعيل او معاناة الحاجة التي يصعب على اولياء الامور اشباعها في بعض الشرائح الاجتماعية مما يدفع الصغير والحدث الى ترك مدرسته متجها الى العمل ، وقد يتم هذا التوجه احيانا بناء على رغبة الاهل في تعلم ابنهم لمهنة توفر له مستقبلا الربح الكبير في تصورهم وفي كل الاحوال لا يعمل قبل التدريب ، وهنا تتجلى معاناة اخرى اذ نرى ان الصغير غالبا ما يتعلق بارباب العمل ، لانه مازال مبتدأ والمبتدأ لم تتجلى مواهبه بعد ، هذا التعلق قد يدفع الكثير من ارباب الحرف الى معاملة هؤلاء الصغار الذين هم بامس الحاجة الى الرعاية او التوجيه بقسوة تتنافى مع الطابع الاخلاقي الذي ينبغي ان يتصف به التدريب ، وهذه القسوة التي غالبا ما تكون مقرونة بالاهانة والتجريح فصاحب الحرفة يريد ان ينتقم من هؤلاء الصغار لانه ورث ذلك من مدربه وهذه القسوة والاهانة يمكن ان تساهم مسع عوامل اخرى فسي اقتتراف الجريمة ، ومن وجه اخر قد تحدث جراحات في مشاعر الصغار يصعب علاجها وازالتها فيما بعد وبناء على هذا يعد رب العمل خائنا للامانة التي اوُتمن عليها ، لان المتدربين الصغار لم يكن لهم من ذنب الا الحاجة التي دفعتهم الى العمل والرغبة في التدريب على مهنة يرغبون في تعلمها مع صاحب عمل لا يقدر عظمة الامانة وقدسيتها والذي نراه ان مرحلة التدريب مرحلة مهمة وخطيرة حياة المتدرب ، لان المتدرب الصغير يتأثر بمدربه اكثر مما يتأثر الطالب الصغير بمعلمه ، اذ الطالب لا يقضي اكثر

من اربع او خمس ساعات يوميا في المدرسة يلتقي بغير معلم واحد يسأل ويتأثر بهذا المدرب احيانا اكثر مما يتأثر بوالديه ، فقد لا يلتقي بهما كثيرا لاسيما الالباء الذين يغيبون عن الاسرة الغياب الغير المشروع (٣٨) ، في حين ان هذا المدرب الصغير يقضي من الناحية الفعلية اكثر من ثماني ساعات يوميا مع المدرب نفسه ، وهذا امر يخرج عن ارادة الاسرة لان ظروف العمل تستدعي ترك وندهم تحت رحمة هؤلاء مثل هذه الفترة الطويلة ، ولاهمية هذا الامور في حياة الانسان وعلى الاخص في المراحل المبكرة من عمره نقترح وضع ضوابط دقيقة تنظم اسس التدريب واصوله وقواعده حماية لاخلاق الصغار والاحداث من الشر والانحراف الذي قد يصيبهم من ارباب العمل المنحرفين ، وردعا لكل من تسول له نفسه استغلال وضع الصغير استغلالا سيئا ، وبانظر لاهمية التدريب في تأهيل العامل فانهي اقترح على وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ان تعتمد الى تنظيم التدريب وفق القواعد العلية الفنية وباسلوب اخلاقي انساني ، واستجابة للمعاني السامية التي تضمنتها الشريعة الغراء والاعلان العالمي لحقوق الانسان والاتفاقية الخاصة بسياسة الاستخدام رقم ١٢٢ لسنة ١٩٦٤ التي اقرتها منظمة العمل الدولية وصادق عليها العراق بالقانون رقم ١٩٥ لسنة ١٩٦٩ التي اشارت الى ان اهم الوسائل التي تحقق اهداف سياسة التشغيل تتمثل في (وجوب اقرار اهمية اقامة الوسائل الخاصة بانساء الطاقات البشرية وذلك عن طريق التعلينم والتدريب المهني) (٣٩) .

٣٨ - راجع الصفحات ٢٢٧ وما بعدها من هذا المؤلف .
٣٩ - د . شاب توما منصور ، قانون العمل ، دار العربية للطباعة ، بغداد
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ط ٦ ص ١١٥ ، ١٣٦ .

وقد نبينى المشرع العراقي هذا الاتجاه اذ نص قانون العمل رقم ١٥١ لسنة ١٩٧٠ المعدل على انشاء مؤسسة عمالية تتبع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية تسمى المؤسسة العامة للعمل والتدريب المهني (٤٠) وحدد القانون المذكور في المادة ١٦٠ منه اهداف هذه المؤسسة وهي : حماية وتأكيد القيمة الانسانية النبيلة للمعلم ، وتحريره نهائيا من معنى السامعه وتحكم السوق والاحتكارات وتمكين جميع المواطنين الراغبين من الحصول عليه بكرامة ، بوصفه حقا يكفله القانون لكل مواطن قادر عليه كما تهدف المؤسسة الى تدريب انعمال المبتدئين على المهنة التي يودون مزاوتها . وقد تضمنت المواد ١٦٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣ من القانون المذكور النص على الاحكام الخاصة بالتشغيل وتحقيق اهدافه والنص على اهداف التدريب المهني من خلال دائرة العمل ودائرة التدريب المهني .

ومن استعراض الاحكام التي تضمنتها النصوص المذكورة انما يتضح انها توءكد علينا اهمية تنظيم التدريب على العمل بالحرص على تحقيق غايته بأسلوب اخلاقي هادف بتلائم ورغبة ايصغير وقدرته ، ولا ارانسى مبنابا لجوهر البعث اذا ماقلت ان الله تعالى قد خلق الانسان وقسدر لسه رزقه في المواهب التي منحها له . والتفاوت في الرزق هو التفاوت في القدرات والمواهب ، فالله سبحانه وتعالى لم يساو بين الناس في قدراتهم بل فسارق بين الارزاق ليحتاج بعضنا الى بعض ، قال تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما ان الذين فضلوا برادى رزقهم عسى ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افينعمة الله يجحدون) (٤١) . ان الرزق يتضمن القدرات التي اسبغها الله على عبادة واستجابة الناس لهذه القدرات ، ان هذا

٤٠ - د . عدنان العايد ود . يوسف الياس : قانون العمل : دار المعرفة ١٩٨٠ ط ١ ص ٦٧ وانظر كذلك هامش ٣ من الصفحة ذاتها .
٤١ - سورة النمل : آية ٧ .

التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل في التفاوت في الذكاء والعقل والصحة (٤٢) ، ولو كانوا جميعا على نحو واحد لاستغنى كل عن كل ، ولا استقامت الحياة مصداقا لقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) .

ومن اجل القضاء على ظاهرة الفشل المفضيه الى الاجرام التي غالبا ما تواكب كثير من الصغار فاني اقترح ان يتم اختيار العمل وفقا لما يظهره الصغير من ميول وقدرات يملء ارادته ، وهذا لا يمنع من مراقبة الصغير الذي يختار العمل بارادته فترة زمنية كافية تتجنى بها امكانيته فاذا اتضح عدم استعداده على تقبل هذا العمل وجه الى غيره من الاعمال والى نحو من ذلك اشار الامام الشاطبي قديما بقوله : (اذا فرض ان واحدا من الصبيان ظهر عليه حسن ادراك وجوده ففهم ووقور حفظ لما يسمع ، وان كان مشاركا في غير ذلك من الاوصاف ، ميل به نحو ذلك القصد ، وهذا واجب على الناظر فيه من حيث الجملة ، مراعاة لما يرجى فيه من القيام بمصلحة التعليم ، فطلب بالتعلم وادب بالاداب المشتركة لجميع العلوم ، ولا بد ان يمال منها الى بعض قيوعخذ به ويعان عليه (٤٣) .

٤٢ - التفسير الكبير للامام الفخر الرازي ، ج ٢٠ ص ٧٨ و ٧٩ .
٤٣ - انظر الموافقات في اصول الاحكام ، الامام الشاطبي ، مطبعة المدني ، القاهرة ج ١ - ص ١١٦ .

المطلب الثاني

آداب العمل

لاجل ان لا يحقد الانسان على احد يجب بانضرورة ان لا يزدرية احدا او ينتقص من مكانته ، والافان انتقامات تترى تتفاعل وتنفجر في الشعور او في اللاشعور عند الانسان الذي اهانه من كان مسرورا عنه ، لهذا فأن للعمل آداب يجب ان يلتزم بها رب العمل من جهة والعمال من جهة اخرى فلا تكليف الا بمقدور لان تكليف الانسان بما لا يطيق من الاعمال لا يصح في الشريعة الاسلامية التي لا تكلف الانسان بما لا يطاق ولا تكلفه بالمشاق (٤٥) وقد اكد هذه القيم الفضلى المصطفى محمد صلى الله عليه واله وسلم بقوله (اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، وان لا تكلفوهم من الاعمال ما يغلبهم وان كلفتموهم فاعينهم) وينبغي ان لا تقتصر مراعاة رب العمل على الطاقات الانسانية بل يجب ان تراعى المواهب والرغبات ، فلا توجيه بما يتنافى مع الرغبة ولا يوضع احدا الا في المكان الذي يناسبه ويتلائم معه ، فلا يكلف الصغير مثل الكبير والسقيم مثل الصحيح والمرأة مثل الرجل ، ووضح الفروق في تباين الطاقات والقدرات تلك المتمثلة في الفرق بين الرجل والمرأة ، اذ الرجل جبل على شيء والمرأة جبلت على شيء اخر فاذا ما استبدلت الايام واجباتهم ظهر الفشل فانياس فالعقدة فالجريمة وقد اهدت الاحصاءات الالمانية صحة هذا الرأى ، اذ دلت هذه الاحصاءات على ان نسبة ارتكاب النساء للجرائم قد ارتفعت خلال الحربيين العالميتين الاولى والثانية نظرا لان المرأة قد قامت باعمالهم تكن مناسبة لطبيعتها فتم تحسن القيام

٤٥ - الموافقات للشاطي ، المرجع السابق ج ٢ ، ص ٨٤ .

بها ثم فشلت في ادائها (٤٦) .

والضمان تأثير رب العمل على العامل يتبعني ان تمنح له بعض الصلاحيات الخاصة منها حق التأديب . اذ يجب نه مثلما يجب عليه ، مادام انه يسأل بصفته مودع عن الاثار التي تظهر على سلوك العامل لاسيما حدوث الصغير فهو يؤثر عليه كما يؤثر فيه والداد ، ولربما كان سببا مباشرة في حدوث التغييرات في سلوكه وقد بينا خطورة تأثير رب العمل على العامل بسبب طبيعة العلاقة بينهما وطيلة الفترة التي يقضيها تحت اشرافه وتوجيهاته ، وقد حدد الفقهاء المسلمون اصول حق التأديب وشروطه ، وهي نفس الاحكام المتعلقة بتأديب الطالب (٤٧) ، لان حق التأديب في الشريعة واحد ولم تقتصر الشريعة الغراء على ضمان حق التأديب لرب العمل وانما تكفلت بضمان حقوق العامل كما انه فيما اذا تعرض لحوادث اثناء العمل وبسببه ، واذا كان قانون التقاعد والضمان الاجتماعي رقم ٣٩ لسنة ١٩٧١ قد تكفل هو الاخر بضمان اصابات العمل (٤٨) فان قصد التعويض عن الحوادث التي يتعرض لها العامل اثناء العمل او بسببه سواء اكانت هذه الاصابات قد وقعت للعامل اثناء تكليفه بعمل متفق عليه ام لا ، اي انه يساوي بين العاليتين في خضوعهما لشروط اصابة العمل وحالات العزمات من التعويض والكفاة ،

٤٦ - د . فوزية عبد الستار ، مجادى علم الاجرام وعلم العقاب ، المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

٤٧ - راجع الصفحات ٢٣٩ - ٢٤٠ من هذا المؤلف .

٤٨ - ويقصد بالاصابة الضرر الجسماني الناتج من واقعه خارجيه ميافته ، راجع في تفصيل هذا الموضوع ، د . عدنان العابد ، د . يوسف الياس ، قانون الضمان الاجتماعي ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ٩٨١ ص ١٠١ ، ١٣٥ .

وهذا يعني ان العامل الذي ارتكب على سبيل المثال خطأ جسيماً أثناء قيامه بعمل غير متفق عليه ويتعرض لحادثه فإنه يحرم من التمويض او الكفاة، في حين ان الشريعة قد تطرقت لهذه الحالة ونصت على تضمين رب العمل اذا كلف العامل في غير ما اتفق عليه وتضرر بسبب هذا التكليف حتى وان ارتكب هذا العامل خطأ جسيماً . وهذا يتفق مع حكمة الله تعالى التي اقتضت منح كل مخلوق خاصية يتسم بها ، فهو ينجح ويتقدم كلما كان عمله موافقاً لخاصيته ورجبته ، لان العمل وفق الرغبة والتخصص يحقق السعادة للفرد والغير للمجتمع في حين ان وضع العامل في مكان ليس راغباً فيه او تكليفه بعمل غير متفق مع خاصيته ورجبته يكون من الاسباب الرئيسية للفشل العامل في ادائه للعمل والتي لا تقتصر نتائجها على الضرر الذي يصيبه بسبب حوادث العمل وانما تتجاوزه لتكون احد العوامل التي تساهم في تكوين الأهرة الاجرامية ، وفي هذا قال الفقيه ابن غانم لبغدادى: (لو استأجر عاملاً في الخياطة فاستعمله في اللبن ليلين فهلك ضمن ولو لم يهلك فيه حتى رده في الخياطة فهلك فيه لا يضمن) (٤٩) .

٢٩ - ابن غانم البغدادي ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

المطلب الثالث

الفشل في العمل

إذا فشل المرء في عمله فقد رزء في امله ، وقد ناقشنا في المطلبين السابقين الاسباب المنفضية الى الفشل ، ومن اهمها المعاملة السيئة التي يلاقها العامل ماديا ومعنويا والتي تخلو من الطابع الانساني او عدم مراعاة الطاقات والمواهب والرغبات ، وهناك امور اخرى يمكن ان تسهم في وقوع الفشل منها ادعاء الخبرة والتخصص في المهنة رغبة في الاثراء السريع او ممارسة عدة مهن مختلفة تحتاج الى قدرات متنوعة يصعب على الفرد ان يلم بها بمفرده او نقص القدرة على تعلم بعض المهن التي تتطلب استعدادا معيناً ، والذي نراه ان رب العمل بصفته مؤتمن على العامل يكون هو المسؤول عنه ، وكما يبدي الوالد وفاءه وحبه بتوجيه الفاشل من اولاده ، يجب على رب العمل ان يتعاون مع دائرة التدريب المهني من اجل تجاوز اسباب الفشل ، ومن الافضل في تصورنا هو فتح دورات خاصة بالفاشلين بعد دراسة مستفيضه لاسباب الفشل من اجل الوصول الى افضل الوسائل لمعالجتها ، ولا يمكن وضع الحلول مقدما فان لكل حاله حلا خاصا يتلائم معها ، فكل عمل خلاف الرغبة والتخصص مثلا يكون مصيره الفشل وهكذا تحميل العامل اكثر من طاقته البدنية او الفكرية ، بل حتى المعاملة القاسية من جانب رب العمل تكون من اسباب فشل العامل في ادائه لواجبه لان العامل الذي يحتقر او تصب عليه الالهانة بدون سبب قد يكره استاذه ويحقد عليه لانه السبب في اثاره النوازع لديه ، وغير ذلك من الاسباب الكثيرة والمتنوعة والتي يصعب حصرها ، والاهم من كل ذلك هو اتباع كافة انوسائل والاساليب العلمية والفنية من اجل رفع معنوية العامل الفاشل ليتجاوز اسباب الفشل ، فاذا تنصل رب العمل عن هذا الواجب

وهو ما يقع غالباً ، فينبغي ان تتحمله دائرة التدريب المهني في المؤسسة العامة للعمل والتدريب المهني وان كان محل اشتغال العامل في احدى المناطق التي لا يوجد فيها مراكز تدريب للمؤسسة او كان مع صاحب عمل يشغل اقل من خمسين عاملاً ، ويمكن تدارك هذا الخلل ، اما بارسال العامل الفاشل غير المؤهل لتعلم مهنة او صناعه معينة الى مراكز التدريب الخاصة بالمؤسسة او تعميم تجربة المدراس الصناعية الشعبية في كافة المحافظات ومما ينبغي الاشارة اليه بهذا الصدد ان الفشل في العمل كالفشل في الدراسة من حيث اثاره السيئة ، فعلى الرغم من نتائجها الضارة بالمجتمع من حيث انه يعيق تنفيذ الخطط التنموية القائمة على اساس توجيه العمال لتعلم المهن المتطورة الحديثة واعتماد الاساليب الفنية والتخلي عن المهن والاساليب البدائية المختلفة فانه يؤثر على الاطمئنان النفسي للانسان وخاصة في مرحلة لشباب اذ الاستقرار المهني يمثل احد الارقان الاساسية لهذا الاطمئنان ولا يمكن تحقيق الاستقرار المنشود الذي يؤمن للانسان الملاذ الروحي الامن والحصن الاخلاقي القويم في ظل الفشل المهني والوظيفي وعدم الاستقرار فيهما .

ومن الامور المحققة للفشل ادعاء كثير من العمال قدرتهم على عمل ليسوا قادرين عليه كما ينبغي اذ تولدت قرائن خاطئه لدى الناس افضت الى هذا القن الخاطيء كتدفق السيولة النقدية بوسائل ملتوية غير مشروعه وهي ظاهرة مؤسفة بدأت تنتشر في مجتمعنا ، نتيج عنها الكثير من الاضرار والاذى منها على سبيل المثال اكتساب هؤلاء المراهقين ثقة الابرياء على انهم متخصصين او ذوى خبرة جيدة في عمل او مهنة معينة يتم على اساس هذا التصور التعاقد او تكليفهم المقيام بانجاز الاعمال والمهن التي ادعوا الخبرة والتخصص فيها ، فان كان سبب ذلك هو نقص القدرة على تعلم بعض المهن الفنية التي تتطلب قابلية معينة لذا يجب انتشال هذا العامل

من الفشل المحقق بتوجيهه الى مهنة اخرى يتحول اليها تتلائم مع قدراته وربما تضمن له المستقبل انباهر في حياته . فليس العبرة في ممارسة المهنة الصعبة من اجل الحصول على المال الوفير وانما العبرة باتقان المهنة وادائها بشكل يحقق الاطمئنان والرضا لدى مجتمعه ، وهو في النتيجة اكبر رأسمال مربح للعامل ، والذي يتحقق باخلاقه في العمل واتقائه الخدمة على الدوام بغض النظر عن الشخص الذي يقدم اليه الخدمة ، امثالاً لامر الباردى عز وجل واستحضار لوجوده في كل وقت والذي نراه ان يصر الى تنفيذ المقترح الذي اشرنا اليه انفا بخضوع كل العمال للتدريب ، بغض النظر عن الجهات التي يعملون فيها ومهما كان عددهم ، لان من اهم اهداف التدريب المهني التي نص القانون على تحقيقها تتمثل في تطبيق مقترحنا بشكله الموسع ، اذ بيئت الفقرة (ز) من المادة ٤٨٢ من قانون العمل احدى مهام المكتب المركزي للتدريب المهني والتي تتمثل في : (اعداد دورات متعاقبة للعمال للمبتدئين من اجل تدريبهم على تعلم المهن التي يرغبون في مزاوتها ، ودورات اخرى من اجل رفع المستوى المهني للعمال العاملين ، ووضع المناهج العلمية والفنية والتطبيقية لهذه الدورات واعطاء المتخرجين منها شهادات مهنية تحدد فيها مؤهلاتهم ومستويات تخرجهم) ورغم تقديرنا للجهود الكبيرة التي تبذلها دائرة التدريب المهني من اجل تحويل هذا المقترح الى ميدان التطبيق العملي فانه يمثل في نظرنا افضل وسيلة لمعالجة هذه المشاكل الكثيرة والخطيرة ، لانه لا يحق بعد تطبيق هذا المقترح لمن يدعي الخبرة او القدرة على اداء عمل او مهنة او صناعة او خدمة معينة ان يؤديها مالم يبرز البطاقة التأهيلية او الشهادة المهنية والفنية التي تحدد مؤهله وكفاءته ومستوى تخرجه التي تمنح للعمال المتدربين بعد اجتياز الامتحان المطلوب في نهاية كل دورة تدريبية .

ولعل طبيعة بعض المهن تساعد على اقتراف الجريمة اذا لم تستنصر
افئدتهم بمصباح الخوف من الله تعالى اذ دلت الاحصاءات الجنائية على ان
المهنة تأثير كبير في نسبة ارتكاب الجرائم فنوع المهنة يساهم في التكوين
النفسي للمشغولين بها من خلال الجو النفساني الذي يرافق ادائها والذي
يكسيهم بالتالي خصالا معينة قد تغير من خصالهم الطبيعية فالجزائرون
مثلا قد يأثرون منظر الدماء ، لان اساس عملهم قائم على الذبح وان
الاستمرار على هذه المهنة من شأنها ان تجعل فعل الذبح عملا طبيعيا ، لذا
نجد ان بوسكو يفسر ارتفاع نسبة القتل بين الجزائريين في الولايات المتحدة
الامريكية بقوله (ان مشاعر الرفق واللطف التي وضعتها المدنية فسوق
ضرائق الانسان الاصلية انخرسه ، لا تستطيع دفع التأثير اليومي للمهنة
لاسيما في المنشآت الواسعة التي تذبح وتقطع فيها يوميا وبطريقة قاسية
حقا الوف من رؤوس المواشي ، وان من يزور تلك المجازر الهائلة ليسروده
شعور بالاشمئزاز حتى يرى كيف تذبح الحيوانات اذ تمر من دقيقة الى
اخرى امام الجزائريين ، ثم تجر بواسطة الات ميكانيكية الى حيث يتناولها
عمال اخرون ، بينما ينزف الدم من نحورها المذبوحة ، وفي هذا السياق
يروى الكاتب ميشيل سيرفنت حديثا على لسان غيره نصه (كرم كنت
اشمئز ، اذ ارى الجزائريين يصرعون انسانا بذات السهولة التي يذبحون
بها بقرة ، وكيف انهم لا تفقه الاسباب وفي لمح البصر يحصلون سكيننا في بطن
انسان كما لو كانوا يذبحون ثورا (٥٠) .

ولا يشكل هذا التصور ظاهرة في مجتمعا ، بسبب ما يشتمع به من قيم
اخلاقية فاضلة تهذب ملوك الجزائريين بسبب ما يحيط اداء هذه المهنة من

٥٠ - د . رمسيس بهنام ، علم الاجرام ، منشأة المعارف بالامكتدرية
٩٧١ ، ٤ ، ط ٣ ص ٥٧ - ٦١ .

اصول وثقاليد من ابرزها ذكر اسم الله تعالى بسملة وتكبيرا على كسل ذبيحة اضافة الى الرفق بها حين ذبحها .

وصناع المفاتيح والاقفال قد يالفون التزوير لان مهنتهم هي التقليد بالذات ، وغير ذلك من اصحاب المهن المختلفة ، ويزكن الاشد خطرا من ذلك كبه المصابون بداء الطمع والنهم في جميع المهن ، فقد لايتورع صاحب المطعم الجشع من تقديم الطعام الفاسد والفضلات البائيه للزبائن وقد لا يابه المتعاملون بالدوات من تقديمه الى سقيم يزيده بدوائه القالف سقما .

وما دمتا نتحدث عن الظاهرة الجرمية بسبب العمل لايفوتنا ان نتحدث عن عمل المرأة لان المرأة مخلوق لطيف بما يرافق تكوينها من رقة ولين قد يقلل مافيه من مظاهر الحزم والقوة او يسبب القوة التي يستخدمها ارباب العمل لاسيما في الاعمال الحرة اذ قد تقيد اعناق النساء فلذات الاكباد فترى احدهن التسليم للواقع امرا لا بد منه ثم تدخل في دوامة حساب النفس وتأنيب الضمير فتقترب جريمة الانتقام او قد تترك العمل ولا تجد من يمنحها فرصة الحصول على لقمة العيش باناء العفة والشرف فتلجأ الى اقتراف جرائم الاموال او الجرائم المخلة بالاداب ، وأذا أقرت الجريمة المخلة بالشرف فقد جعلت من نفسها جمرة تلهب الجريمة اللا اخلاقية في كل مكان ، لهذا يجب على المؤسسات المختصة ان تعتنسي بالعاملات وتشرع عقوبات صارمة بحق كل من يقترب الجريمة على العاملة وان كانت طوعا وبهذا يمنع المجتمع الجريمة المقترفة على اخلاقه .

ومما يجب الاشارة اليه بهذا الصدد ان المقصود بنقص القدرة على تعلم بعض المهن ينصرف الى عدم امتلاك العامل القادر على العمل انقابلية لاداء تلك المهن دون ان ينصرف الى العاجز عن العمل ، لان العاجز هو من :

(نقصت قدرته على اداء عمل مناسب والاستقرار فيه ، نقصا فعليا نتيجة لعاهه بدنية او عقلية) (٥١) .

وما دام وضع العاجز بهذه الصورة فلا بد من العناية به عناية خاصة من اجل رفع معنوياته وانقاذه من مزلق الشر والفشل وتأمين اسهامه في بناء المجتمع جديا ، لذا فقد ضمن قانون العمل للعاجزين الرعاية الكافية التي تضمن لهم الحياة الامنة المستقرة .

حيث بين في المادة ١٩٢ منه ان هدف التأهيل المهني للعاجزين يتمثل في : تأمين اسهام المجتمع بواجبه تجاه افراده العاجزين عن العمل بسبب نقص قدراتهم البدنية او مملكاتهم النفسية او العقلية سواء كان هذا النقص ملازما لهم منذ الولادة او حل بهم نتيجة حادث او مرض بسبب العمل وذلك بانقاذهم من وطأة العجز او بتخفيف حدته عليهم عن طريق تدريبهم واعدادهم بالوسائل العلمية والفنية المعاصرة مهنيا وصحيا واجتماعيا وثقافيا لكي يستعيدوا قدراتهم على العمل ويجددوا املمهم في الحياة بكرامة وحرية وثقة .

ومن اجل تحقيق الاهداف المذكورة فقد ازم قانون العمل الادارات واصحاب العمل بقبول اشتغال المصابين بنقص القدرة على العمل بسبب العجز ، فبعد ان اوضحت المادتان ١٩٤ ، ١٩٥ من القوانين المذكور القواعد والاجراءات التي يخضع لها العاجز نصت الفقرة (ز) من المادة ١٩٤ على انه (تلزم الادارات واصحاب العمل بقبول المؤهلين مهنيا ، الذين يرشحهم لهم مكتب التشغيل المختص في حدود نسبة ثلاثة في المئة على الاقل من مجموع عدد عمالهم) .

٥١ - د . شاب توما منصور ، ارجع السابق ص ١٣٢ .

كما نصت الفقرة و ط) من المادة نفسها على انه (توفر لنموه ليسن مهنيها حيثما اشتغلوا تسهيلات خاصة حسب اوضاعهم تيسر لهم سبل التقييم بالاعمال المسندة اليهم وتؤمن لهم فرصا خاصة للراحة *

ويشغبي مراعاة الامر نفسه مع النزول او المودع ، فله حق اختيار العمل او المهنة التي يمارسها واذا تعذر ذلك فتوفر له فرصة ممارسة مهنة قريبة من المهنة التي يرغب العمل بها ، لاننا لو تجاهلنا هذه الرقبة لوقمنا بانسقاط نفسه الذي حصل خارج المؤسسات الاصلاحية فلربما كان المشغل في العمل هو السبب الرئيسي لسخوله هذه المؤسسات *

المبعضات الرابع

بيئة الصداقة

خلق الانسان وفيه استعداد على ان يؤثر ويتأثر ويعير ويتغير كما بينا، لذا فان بيئة الصداقة لاتقل اثرا عن بيئة الاسرة وبيئته المدرسه ، فغريزة التقليد تواكب الاتسان في مراحل نموه لاسيما في مرحلة الشباب ، لان هذه المرحلة تتسم بميل الشاب وحيه الى تكوين شخصيته ذاتيا ، وحيث ان الشاب يمكن ان تتجاوزه الموجات الاجتماعية المشبعة بالظلم والطمع والعبادة وغير ذلك من العوامل التي فكرناها انفا كل هذه الامور تدعونا لتركيز عدسى اهمية الدور الذي تلعبه هذه البيئة لانها غالبا ماتكون متممة او مفسدة للبيئات الاخرى ، اذ نجد كثيرا من الابداء الصالحين تتخطفهم بيئة الصداقة فتشمل المهمة التي ادتها الاسرة ، ورغم ان بيئة الصداقة مستقلة عن بيئته العائلة الا ان التربية الاخلاقية الصحيحة تحمل الاسرة مسؤوليه مراقبته سلوكه وتصرفات الشاب او الشابة داخليا وخارجيا ، كي تكون التربيته متكاملة وتجرى في اتجاه واحد ، حيث ترقب ابنها اين يذهب واين يعود ومع من يقتون - وبهذا تستطيع الاسرة ان تستمر في اداء رسالتها ، اما اذا تركت حبل الوئيد على غارية تحت رحمة موجات التناقض والنفوسى القربوية وعنفوان الارادة وما فيها من مغامرات ، فانهما تكون قد قامست بحياته لانها تركته يتنوض تجرية بمفرده في خصم افتراضات غير مضمونة العواقب ، ربما ان الاجتماع الانسانى ضرورى لان الانسان مدني بالطبع اى لايد له من الاجتماع (أ) من هنا ياتي دور الصديق ان كان خيرا فهو

١ - العلامة عبد الرحمن بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤٠ ، الجزء الاول ، الفارابي ، تحصيل السعادة ، الهند ، ١٩٤٥ ، ص ١٤ مسكويه تهذيب الاخلاق ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ١٥ - رسائل اخوان الصفا ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م ، ج ١ ، ص ٢٧٧ -

كريح المسك ، وان كان شرا فهو كمنار الحداد يحرق الشباب وريحته خبيثة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (انما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافع الكبير ، فحامل المسك اما أن يتخذك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبة وناجح الكبير اما ان يحرق ثيابك او تجد منه ريحا خبيثة) .

بهذا الحديث الشريف شبه المصطفى صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل الورد وهذا مدح للورد وهو انطاهر الطيب ، وشبه جليس السوء بنافع الكبير وهو الحداد الذي يحرق ثيابك من النار او على الاقل فأنتك وانت جليسه تشم رائحة خبيثة وهذا نيس معناه ان الحداد هو الخبيث وانما رائحة الكبير ، وفي هذا الحديث حث على معاشره الصالحاء والابتعاد عن اهل السوء والفسق والانحراف والمجرمين عموما وعدم اتخاذ احدهم قرينا او صاحبا او حتى جليسا لوقت قصير ، فالشاب حين يتصرف يقلد من حوله قبل ان يعقل ما يفعل غالبا لذلك ينبغي ان يكون من حوله صالحا ، ونظرا لما يتميز به دور الشباب من عنفوان ورغبة فسي تحقيق كثير من الرغبات والغرائز واتخاذ القرارات السريعة والم عاطفية المتسمة بالمغامرة والتضحية ، فانه سرعان ما يقلد غيره او ممن هو فسي سنة او ممن يتخذة قدوة له ، ولغرض تنشأة الشباب النشأة الصالحة لايد من الاهتمام بالقرين والحرص على اختياره لان الانسان مهما بلغ من العمر وصل الى مستوى مرموق من العلم والمعرفة ومهما اكتسب من خبرة وتجارب فانه يتأثر بمن حوئه وبمن يعاشره ويجالسه (١) .

١ - د . فوزية عبد الستار ، المرجع السابق ، ١٧٨ و ١٧٩ .

لهذه العلة كان الزاما على الاباء والاربيين والمصلحين وكل من ولسي امانة التربية والتعليم ان ينتبهوا بهذه الناحية وان ينبهوا ابناءهم الى ضرورة تحرى الفرد الصالح لاتخاذها قريبا او صاحبا او حتى جليسا اوقت قصير ، كما ان هؤلاء ملزمون بنفس الوقت أن يحاولوا بين ابناءهم وبيين قرين السوء ، وما اكثر قرناء السوء في هذا العصر ، فقد ابتلى مجتمعنا بهذا الداء الخطير الذى بات يهدد اخلاق شبابنا وشاباتنا ، فقريين السوء يؤثر في قرينة فهو يختلي به بعيدا عن بصائر اولياء الامور والمربين ، فيزين لقرينة الشر ويسهل عليه الوقوع في انزذائل واقتراف الجرائم ، ولقد عشنا امثلة كثيرة راح ضحيتها كثير من الابرياء *

وهذا قال الشاعر العربي في حكمة اختيار الصديق :-

(عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارنة يقتدى)
 ولخطورة اصطفاء الاصدقاء قال تعالى (ويوم يعرض انظام علي يدبيه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد ان جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا) (١) ان الحكم المستنبط من هذه الاية الكريمة هو ان الانسان يمكن ان يتأثر بغيره ، فان انزلق في الشر والجريمة فانه يندم ولات ساعة مندم ، فصديق السوء اثر تأثيرا سيئا في سلوكه اذ الاساءة هدم وما ايسر انهدم وما اصعب البناء ، ويستنبط حكما اخر خلاصته : ان اصطفاء صديق السوء غير جائز شرعا خشية من الضرر الذى يلحقه بمن اصطفاء ولاضرر ولاضرار في شريعة الله تعالى *

١ - سورة الفرقان - الايات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ -

وحيث الاثنان اجتماعي بالطبع كما ذكرنا فقد وجب على ولي الامر ان يصطفي قرينا صالحا نولده ليتقدي به وليخلص من عقدة الوحدة والخرمان ، وللوحددة أثار سيئة ولكن قرين السوء اشد منه سوءا ، لهذا اخبرنا المعلم الاول صلى الله عليه وسلم ان : (الوحدة خير من جلوس السوء والجلوس الصالح خير من الوحدة) يتبين عن هذا الحديث الشريف ان اصطفاء الصديق الصالح خير من الوحدة المفضية الى عقدة الوحشة الاجتماعية ، لهذا فأن اسلوب تحصين الشباب من عقدة الوحشة واجريمه يتمثل في اصطفاء الصديق الصالح .

كما بين القران الكريم اجمل بيان في قيس اخسر عاقبة الاصدقاء الصالحين اذ استثناهم من السلوك الذي يصطبغ به قرنا السوء حيث يتبرى كل صديق من صديقه بعد اللوم والعتب الذي لا ينفع ولا يجدي شيئا (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) (١) يستنبط من هذه الاية الكريمة ان الاصدقاء الصالحين مجموعون في فردوس الله تعالى كما جمعوا على الخير والصالح في الدنيا .

والصدقة جزء من البيئة الترويحية تلك البيئة التي يقضي فيها الشباب اوقات فراغة لان بحث الصديق يقتصر غالبا مع اللعب او مع الضراغ ، والدراسات والبحوث التي اجريتها حول هذه العلاقة توعد على ان اللعب هو مدخل وظيفي لبناء العلاقة مع الاخرين ويعتبرها علماء النفس فترة مهمة لانها تمثل ركيزة اساسية في البناء النفسي للفرد في كفافه مراحل نموه ومنها مرحلة الشباب .

١ - الزخرف آية ٦٧ .

اذ اللعب تشاطر سلوكي هام يقوم بدور رئيسي في تكوين شخصية الانسان . وهو ظاهرة سلوكية في جميع الكائنات الحية . لا تقتصر على الانسان حسب ، والميل الى اللعب امر وراثي فطري . الا انه لا يأخذ صورة واحدة بل يختلف باختلاف الظروف المحيطة بالانسان وبحسب مرحلة النمو التي يكون فيها . ورغم ان كل نظرية من نظريات اللعب تفسر اللعب من زاوية معينة ، منها من يتناول اللعب كمحاولة للتفسير الفسيولوجي ، واخرى محاولة للتفسير السيكولوجي وثالثة للتفسير الاجتماعي الا ان هذه النظريات تتفق جميعا على ان اللعب بمختلف مظاهره يعد من اهم العوامل المهمة في تربية الانسان وتساعد في اكتشاف مواهبه وبيئته واستعداداته . ورغم ان الاتجاه السائد الان لدى الكثير من الباحثين ان اللعب امر يهم الصغار وحدهم ولا يهم الكبار بما فيهم الشباب الا ان هناك آراء قيمة تؤكد بان اللعب امر ضروري الكبار ايضا . اذ يرى جوتس موث () ان اللعب يعد وسيلة طبيعية للتخلص من الاضطرابات العصبية التي تنتج من الاستمرار في اداء العمل لمدة ساعات طويلة وذلك لان اللعب يتميز بالحرية والانطلاق والتلقائية مما يساعد على تجديد نشاط الجسم واستعادة الطاقة المستنفذة في العمل والتخلص من التوتر العصبي والاجهاد العقلي والقلق النفسي ، وذلك لما للعب من قيمة ترويحوية (١) .

١ - د كمال درويش ود . محمد محمد العجمي وامين انور الخولي .
اتجاهات حديثة في الترويح واوقات الفراغ . دار الفكر العربي .
القاهرة ١٩٨٢ من ٢٣٥ - ٢٢٧ - ٢٤١ .

اما وقت الفراغ فان تنظيمه واستغلاله على افضل وجه ممكن امر يهم الشباب كثير (١) ويعرف بول وايز وقت الفراغ بأنه : (حصة الوقت من اليوم الذي لاتستعمله في مقابلة الاحتياجات الملحة او الضرورية لوجود الانسان) .

ويعرفه ناش بأنه : (الوقت الذي يتحرر فيه الفرد من الواجبات والانشطة الضرورية) في حين يعرفه هربرت ريد بأنه : (الوقت الذي ندخره الراحة والتأمل والترويح) ويطالب فينيكس بأن تزول التفرقة بين العمل ووقت الفراغ و بين الوظيفة والترويح ، مبينا بأن قضية الترويح ووقت الفراغ انما هي قضية حرية الفرد اكثر من كونها متعة له ووقت الفراغ اصبح الان سمة القرن العشرين ، ويرى وان كورين ان هذا العصر هو العصر الذهبي للترويح خاصة وان الاتجاه الحالي لكثير من الدول هو قصر ساعات العمل الاسبوعية على خمسة ايام فقط . والفراغ كالألعاب يساهم هو الآخر في تكوين شخصية الانسان ، فالفرد لا يتكون شخصيته من وقت العمل فحسب بل يساهم وقت الفراغ في تكوينها واتساعها ، بل ان وقت الفراغ قد يكون الاساس في الابداع والخلق الانساني . لان عملية الابداع والخلق لا يمكن ان تنشأ وتزعرع الا في جو الحرية واحترام المشاعر الانسانية ، اما في وقت العمل فان الابداع لا يمكن ان يجد له سبيلا مع انتفاء مبدأ الحرية لان طبيعة التأمل والتفكير لاتنسجم مع صيغ الاوامر الادارية الجامدة التي لاتقبل المناقشة .

ورغم ما ابدناه من جانب ايجابي لوقت الفراغ ، الا انه ينبغي أن نتذكر الجانب السلبي له ، وقد اوضح ذلك الامام الشافعي بقوله : (من لم يشغل نفسه بانتهق شغلها بالباطل) .

١ - د . جلال ثروت ، الظاهرة الاجرامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٧٢ ص ١٦٢ .

ومع الفراغ تبرز مسألة البطالة ، والبطانة نوعان ، بطالة حقيقية وبطانة مقنعة ، والمقصود بالثانية . عدم الاستغلال الاثمل لطاقة العمل وهي ليست موضوعنا ، اما الاولى فأنها نقيض العمل ، وعلاجها يكون بتوفير العمل نفسه ، ولن اتطرق الى هذه المسألة لسببين :

الاول : ان فرص العمل متوفرة للجميع وليس ادل على ذلك من حاجتنا الى استيراد الايدي العاملة من الخارج لتنفيذ الخطط التنموية الكبرى .

الثاني : تكفل قانون الرعاية الاجتماعية رقم ١٢٦ لسنة ١٩٨٠ (١) التي يمارسها الشباب مع هذه المفاهيم بكل دقة ، لان النشاطات الترويحية (٢) التي يمارسها الشباب للحصول على ما يحتاجه من متعة وراحة واستجمام وترويح للنفس لا تكون بالضرورة مفيدة فمنها ما يكون عقيم كقضاء الوقت في المقاهي والطرق العامة او في الامور التافهة ، وقد يكون النشاط الترويحي ضارا ، يدفع الشباب الى الانحراف ، ولقد شغلت اهتمام علماء الاجرام ممارسة الشباب للنشاطات الترويحية الضارة ، كتناول المسكرات ولعب القمار وتكثف الشباب في جماعات منعرفة . وفعلا تعد هذه النشاطات الثلاثة من الظواهر الاجرامية التي تقلق بال المنحصرين في المجتمعات المعاصرة .

- ١ - نصت المادة الثامنة منه على ان : (العمل حق تكفل الدولة توفيره لكل مواطن وهو واجب على كل قادر عليه ، وتستلزمه ضرورة المشاركة في بناء المجتمع وحمايته وتطويره وازدهاره . وتهدف الدولة الى تأمين الضمانات الاجتماعية للمواطنين كافة في -عائتي العجز والشيوخه) .
- ٢ - اطلقنا وصف النشاطات الترويحية تجاوزا ، لان مفهوم الترويح الصحيح هو تنظيم وقت الفراغ واستثماره فيما ينفع وليس اهداره وقضائه في ممارسة النشاطات الضارة والهييمة .

ان مسألة تعاطي الخمر أو تفتت في مجتمع ما تكون نظرا حقيقيا يهدد أمن ذلك المجتمع وسلامته مما يستوجب معالجة هذه الحالة المرضية الخطيرة قبل ان يستفعل امرها وتسرى عدواها لاسيما لدى الاحداث والشباب ، وينبغي ان تتم المعالجة باتباع سياسة وقائية وعلاجية تعتمد الاساليب العلمية منها ووضوحا وتأخذ بمعيار التوقع والاحتمال لنتائج الامور التي قد تحدث مستقبلا ، اذ ربما نزيد نسبة تفشي هذا الوباء بصورة مخيفة ، كما تسعى هذه السياسة الى تحقيق اهداف خطط التنمية الطموحة في اعادة الواقع الاجتماعي نحو وضعه الصحيح وتكوين الانسان الجديد الذي يساهم جديا في بناء المجتمع وتحقيق اسباب رقيه وسعادته . وفي تصوري فان هذه المشكلة الخطيرة والمعقدة التي تعاني جميع المجتمعات من آثارها السيئة لا يحلها الحظر المؤقت (١) وحتى الدائم (٢) لارتياح الحانات او المنتديات الليلية . لان طالما ان تناول المسكر من شأنه ان يولد عامل اجرامي لدى الشباب لا يهم ان يكون ذلك في محل عام او خاص او حتى في بيته يدفعه الى ارتكاب الجريمة . فالاولى ان يمنع الشباب اساسا من

- ١ - نصت الفقرة الثانية من المادة ٢٨٨ من قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ (المعدلة بموجب التعديل رقم ٢٩ لسنة ١٩٨٥) والتي نصت من تاريخ ٢٢ - ٤ - ١٩٨٥ على انه (كل صاحب حانة او مشرف او منتدي ليلي وكل مستخدم فيها سمح بدخول شخص لم يبلغ العادية واثنين من عمره لاي سبب كان ، يعاقب بالعس مدة لاتزيد على ستة اشهر او بغرامة لاتزيد على خمسين دينار او بكلتا العقوبتين) .
- ٢ - نصت المادة ١٠٦ من نفس القانون على انه : (احظر ارتياح الحانات هو منع التحكم عليه من تعاطي شراب المسكر في حانة او اي محل اخر معد لهذا الغرض المدة المقررة في الحكم .
- ب - اذا حكم على شخص اكثر من مرة لارتكابه جريمة المسكر او لارتكابه جنائية او جنحة اخرى وقعت أثناء سكره حاز للمعكمة وقت اصدار الحكم بالادانة ان تحظر عليه ارتياح الحانات وغيرها من محال شراب الخمر مدة لاتزيد على ثلاث سنوات .

تناول الخمر اجتهادنا للعامل الاجرامي ودرعا المخطورة الناجمة نتيجة تناوله
المسكر ، سيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان تطبيق فرار المتبع يكون اشد
بالمستحيل لانه من ذا الذي يتولى حسن تطبيقه ، الامر المتصور في هذه
الحالة هو ان يوكل الى الشخص نفسه تطبيق هذا المتبع تحت طائلة العقوبة
في حالة الاخلال بالمنع .

وقد ثبت علميا تحقق العلاقة الوثيقة بين المسكر والسلوك الاجرامي ، لان
تناول الخمر من العوامل المساعدة على اقتراف الجريمة ، إذ اثبتت الخبرة
الطبية ان تعاطي الكحول تضعف المقاومة الاخلاقية للميل الى الشر(١) ،
ويتضح ذلك في زيادة الاستماتة لدى الفرد اللانزق بسهولة والاقدام على
اقتراف الجريمة(٢) ، لان الخمر تبتد من المخاوف التي تحول بين الفرد
والجريمة فيكون به جريشا مندفعما نحو اقترافها . ان كمية قليلة من
الخمر تكفي لان تدفع الشخص الذي لديه ميل اجرامي لاقتراف اخطا
الجرائم(٣) ولذا يعتمد بعض الشباب فعلا الى تناول المسكر ليكتسب قدرا
من الشجاعة تمكثهم من ارتكاب اكثر الجرائم عنفا ووحشية الشهي يصعب
على الاتساق ان يقترفها ان كان واعيا ، لذا يمكن القول بناء على ما تقدم
ان الخمر عن الاسباب الرئيسية التي توجب الظاهرة الاجرامية لدى الشباب .

-
- (١) جورج ديول - التفتاير الرقائبة - تعريب موسى عبود ، بحث منشور
في مجلة القضاء والقانون المغربية - ابريل / مايو - ١٩٦٤ ، السنة
السايق ، العددان ٦٨/٦٩ - ص ٣٣٧
- (٢) د . مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام والعقاب ، المرجع السابق
ص ٢١٩/٢١٨
- (٣) د . فوزية عبد الستار ، مبادئ علم الاجرام وعقوبته العقاب ، المرجع
السابق ، ص ٤٧

ان توفير الفراغ كما سبق ان بينا هو ضروري لانبراء النشاط الانساني وادخال المتعة على الحياة الا انه بما ينبغي الاشارة اليه بهذا الصدد ان الوجه السلبي لوقت الفراغ يكون اكثر من الايجابي اذالم نحسن التعامل معه جيدا لذا مما يؤسف له ان الاحساس بمسؤولية هذا الوقت قد وصل الى ادنى مستوى بل حتى على حساب الواجبات الاساسية والضرورية فقد استأثر التلفزيون بأغلب وقت الفراغ ، لانه دخل كل بيت بدون استئذان واصبح قادرا على ان يوجه الشباب كما يريد خيرا ام شرا خاصة ان اغلب شبابنا قد اصابوا بداء الادمان على مجالسة التلفزيون ، واقول . مجالسة لانه اصبح بمثابة الصديق الوفي الذى يلزمه من ابتدائه الى منتهاه . لذا فانه يتأثر بمغرياته نحو الاسواء وكان يمكن ان يتأثر بحسناته نحو افضل ، اذ الافلام المتدنية سلوكيا وما تظهره بعض المسلسلات من مشاهد ومواقف تجدلها انتعير كالكسب الحرام والربح الفاحش والخيانة الزوجية والاعتداء على حرمات الاخرين وحقوقهم ، وغير ذلك من البرامج غير الهادفة التي من شأنها اثاره الغرائز الفطرية والنزوات - المتأصلة في نفس الانسان ، كغريزة حب المال والغريزة الجنسية فيهيح الشباب بسبب تلك الاثارة ولا يجد من يهذب من نزواته او يهدىء من ثوره غرائزه ، وبهذا تقترب الجريمة ، لان وازع الفضيلة ضعف في نفسه ، وانعدم عنده الوازع الاخلاقي حتى يالف الجرائم الاخلاقية ويستحسن ماتستقيبه حتى الحيوانات بالتجربة(1) اذ الخيانة الزوجية تظهرها الافلام وهي مرتدية ثوب انتعير ، وهو امر لاتقع جريمته على اثنين فحسب بل يتعدى اثره الى كل المجتمع فكيف يأمن المرء على عرضه في ظل الفوضى الاخلاقية

(1) دلت التجربة التي قام بها رئيس جمعية طيور الحب في انولايات المتحدة الامريكية ان انشى طير الحب لاتنظر الى غير ذكرها بل لن تقرب غيره حتى بعد موته .

ومذة الجريمة البشعة تدر أثارها سيئات على مقترفيها حتى بعد موتهم
قال تعالى : ((انا نحن نحسي الموتى ونكتب ما قدموا وأثارهم وكتب شيء
احصيناه في امام مبين))(١) *

نريد من وسائل الاعلام عموما ومن التلفزيون خاصة ان يقوى شعور
الاعتداد بالنفس لدى الشباب ويوضح له مساوئ الانحراف عن القيم
الاخلاقية الفاضلة ، اذ ارتفاع شأن الذات وقيمة الاعتداد بالنفس مرتبط
بأرتفاع الرقي الاخلاقي له ، وان سقوطه في الرذيلة هو سقوط اللذات ،
لذا يمكن تشجيع الشاب عن طريق شحن همهم وشده اهتمامه ببطولات
الشباب ذوي الصفات الاخلاقية المثالية ليتأثر بها ويقلدها ويتحلى بصفاتنا
وينهج نهجها *

وقد اكدت الاحصائيات الجنائية انفرنسية الصلة بين تناول الخمصر
واقتراف الجريمة ، حيث بينت بأن السكارى يحتلون ٧٥٪ من مرتكبي
جرائم القتل و ٦١/٥٪ من مرتكبي جرائم الاعتداء على الاشخاص و ٦٥٪
من مرتكبي الجرائم الاخلاقية و ٤٥٪ من مرتكبي جرائم الحريق و ٨٠٪ من
المشردين والمتسولين و ٦٠٪ من مرتكبي حوادث المرور (٢) *

وتساهم البيئة القروية بما فيها من اصدقاء سوء ونشاطات ترويحية
ضارة في تكوين العصابات الاجرامية لذا فأنها سببت قلقا كبيرا لدى بعض
علماء الاجرام باعتبارها ظاهرة اجتماعية خطيرة لجملة اسباب اهمها :
(١) - تزداد خطورة وانتشارا في كل يوم بحيث فرضت نفسها كمشكلة
اجتماعية حالة لا يمكن اغفالها بحال من الاحوال *

(١) سورة يس ، اية ١٢ *

(٢) د محمد خلف ، المرجع السابق - ص ٢٢٠

وضاعف من خطورة هذه الظاهرة التسهيلات التي تمنحها الحياة
العصرية للشباب من جانب والتراخي في مراجعتها من جانب المختصين من
جانب آخر .

٢ - تنبيه بعواقب وخيمة نظرا لان جماعات الشباب المراهق غالبا ما ينتهي
بها الامر الى الانحراف الاجرامي .

٣ - تصيب الانسان في اخطر مرحلة من مراحل العمر وهي مرحلة
المراهقة (١) . علما بان الشخصيات المثالية للشباب حيث يكون ليست
متجسدة في عالم الخيال . بل هي موجودة فعلا لان الله تعالى خلق
الانسان في احسن تقويم ، وهذا يدل على ان الانسان يتمتع بالاستعداد
والقدرة على المثالية في الحياة ، ولهذا نجد في القرآن قصص
لشخصيات بطولية اتسمت بالصفات الاخلاقية العليا ، من هذه
الشخصيات مثلا شخصية سيدنا يوسف عليه السلام الذي ضحي بكل
المصالح المادية من اجل الفضيلة ، وتغلب على دوافع الغريزة الجنسية
في سبيل انخفاض على شرفه ونفته . حيث وجد ان الطرد من قصر
الملك الذي يعيش فيه مرهنا سعيدا والدخول في السجن رغم مرارته
وقسوته يعتقد انه المتعة الروحية ، وهذه بالنسبة اليه افضل من القيام
في القصر مع ارتكاب الفاحشة مع امرأة الملك ، فالعذاب والسجن في
سبيل الشرف اعلى من السقوط في الرذيلة (٢) .

١ - د . جلال ثروت ... المرجع السابق - ص ١٥٠
٢ - د . مقداد بالون ... المرجع السابق - ٤٨٤ و ٤٨٥

المبحث الخامس

(الهجرة واثرها في السلوك الاجرامسي)

منذ ان خلق الله الانسان جعله يعيش في اسره ، وهي في حقيقتها اساس ونواة المجتمع الانساني ، وعلى هذا تنوعت حياته الاجتماعية بدعوة وريفا وتعضوا وقد تأثر علماء الاجتماع بالتحقيق المذكورة انفا ، اذا اشاروا الى ان الحياة البدوية اصل الحياة المدنية ، قال ابن خلدون : - وما يشهد لنا البدو اصل للحضر ومتقدم عليه انا اذا قمتنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو الذين بتناحية ذلك المصير وعملوا الى الدعوة والترغيب الذي في الحضر وذلك يدل على ان احوال الحضارة ناشئة عن احوال البدوة وانها اصل لها فتفهمه ، ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فربحي اعظم من حي وقبيلة ومدينة اكثر عمرا من مدينة فقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار واصل لها بما ان وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التي هي متأخرة عن عوائد الضرورة المباشية (١) .

ولما تأسست الدولة في المدينة المنورة بهجرة المسلمين من مكة كانت الدولة بحاجة الى السكان بعدما تكاملت عناصر الدولة ، لهذا حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم البدو على الهجرة الى المدينة ، لهذا راي المؤمنون في الهجرة الى المدينة مهيئا لا يتخيب روائه يسلم يلويسون من يرتد الى عقبيه ويستعيرون من الرجوع الى حياة البدو لانهم ياعوا انفسهم واموالهم لله حسبه فلهجرة فرخيت اول الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه ويظاهرونه على اسره ويحرمه ، وقد دعى المصطفى

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

هجرتهم التي ابتدأوا بها وهو باب الرجوع على العقاب في السعي الى وجه
لاصحابه ان يوقفهم للالزمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا من
من الوجوه ، وقيل ان ذلك كان خاصا بما قبل الفتح حين كانت الحاجة
داعية الى الهجرة لقلية المسلمين . واما بعد الفتح وحين كثر المسلمون
واعتزوا وتكفل الله بنبيه بالعصمة من الناس فان الهجرة ساقطة حينئذ
القول صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ، والكل مجتمعون انها بعد
الوفاء ساقطة لان الصحابة افترقوا من يومئذ في الافاق وانتشروا ولم يسبق
الا فضل السكنى بالمدينة وهو هجرة ، وعلى كل حال فليس هنا دليل على
ذم البداوة التي عبر عنه بحالسة التعرب لان مشروعية الهجرة انما كانت
للمناصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته للمدعة البداوة ، فقد تبين
ان اهل انبؤ اقرب الى الخير من اهل الحضرة والله يحب المتقين (١) .

والهجرة كما بينا ليست شيئا جديدا ، مادام ان بني البشر دائمى
الحركة والتنقل ، باحثين عن حياة افضل اذ ماكدت حياتهم المآسى
والنكوارث ، لذا فان اهتمام الباحثين لا ينصب على التغيرات المتعلقة بهذه
الظاهرة من حيث حجمها وحركتها وانما ينصب على المشاكل الناجمة عنها
كالهجرة غير المشروعة وهجرة العقول وهجرة الايدى العاملة والتحركات
غير المشروعة للاجانب ، وقد اثار هذه المشاكل كثير من البحوث
والدراسات في المؤتمرات - المحلية والعربية والدولية ، وقد توقع الاستاذ
كولدستين ان تصبح الهجرة اهم فرع من فروع الديموغرافيا في اربع
الاخير من هذا القرن ، واوصى بضرورة اجراء مسح علمي خاص بالهجرة
واخر خاص بمسح الخصوبة العالمية ، وتختلف الهجرة عن الخصوبة
والوفيات في امور عديدة من اهمها : -

(١) انظر مقدمة ابن خلدون - المرجع السابق ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ .

١ - الولادة والوفاة كالتامهما عملية بيولوجية واضحة ومتماثلة ومنفردة
بمعنى انها قد تقع عدة مرات كما في حالة المواليد او انها تقع لمرة
واحدة كالموت ولكن لاحدود للهجرة .

٢ - ان المواليد والوفيات من الاحداث التي يتساوى بها كل البشر ، امسا
الهجرة فأنها - ليست حدثا محتوما لكل الناس .

وقد عرف الاستاذ ايفرت ألي الهجرة بأنها : (التغير الدائم او شبيهه
الدائم لمكان اقامة وليست هناك تقييدات على المسافة او كونها حرة او
اجبارية ولا تفريق بين الهجرة الخارجية او الداخيلة) (٢) .

ورغم ان الهجرة قديمة قدم التاريخ الا ان المعلومات الدقيقة عن حجمها
وحركتها لم تتوفر الا مؤخرا ، اما اسبابها فهي متعددة ذكر بعضها القران
الكريم ، قال تعالى : (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
كثيرا وسعه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيفا) (٣) .

ذكر المفسر الرازي في تفسير هذه الاية : واعلم ان المانع امران الاول : ان
يكون له في وطنه نوع راحة ورفاهية فيقول لو فارقت والوطن وقعت في
الشدّة والمشقة وضيق العيش ، فأجاب الله عنه بقوله (ومن يهاجر في سبيل
الله يجد في ارض مراغما كثيرا وسعه) ، يقال : راغمت الرجل اذا فعلت ما
يكرمه الرجل ، وحصلت هذه المراغمة بسبب انهم فارقوا وخرجوا عن
ديارهم وعندى فيه وجه اخر : وهو ان يكون المعنى : ومن يهاجر في سبيل

(٢) انظر الهجرة الدولية ماضيها وحاضرها ومستقبلها تأليف ايون ف
بوفير ، مع هنرى س . شرايول وهارى و . هندرسون ، ترجمة د .
فوزي السهاونيه ، المطبعة الاردنية عمان ، (١٩٨٢) ، الصفحات ،
١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٣) سورة النساء ، آية ١٠٠

اللّه الى بلد اخر يجد في ارض ذلك البلد من الخير والتعمية ما يكون مسببا لرغم انفس اعدائه الذين كانوا معه في بلده الاصلية وذلك من فسارق وذهب الى بلدة اجنبية فاذا استقام أمره في تلك البلدة الاجنبية ووصل ذلك الخير الى اهل بلده خجلوا من سوء معاملتهم معه ، ورغم انوفهم بسبب ذلك ، والحاصل كانه ، قيل ياايها الانسان اذ كنت انما تكسره الهجرة عن وطنك خوفا من ان تقع في المشقة والمحنة في السفر فلاتخف فان الله تعالى يعطيك من النعم الجلييلة والمراتب العظيمة في مهاجرتك ما يصير سببا لرغم انوف اعدائك ، ويكون سببا لسعة عيشك ، وانما قدم في الاية ذكر رغم الأعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج الانسان الذي يهاجر عن امله وينده بسبب شدة ظلمهم عليه بدولته من حيث انها تصير سببا لرغم انوف الأعداء ، اشد من ابتهاجه بتلك الدولة من حيث انها صارت سببا لسعة العيش عليه .

واما المانع الثاني:

من الاقدام على المهاجرة فهو ان الانسان يقول : ان خرجت عن بلدي في طلب هذا الغرض ، فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه ، فالاولى ان الاضيق الرفاهية الحاضرة بسبب طلب شيء ربما اصل اليه وربما لااصل اليه ، فأجاب الله تعالى عنه بقوله : (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله) والمعنى ظاهر (١) .

كما ذكر الباحثون اسبابا اخرى للهجرة من اهمها : اتساع نطاق التجارة بين الامم ، واثرا الاكتشافات في تيسير امر الهجرة ، ومساعدة السفن التجارية في تسهيل مهمة المهاجرين ، وهناك اشكال اخرى من الهجرة

(١) انظر تفسير القمى الرازي ، المراجع السابق ، ج ١١ ص ١٤ و ١٥ .

تمثلت في اجبار السكان الاصليين على النزوح وهي ما تسمى بالهجرة القسرية ، وجرى مثل ذلك في فلسطين حيث شردت العمالة الصهيونية العنصرية أكثر من مليون فلسطيني من ديارهم واجبرتهم على ترك وطنهم والعيش في المخيمات كالأجانب . وظاهرة الهجرة ليست غريبة على وطننا العربي ، إذ عرف هذا الوطن ظاهرة الهجرة الأجنبية منذ اقدم العصور ، ولسنا بصدد استعراض تاريخ هذه الهجرة واسبابها وحجمها واهدافها لأن هذا ليس من صميم بحثنا ، إلا ان الذي يهتمنا بهذا الصدد هو ظاهرة الهجرة الأجنبية التي تعرضت لها بعض الاقطار العربية لاسيما اقطار الخليج العربي والتي اثارت قلق الحكومات العربية ، فكانت من المواضع التي نوقشت ضمن المؤتمر الثالث لوزراء الداخلية العرب المنعقد في المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٠ ، باعتبارها من المشاكل الأمنية الماصرة التي تهدد امن الوطن العربي ، وبما ان الامن العربي ككل لا يتجزأ فإن ما يهدد امن قطر وسين يهدد امن الاقطار العربية جمعاء . وبما ان الهجرة غير المشروعة والعمالة الأجنبية تمثل أبرز صور الهجرة التي تعرضت لها اقطار الخليج العربي .

لذا لنخص بعض الباحثين (١) الآثار السلبية الناجمة عنها وهي :

أ - ان الهجرة الموقدة غير المخططة تؤدي الى ايجاد قوى عاملة كبيرة احتياجات - الصناعة والتجارة والزراعة والخدمات مما يترتب عليه ان يواجه المجتمع بعائلة من البطالة ظاهرة الا حتمية الاسر الذي يترتب عليه تعقيد في مسائل الاسكان والتعليم والصحة والخدمات الاجتماعية .

١ - د - محمد قناح حسن - دور المنظمة العربية للتدافع الاجتماعي ضد الهجرة في مكافحة الجريمة - رسالة دكتوراه ١٩٨٥ من ٢٦٠ .

ب - وحيث للعمالة الاجنبية الوافدة عاداتها وتقاليدها التي تختلف عن عادات وتقاليد السكان الاصليين الامر الذي يؤدي الى النقص في شتى مجالات التصرف والعمل ، كما يؤدي الى نوع من التكتلات لتوفير نمط من الحياة لا يختلف كثيرا عن الحياة التي فيها المساوون في بلدانهم .

ج - تؤكد الكثير من الدراسات والاحصاءات وجود علاقة بين ازدياد الهجرة الاجنبية وارتفاع معدلات الجريمة وخاصة في الاقطار النفطية وشبه النفطية فالمتطور الحضارى الذى تشهده هذه الاقطار ومشاريع التنمية التي يجرى تنفيذها ساهمت في احداث تغيرات اجتماعية سريعة رافقتها دخول قيم وانماط سلوكية غريبة بسبب العمالة الاجنبية الوافدة تختلف عن القيم والانماط السلوكية السائدة في تلك الاقطار اذت الى احداث خلل في البيئة الاجتماعية الامر الذى يدفع الى الجريمة والانحراف .

د - ان التغييرات الاجتماعية نتيجة الانتقال من قيم وانماط سلوكية معينة الى اخرى مختلفة يترتب عليها تعرض العمال الوافدين الى صراعات اجتماعية حادة تبدو احدى مظاهرها في الجريمة والانحراف .

ومن الظواهر التي تجلت في الوطن العربي سرعة تغيير المجتمع من مجتمع ريفي وبدوي الى مجتمع مدني متحضر ، لاسيما اقطار الخليج العربي ، ومما لا ريب فيه ان الانسان لا يستطيع ان يتخلى عن كل ما جبل عليه بمثل السرعة التي شهدها المجتمع العربي في الانتقال الى مرحلة التحضر ، ولهذا نرى الحضارة توشك ان تكون مبانغة في القشور دون الملباب بدليل افتقار المجتمع العربي للمتطور التقني وميوله اكثر من ميل اصحاب الحضارة الى اللهو بشتى صورة ، اذ المجتمعات العالمية لم تعطها جانبا من حياتها في بداية تقدمها وتحضرها بينما نجد المجتمع العربي

اعطاهما اكثر مما يجب بحجة انها ظاهرة حضارية . والذي نراه ان هذا لا يعد تحضرا اذا اثر عنى القيم والمادات الاصيلة لهذا المجتمع . اذ يجب بالضرورة ان تنهج مسيرة الحضارة الاجتماعية على قدمين قدم العلم وقدم الخلق والا فان المجتمع في جاهلية اذا فقد احدى هاتين القدمين .

ونتيجة بهذا التغيير السريع في بنية المجتمع العربي فقد ازدادت الكثافة السكانية لبعض المدن بشكل كبير . اذ تشير الاحصائيات الى ان النمو الحضري في الاقطار العربية قد ارتفعت بين ٣ و ٤٥٪ سنويا في العقدين الاخيرين من هذا القرن في حين اذ هذه الزيادة لم تصل الى ٢٪ خلال الثلاثينات والاربعينات ، واذا استمرت نسبة الزيادة على هذا النحو فان سكان الوطن العربي سيصبحون ٢٥٠ مليون نسمة سنة ٢٠٠٠ ، منهم مايعادل ٧٠٪ يسكنون المدن اى حوالي ١٧٥ مليون نسمة (١) ، وهذه نسبة مرتفعة تدل على ان المجتمع العربي قد انتقل بسرعة لاتتناسب مع مستوى التطور الحضارى الذى وصل اليه وهذه الظاهرة لها جوانب ايجابية وجوانب سلبية (٢) ، اما الجوانب السلبية فيمكن اجتنائها عن طريق التمسك بالقيم والتقاليد الاصيلة التي عرف المجتمع العربي بها

قال تعالى مخاطبا العرب :

(كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فاذا ازلنا الجوانب السلبية حافظنا على خيريه الامة التي فطرت عليها بنص القرآن التكريم ، اما اذا لم نستطع انقاذ الامة من هذه المساوىء فان خسارتنا اكبر من الربح الذى يدره التقدم الحضارى .

- ١ - د . حيدر كموثة . العلاقة بين ظاهرة التحضر والجريمة ، بحث مقدم الى الحلقة الدراسية الخاصة بالجريمة وتنوعات المستقبل ، كانون الاول ١٩٨٧ ، بغداد ، ص ٢ .
 - ٢ - د . مصطفى حجازى . الاحداث الجانحون ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٣ .
- ٤٤ .

ومن الجوانب السلبية التي ينبغي على المجتمع العربي ان يهتم بها :
 بناء السكن بأسلوب يخلو من التخطيط المنظم إذ قد تبتنى المساكن دون
 تهيئة مستلزماتها الضرورية التي تتطلبها الحياة المعاصرة ، وقد اثر ذلك
 على كثير من الاراضي الزراعية التي امتدت الابنية والمساكن اليها ، وكان
 يجب على المخططين ان يشيدوا المدن الجديدة في الاراضي التي لاتصلح
 للزراعة ويشيدون المصانع والشاريع فيها علما بان هذا الجانب السلبي
 نراه بجلية في كثير عواصم ومدن الدول العربية لاسيما القاهرة وبغداد
 وعمان ولهذا بلغت الكثافة السكانية فيها، ذروتها ويوضح الجدول رقم (١)
 توقعات النمو السكاني لمدينة بغداد بين عام ١٩٨٠ - ٢٠٠٠ .

جدول رقم (١)

النسبة للنمو	١٩٨٠-١٩٨٥	١٩٩٠-١٩٩٥	١٩٩٥-٢٠٠٠
النمو الطبيعي	%٣	%٣	%٣
الهجرة	%٣٢	%١٢	%١٢
السكاني السنوي	%٤٦	%٤٢	%٤٢

لذا يكون عدد سكان مدينة بغداد حسب توقعات النمو كمايلي :

١ - سنة ١٩٩٠ : ٥٠٠٠٠٠ و ٢٩٤٠٠

٢ - سنة ٢٠٠٠ : ٧٩٩٠٠٠ و ٢٠٠٠

(١) د - حيدر كسوفه ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

ومن المظاهر السلبية التي اشارت اليها الدراسة التي اجراها احد ألباحثين أن ٢٥ مليون شخص خارج قدرة استيعاب مدينة القاهرة اي لاستطيع تقديم الخدمات الضرورية لهم ، و٧٥٠ ألف شخص في بغداد .

ومن اثار التحضر السريع ايضا ضعف الانتاج الزراعي بسبب اتجاه الفلاحين الى المدن ليكونوا عمال غير ماهرين غالبا ، ونزد الطاقة الفلاحية الفضية الى ضعف الانتاج الزراعي ينجم ازبائك اقتصادي بسبب عدم الاكتفاء الذاتي ثم اعاملون غير الماهرين قد لايجدون عملا متوصلا في المدينة وبهذا تتجلى مشكلة الفقر والبطالة وماينتج عنها من مشاكل اجتماعية واجرامية . اذ غالبا مايفضي جوع البطون الى عمى البصيرة والعيون نهذا تكثر جرائم السرقات والنصب والاحتيال والتزوير والجرائم الاخلاقية ، وقد دل النواقع الاجتماعي على تفشي ظاهرة التشرذم في كثير من المدن المتحضرة كما تجلت ظاهرة التفكك الاسري بالطلاق او التفريق او الهجرة ، وخروج المرأة للعمل ، وانهايار السلطة الابوية ، وتراخت الروابط الاسرية وحيث ان الناس يتجهون اتجاه مادي في المدن المتحضرة فان علاقتهم الاجتماعية اقل ترابطا واطرف قوة من المجتمعات الريفية .

لذا يمكن القول ان التطور الاجتماعي والحضاري يتاثر بكثافة السكان وتوزيعهم . اذ ان تطور الحضارة يتوقف على بلوغ الناس درجة معينة من التركيز السكاني ونتيجة للدراسة التي اجراها العالم كليفورد شو الاستاذ في جامعة شيكاغو أتضح ان ٦٠ ٪ من الاحداث الجانحين يأتون من احياء تتميز بالانهيار المعنوي والتفكك الخلقي . وبينت هذه الدراسة ان الاحياء ماتحت الكادحة في المدن الكبرى وكذلك الاحياء الهامشية اجتماعيا (مدن الصفيح والعش) تكون مركز تصدير الانحراف وسوء التكيف

الاجتماعي ، اذ المفروض ان سكان هذه المناطق سوف يكون اجتماعيا ، ليسم تاريخ طويل من البؤس والحرمان المادى وانشقايسى والمعنوى : تكديس سكانى شديد في اماكن ضيقة المساكن قذرة وغير صالحة للسكن حيا وانتشار البطالة ، والاطفال مهددون صحيا ونفسيا ودراسيا : وهذه الاحياء تكون افضل يؤر للجريمة والدعارة وانعصابات الاجرامية (١) .

وبما ان هذا التركيز يتخذ صورة تجمع الناس في العواصم والمدن لذا كان للاجرام خصائص تميزه عن الاجرام في الريف (٢) : لهذا فان التطور الاجتماعى والحضارى قد تميز بصفة عامة بزيادة في نسبة الانحراف والاجرام . فتبلور الافكار المتصلة بالسلوك انسوى والسلوك المنحرف ظهرت التقاليد القانونية والاجتماعية التي تتجم عن مخالفتها صور عديدة من الجرائم والردائيل .

ومن اعمامل التي تؤدى الى ارتفاع نسبة الجرائم في المدن الكبيرة :

١) التقدم الحضارى الذى ضاعف من الحاجات والرغبات ، وما يتبعه من مجهودات تبذل في سبيل اشباع هذه الحاجات والرغبات . وهذا يؤدى في كثير من الاحيان الى سلوك اجرامى . لان التطور الحضارى يرافقه زيادة في القوانين التي تحكم السلوك الانسانى . وهذه الزيادة تقابلها زيادة الفرص لمخالفتها وتبعاً لذلك تزداد نسبة الجرائم المرتكبة .

٢) كثافة السكان وتركزهم في المدينة يزيد من فرص التقليد والمحاكاة في اقتراف الجرائم بشكل تفوق بدرجة كبيرة نسبته في الاحياء الريفية . ومن ابرزها القمار وتعاطي الخمر والدعارة والرذيلة وغير ذلك من الانحرافات الاخلاقية .

١ - د . مصطفى حجازى : الاحداث الجانحون . المرجع السابق - ص ٩٥ .
٢ - د . سمير نعيم احمد : الدراسة العلمية لسلوك الاجرامى . القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م . ص ١٨٥ .

٣ (الحياة الاجتماعية تميل الى التعقيد في المدينة اكثر منها في الريف ،
يؤدى الى زيادة الجرائم ، فالبيئة الحضرية المعقدة من شأنها ان تدفع
الفرد الى التردى في مهاوى الجريمة . وهذه الحقيقة ملموسة بصفة
خاصة في المدن الكبيرة حيث تكون بيئتها الاجتماعية سببا في اقتراف
كثير من الجرائم بسبب المغريات ووسائل اللهو والترفيه مما يجد
معها الافراد صعوبة في التكيف مع بيئتها المعقدة فيصبح الفرد اكثر
عرضة للانزلاق والانحراف . خاصة ان اغلبية المهاجرين الى المدينة
هم من الشباب الذكور ، ومرحلة الشباب من اكثر مراحل العمر
حيوية ونشاطا وطموحا ، وتمثل بداية للاستقرار العاطفي والمكاني
والهنئي ، وعلى عكس ذلك البيئة الريفية فانها تميل الى البساطة
مما يسهل على الفرد التكيف مع بيئتها .

اذ لا يواجه هذا الفرد مشاكل صعبة يستعصيه كما لا يتعرض لمغريات
تدفعه السلوك الاجرامسي .

٤ (ان التقدم العلمي والحضارى في المدن سهل للمجرم استخدام الاساليب
الفنية والعلمية . لاسيما المجرم الذى يتصف بالذكاء والتأبيلية اذا
استعمل هذه الوسائل في مباشرة نشاطه الاجرامسي دون ان يكتشف
اسره .

٥ (ان ازدياد التجمعات الانسانية في المدن وما ينجم عنه من ازدحام
سكاني من شأنه ان يهيء الاقامة المناسبة للمجرم اكثر من الريف .
لان الفرد يمكنه ان يستقر في المدينة دون ان يقيم علاقات مع جيرانه
مما يسهل عليه التحرك بحرية دون ان يلفت نظر احد ، اذ يجد في
المدينة المحيط الاجتماعي الذى يلبي رغباته غير المشروعة ، لذا
يفضل المجرمون الاقامة في المدن على الاقامة في الريف ، اذ في الريف يكون

الشخص بعروفا بالنسبة لغالبية الناس . وفي مجتمع كهذا فيه من القيم والتقاليد يصعب عليه ان يعيش دون ان يقيم علاقات مع جيرانه وابناء منطقتة ، وهذا يعني وجود اكثر من شخص يراقبه ويلاحظه ويهتم بالاشراف عليه ، وهذه الرقابة تمثل افضل وسيلة تحول دون اقترافه
الجريمة (١) .

اما اثار الهجرة على المدينة المتسمة بالتقدم الحضارى في العالم الغربي لاسيما الولايات المتحدة الامريكية . فقد تجلت بصورة تختلف عما هي في الوطن العربي : لان طبيعة المهاجرين الى هذه الدوة اما ريفيين او عمال غير ماهرين : ونحن نختلف مع الاستاذين سذرلاند وكريسي لان عقول المهاجرين هي التي ساهمت في بناء الحضارة المعاصرة في امريكا ، بينما ما ذهب اليه هذان الباحثان : ان اثار الهجرة الى الولايات المتحدة كانت سببيا « غالبا » اذا في خلال السنوات التي كانت فيها الهجرة قد وصلت الى الذروة قال الكثيرون بأن الهجرة هي ليست الاساس للجريمة . وتأتي العلاقة بين الهجرة والجريمة في الولايات المتحدة في مقدمة المشكلات الهامة بالنسبة لنظرية الاجرام والسياسات التشريعية . ولم تحدد الكيفية ولا الطريقة التي تنتج بها الهجرة الجريمة ولكن قيل ما يأتي : -

- ١ - يأتي المهاجرون من حثالة جنس البلد الذي ينزحون عنه ، او ان هناك نسبة من حثالة الجنس تكثر في المهاجرين عنها بين البيض الوطنيين .
- ٢ - ان المهاجرين لم يألفوا مجموعات القوانين الاسريكية ، ومن ثم فإن حالتهم الاجتماعية لاتعتبر مستقرة .

١ - د . عمر السعيد رمضان ، دروس في عام الاجرام : محاضرات لطلبة دبلوم القانون الجنائي ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ - ١٧٥ مسجوبة بالرونيتو . ص ٥٨ - ٦٢ .

٢ - المهاجرون غالباً يكونون من الفقراء ، وطرفا الفقير والحرمان يؤديان الى عدم الاستقرار الشخصي بمختلف انواعه .

٤ - ان المهاجرون ينتقلون بدرجة كبيرة ، وهم لذلك يشعرون عن تأثير القيود والردع التي للمجماعات الاساسية .

ويحتمل ان يكون للهجرة تأثير في السلوك الاجرامي للمواطنين الامريكيين وكما يلي :

١ - تزيد الهجرة من الخلاف بين نماذج السلوك ، فاصبح المسكان كثير من الثقافات والمقاييس وطرق السلوك ، وعلى عكس المدن الاوربية فان مشكلة الضغط في المدن الامريكية صعبة جدا .

٢ - دفعت الهجرة الى التخصر وسكني المدن فزاد معدل نسبة الجريمة فيها عن الريف .

٣ - قد تبعد الهجرة المواطنين عن كثير من الوظائف اي تعزلهم عن الثقافة التقليدية لاحترام القانون . وبينما لا يرتكب المولودون في الخمس اجزائهم اكثر مما يرتكب مواليد البلاد من نفس السن والجنس ، فان هؤلاء الاخيرين يحتمل ان يرتكبوا جرائم اكثر او ان المهاجرين لهم يقيموا بينهم (١) .

ان هذا التصور المتطرف للهجرة يعكس لنا ميلان الباحثين الامريكيين في اظهار اثار الهجرة اتسالية . وهذا شأن معظم الدراسات الامريكية ، ان ترجع سبب السلوك الاجرامي الى عامدين اساسيين هما : المهاجرين الاجانب من الاقليات المنصرية والمناطق المتخلفة باعتبارها وضبط بسبب

١ - ادوين هـ - سدرلاند دوتالدر كريسي ، مبادئ علم الاجرام)
نيويورك ١٩٦٨ . ص ١٨٧ - ١٩١ .

عائبة من الجريمة ، والجناح والادمان على المسكرات والمخدرات والبنشاء
والانتحار .

وقد عبر مدلارند وكريسي عن العامل الاول بمصطلح (حشالة جنس
البلد انذى ينوحون عنه) في حين عبر هنتر عن العامل الثاني بمصطلح
(حضارة الفجر) ، اذ لاحظ ان مناطق مختلفة تضم ٢٠٪ من سكان احدى
المدن الامريكية اظهرت ٥٠٪ من حالات انقواء القبض و ٤٥٪ من تقارير
وقوع الجرائم و ٥٥٪ من تقارير الجناح ، لان عزلة سكان المناطق المختلفة
او عدم وعيهم بمشكلاتهم من شأنه ان يعكس اتجاهات عدوانية ازاء
الضحايا بالاضافة الى عوامل عديدة من المبررات الذاتية من ابرزها
الشعور بالفشل والحزن . كما اشار كوهن الى ارتفاع نسبة الجنوح في
المناطق المتخلفة وان الفرد في هذه المناطق يقدم على هذا السلوك باعتباره
حلا لمشاكله ، اذا ان استخدام الوسائل غير المشروعة واقتراف السلوك
الاجرامي يوفر الراحة للاحداث والشباب وتخفيف التوتر النفسي لديهم
بسبب عجزهم عن استخدام الوسائل القانونية مما يؤدي الى ظهور حضارة
الجنساح (١) .

١ - كريم محمد حمزة ، الهجرة والجريمة - الملاحظات نقدية - المنظمة
العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة ، المكتب العربي الكافية
الجريمة ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ١٦ و ١٧ .

وقد لفتي تصوراتنا انتعاشاً الباحثين الأمريكيين في تشخيص سبب السلوك
الاجرامي قبولاً لدى بعض النصفين ، إذ قرر كلينارد حق الزيادة للملازمة
ابن خلدون في مقارنته بين سلوك الريف والحضر بقوله : (ان اهل البدو
واقرب الى العير من اهل الحضر) . (١) ، في معرض اشارته الى ان البدو هم
اصل الحضرة ، وانه لم يقم لديه دليل على ذم البدوة .

وقد اوضح كلينارد الفرق بين المجتمع الحضري والمجتمع الريفي
بقوله : ان المجتمع الحضري يتصف بعدم التجانس ، وهذا يقتضي وجود
ثقافة او حضارة اجرامية لانتاج نمط اجرامي يتصف بوسائل قنينة
اجرامية ويتميز فيه المجرم بتاريخ اجرامي في حين ان المجرم في المجتمع
الريفي او في المجتمع المتبدل الحضري ليس له اي نمط اجرامي بل يمكن
القول ان المجرم الريفي لا يدرك انه مجرم .

كما قرر وينبرج ان الجرائم التي تقع على الاشخاص كجرائم القتل
والايقاع موجودة في الريف وفي الحضرة على حد سواء ، الا ان الجرائم
الافرى تتضاعف مرات في المدينة عنها في الريف ، ويوضح الجدول رقم
(٢) الفرق بين نسب الجرائم المقترفة في الريف والحضر عام ١٩٦٦ في
الولايات المتحدة الامريكية كما ذكرها كلينارد (٢) .

١ - انظر مقدمة ابن خلدون ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ .
٢ - كريم محمد حمزة ، المرجع السابق ، ص ٢٤ و ٢٥ .

جدول رقم (٢)

المدينة	الريف	نوع الجريمة
٦	٤٧	القتل
١٤٢	٨٩	السلب مع استخدام العنف
١١٥	١٠	السرقية
٤٢٨	٦٠٩	الإغتصاب الخطير
٥٧٣٧	١٨٨٢	السطو
٣٩٤٣	٦٠٧	سرقة السيارات

ان هذا التصور المتطرف للهجرة والملاقة بين الريف والمدينة الذي انتهى اليه علم الاجتماع المعاصر مستمد من الدراسات الغربية والامريكية ، اذ ان دراسة المدن والتحضر قد تحدثت جدا بالظواهر الحضورية الاوربية والامريكية ، لذا فان التعميم والاطلاق الذي امتازت به هذه الدراسات ، اضافة الى القصور بالتصور بالتصور قد حجب عنها الكثير من الجوانب المضيئة ، لان تسميتها لهذه الظواهر على اساس انها عالمية هي في الواقع خاطئة لاختلاف الظروف والامس التي بنيت عليها ، لان هؤلاء الباحثين قد بالغوا كما بينا في اظهار آثار الهجرة على السلوك ، اذ بينوا ان الملاقة بين الهجرة والجريمة علاقة حتمية ، وان حالة الترابط هذه تمنى ان المهاجر لا يند ان يقتترف الجريمة ، اي ان المجرم لا يند ان يكون مهاجرا .

وهذا التصور ليس غريبا اذا اتضح لدينا ان معظم الدراسات الامريكية تركز تفسيرها للسلوك الاجرامي على الصراع الحضوري بين المهاجرين الاجانب (الجماعات الاقلية) وبين السكان الاصليين الاغلبية .

كما ان بعض الباحثين الامريكيين قد بالغوا في اظهار درجة التفكك
والعلمانية في المدن الامريكية ، مما حدى بالاستاذ كاستيلو الى التشكيك
بقيمة علم الاجتماع الحضري بل وبهجات وجوده .

لذا لا يمكن اخضاع المدن العربية للظواهر الحضرية التي خضعت
لها المدن الاوروبية والامريكية ، لان مفهوم المدينة في الوطن العربي مازال الى
اليوم بحاجة الى توضيح وتحديد ، لانه ليس نمطا متجانسا في خصائصه ،
فالمدن الاستعمارية مازالت اضعف حلقات المدن في الوطن العربي ، كما
يصعب التمييز في بعض الاقطار العربية بين المناطق الريفية والحضرية .

وقد ساور هذا التصور المتطرف بعض الدراسات العربية، اذ صور بعض
الباحثين الهجرة وكأنها اخطر المشاكل التي يواجهها المجتمع العربي ، مما
يتطلب من المختصين والعاملين في الميدان الاجتماعي والجنائي الى التنبؤ
بها باعتبارها مشكلة اجتماعية خطيرة ، صحيح ان الهجرة تمنى انتقال
الافراد من حياة مستقرة مأووفة الى حياة غير مستقرة للعيش مع اخرين
غرباء عنهم لا يشتركون معهم بالسادات والاشقاييد ولا يرتبطون معهم
بالروابط المشتركة ، لذا فان هذه البيئة الجديدة تثير كثير من المشاكل
منها مشكلة التكيف والجنوح ، فهي تجربة قاسية يشعر فيها المهاجر
بالغربة وعدم الاستقرار المكاني والمهني والاحساس بالمتاعب الاقتصادية
والاجتماعية والنفسية ، ولكن هل هذا ينطبق تماما على الهجرة في الوطن
العربي ، وبعبارة اخرى هل يمكن ان نستخدم تصورات علم الاجتماع
الحضري العربي للمقارنة بين الريف والحضر في الوطن العربي ؟

والاجابة على هذا التساؤل نقول : ان التمييز بين الريف والحضر
في الوطن العربي يعتمد على معايير ادارية متضلة في كثير من الاحيان
باعتبار ان مفهوم المدينة لايساوي مفهوم التمدن الحضري للحياة ، لان

المدينة قد يمتد تأثيرها الى خارج حدودها الادارية اضافة الى ان المعايير الكمية المجردة لايمكن الاعتماد عليها اذ ما يعتبر حجمها كبيرا في مجتمع ماقد لايعتبر كذلك في المجتمع الاخر . وان بعض الظواهر المصاحبة لحركة الهجرة في المدن الغربية والامريكية كالتحضر السريع والتفكك الاجتماعي لاتظهر بنفس التأثير في المدن العربية بسبب تشابه خصائص هذه المدن مع خصائص الريف اذ تحدث جراء الهجرة عملية تحضر للمهاجرين يصاحبها ولو مرحليا عملية تعريف المدينة(1) .

وبالرغم مما تقدم يمكن القول ان الهجرة ليست مسألة خطيرة الى الحد الذي صورته بعض الدراسات العربية ، وبالغ في ابرزها بعض الباحثين العرب ، فلو نظرنا الى حقيقتها بتجرد فأنها تبدو ظاهرة طبيعية، لان التقدم التقني والصناعي الذي تشهده الحياة المعاصرة اليوم قد شمل كافة الميادين وقلب كل الموازين ، ولم يعد بالامكان ان يقتصر على الانسان الحضري ، لذا فان الوسيلة الطبيعية التي يواجه بها الانسان الريفي الحياة المتغيرة المتجددة تتمثل بالهجرة لان هذه التطورات جعلت من طموحات ابن الريف لان يكون اكثر اتصالا بالحضارة والتقدم في المدينة .

اما تصوير الهجرة بأنها مشكلة اجتماعية كبيرة فآن لهذا التصور ما يبرره في ظل بعض الظروف السائدة حينذاك . لانهم يرون ان الهجرة تؤدي الى افراغ الريف من ابنائه مما يتدهور الانتاج الزراعي ويتخلخل التركيب الديموغرافي للسكان ، كما تؤدي الى عجز المدينة عن تقديم الخدمات الضرورية للمهاجرين لانهم خارج قدرتها على الاستيعاب ، وكلا الصورتين ترتبط بظروف سياسية واقتصادية غير طبيعية ، اذ ان بقاء

١ - عبد الرزاق الهلالي . الهجرة من الريف الى المدن في العراق ، مطبعة النجاح بغداد ، ١٩٥٨ .

سكان الريف بحجمهم الكبير لا يؤدي الى زيادة في الانتاج الزراعي وانما يمكن ان يساهم في زيادة حجم البطالة المقنعة ومن الممكن استثمار الطاقة البشرية الاقل حجما افضل استثمار اذا طبقت وسائل التقنية والتشغيل العلمية المناسبة كما ان عجز المدينة عن استيعاب المهاجرين لا يدل على ان الهجرة تسبب مشاكل اجتماعية للمدينة وانما يدل على ان عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية غير متوازنة فيها ، فلو نظرنا الى كثير من المدن العربية لوجدنا بأنها بامس الحاجة الى الايدي العاملة بدليل انها فتحت ابوابها للمهاجرين الاجانب الذين يفتقرون الى ابسط المواصفات والخبرات الفنية كما بينا سابقا (١) .

وحتى مفهوم المنطقة المتخلفة التي عبر عنها الباحثين الغربيين بحضارة الفقر والتي تظهر حالة الترابط العنصرية بين الهجرة والجريمة ، ان هذا التصور ان كان صحيحا في المناطق المتخلفة من المدن الامريكية الا انها ليست صحيحة في المناطق المتخلفة وما تسمى المناطق الشعبية في المدن العربية ، اذ اظهرت كثير من الدراسات نتائج مختلفة تماما عن الدراسات التي اجراها بعض الباحثين الامريكيين ، اذ لا توجد في تلك المناطق حضارة فقر بالمعنى الدقيق للمصطلح ، فالدخل المواطيء نسبيا في هذه المناطق لا يولد شعورا بالقلق والعجز نظرا لما يمتاز به ابناء هذه المناطق من قناعة وعفة النفس وطهارة القلب من الحسد والانانية ، لان مثل هذه المعاني الفاضلة لا تنشأ في ظل الفنى والفقر اكنها تؤثر تأثيرا ايجابيا في توجيه سلوك الانسان نحو الخير .

١ - كريم محمد حمزه ، المرجع السابق ، ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

والفضيلة . وامتدح في الوقت نفسه ان الفقر لدى فرد يتصرف
بضعف الدواعي الاخلاقية يمكن ان يؤثر تأثيرا سلبيا في سلوكه ، الا ان
الفقر لا يمكن بعد ذاته ان يكون عاملا اجراميا على الرغم من صعوبته
ومراتبه . فقد اتمى سدرلاند من الدراسات التي اجراها للتحقق من
صحة قيام ارتباط الوثيقة بين الفقر والجريمة بقوله :

ان الجريمة كما تتصرف من الفقراء يمكن ان تتصرف ايضا من غير
الفقراء ، فقد اثبت سدرلاند بان الجريمة يمكن ان تتصرف من اشخاص
ينتمون الى الطبقات العليا في المجتمع ويشغلون المراكز المحترمة فيه وهم
اصحاب الاعمال ، وقد علل هذا الرأي بان الوضع المالي الممتاز وما
يتسمون به من مزايا وما يمارسونه من سلطة وثقوة فهذه المزايا الايجابية
ينظر سدرلاند لامتنعهم من اقرار الجرائم بل على العكس ربما تكون
عاملا ساعدا لانحرافهم حيث يشعروا بان هذه المزايا تحقق لهم الحماية
المرجوة فيعمدوا الى استغلال هذه الظروف لتحقيق منافع شخصية ذاتية ،
حتى وان تحقق ذلك باقرار اكبر الجرائم بااتباع اسلوب يضمن لهم
الاستمرار في ممارستهم الاجرامية دون ان ينكشف امرهم امام السلطات
المختصة (٢) .

٢ ... سدرلاند وكريسي - مبادئ علم الاجرام ، المرجع السابق ، ص
٢٥٥ ، ٢٧٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

الاسم مراجع الكتاب

أولاً - باللمة العربية : بعد القرآن الكريم

أ - المؤلفات والرسائل الجامعية

- ١ - المعجم المشهورين لالفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ ... ١٩٨٨ م .
- ٢ - ابن خلدون ، المقدمة ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة .
- ٣ - ابن غانم البغدادي ، مجمع الضمانات ، القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .
- ٤ - ابن قدامة المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، دمشق ، ١٣٨٠ هـ ... ١٩٦١ م .
- ٥ - ابن قيم الجوزية ، مفتاح دار السعادة ، مطبعة دار السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ . الجزء الاول : ط ١ .
- ٦ - ابن تيمم الجوزية ، اغاثة اللفهان ، المطبعة الميمنية ، القاهرة ، ١٣٣٠ هـ ، ط ١ .
- ٧ - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ .
- ٨ - ابن نجيم ، الاتصاف والنظائر ، وشرح غمز العيون والبصائر للحموي ، القاهرة ، بلا تاريخ .
- ٩ - ابن هشام الاصبغ ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، بلا تاريخ .
- ١٠ - ابو منصور الأزهرى ، الزاهر في غريب الفاظ الشافعي ، الكويت ، ١٩٧٩ .
- ١١ - ابي العباس شهاب الدين احمد بن محمد التستلاني ، ارشاد الساري

- ١٠ شرح صحيح البخاري مطبعة الكبرى الاميرية ، القاهرة ، ١٣٠٤ هـ
المجلد الرابع ، ط ٦ .
- ١٢ - ابي الليث السمرقندي ، خزانة الفقه وعيون المسائل والنسائل ،
تصنيف صلاح الدين الشافعي ، المجلد الثاني ، عيون المسائل ، مطبعة
اسعد ، بغداد ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .
- ١٣ - ابي حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م
المجلدان الثالث والرابع .
- ١٤ - ابي حامد الغزالي ، معارج القدس في مدارج النفس ، منشورات
دار الاماني العربية ، بيروت ١٩٧٨ ، ط ٣ .
- ١٥ - ابي عبد الله بن الازرق . يدائع المسالك في طبائع الممالك ، تحقيق
وتعليق علي سامي النشار ، منشورات وزارة الثقافة والفنون ،
بغداد ، ١٩٧٨ ، ج ٢ .
- ١٦ - احمد عداشة ، الطب النفسي المعاصر ، مكتبة الانجلو مصرية ،
القاهرة ، ١٩٧٦ .
- ١٧ - احمد عوض يار ، علم الاجرام (النظرية العامة والتطبيقات) دار
الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٤ : ١٩٨٥ - الطبعة الاولى .
- ١٨ - اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٢٨ م .
- ١٩ - اديبن هـ - سيزلامد ورونالد كريستي ، مبادئ علم الاجرام ، ترجمة
محمود السبيعي وحسن مسادق المرصدي ، مكتبة الانجلو - مصرية
، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٢٠ - اسحاق ابراهيم منصور ، اوجوز في علم الاجرام والشباب ، دار
الطبعات انجامية : الجزائر ، ١٩٧٩ .

- ٢١ - أكرم نشأت إبراهيم - علم النفس الجنائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ط ٤ .
- ٢٢ - الاحكام الشرعية في الأحوال الشخصية على مذهب الامام ابي حنيفة النعمان ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .
- ٢٣ - الشاطبي ، الموافقات في اصول الاحكام ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- ٢٤ - القارابي ، تحصيل السعادة ، نهج ، ١٩٤٥ .
- ٢٥ - الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، القاهرة ، ١٣٠٨ هـ ، ١ .
- ٢٦ - اللساني ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، مطبعة الامم ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ج ٩ .
- ٢٧ - النسيب شاريل ، الانسان ذلك المجهول ، ترجمة عماد شفيق ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، بيروت ١٩٧٢ .
- ٢٨ - جلال تروت ، الظاهرة الاجرامية ، الاسكندرية ، ١٩٧٢ .
- ٢٩ - جلال تروت ومحمد رشدي ابو عامر ، علم الاجرام واعقاب - السمار الجامعية ، ١٩٨٢ .
- ٣٠ - حسنين ابراهيم صايب عميد ، الوحي في علم الاجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- ٣١ - خالد رشيد الجميلي ، النية واحكامها في الشريعة الاسلامية واثانها ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٥ .
- ٣٢ - خالد رشيد الجميلي ، الوصيات في تخرين احاديث النيات ، بغداد ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م .

- ٣٣ - ديوان الرصافي ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م
الطبعة الخامسة "
- ٣٤ - ذنون احمد الرجيب ، شرح قانون العقوبات العراقي ، دراسة مقارنة
مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٧ ، ط ١ .
- ٣٥ - ذنون احمد الرجيب ، شرح قانون العقوبات العراقي ، دراسة مقارنة
العقوبة ، بغداد ١٩٧٩ ، مسهوبة بالرونيو "
- ٣٦ - رمسيس بهنام ، علم الاجرام ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٠ ،
ج ١ ط ٣ .
- ٣٧ - رمسيس بهنام ، علم الاجرام منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٠ ج ٢ ،
ج ٣ ، ط ٣ .
- ٣٨ - رمسيس بهنام وعلي عبد القادر القهوجي ، علم الاجرام والعقاب ،
الاسكندرية ، ١٩٨٦ .
- ٣٩ - سمير تميم احمد ، الدراسة العلمية للسلوك الاجرامي ، القاهرة ،
١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م "
- ٤٠ - سيجموند فرويد ، عصر الحضارة ، ترجمة عادل العموا ، دمشق ،
١٩٧٥ .
- ٤١ - سيجموند فرويد ، افكار لازمة الحرب والموت ، ترجمة سمير كرم ،
دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٧ ط ٢ .
- ٤٢ - سيجموند فرويد ، مدخل الى التحليل النفسي ، ترجمة جورج طرابلسي
دار الطليعة ، بيروت ١٩٩٠ ط ١ .
- ٤٣ - سيجموند فرويد ، نظرية الانحلال ، ترجمة جورج طرابلسي ، دار
الطليعة بيروت ١٩٨٠ ط ١ .

٤٤ - شاب توما منصور ، شرح قانون العمل ، دار الحرية للطباعة ، بغداد
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ط ٦

٤٥ - شفاء الصدر في شرح شواهد القطر ، مطبعة حجازي ، القاهرة
١٣٥٥ هـ .

٤٦ - صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ٣

٤٧ - عبد الجبار عريم ، نظريات علم الاجرام ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٧٦
ط ٦ .

٤٨ - عبد الرزاق الهلالي ، الهجرة من الريف الى المدن في العراق ، بغداد
١٩٥٨ .

٤٩ - عبد الغني عبود ، الانسان في الاسلام والانسان المعاصر ، دار الفكر
العربي القاهرة ، ١٩٧٨ .

٥٠ - عبد الفتاح الصيغي ، علم الاجرام ، المكتب المصري الحديث للطباعة
والنشر الاسكندرية ، بلا تاريخ .

٥١ - عبد الفتاح الصيغي ومحمد زكي ابو عامر ، علم الاجرام والعقاب ،
دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية ، بلا تاريخ .

٥٢ - عبد الكريم زيدان ، الوجيز في اصول الفقه . دار النشر للطباعة
والنشر ، بغداد ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ط ١ .

٥٣ - عدنان العابد ويوسف الياس - قانون العمل ، دار المعرفة ، مؤسسة ،
ط ١ .

٥٤ - عدنان العابد ويوسف الياس . قانون الضمان الاجتماعي ، دار الكتب
الطباعة والنشر ، الموصل ، ١٩٨١ .

٥٥ - عبود السراج ، علم الاجرام وعلم العقاب ، دراسة تحليلية في اسباب

- ٦٥ ... ليون ... فـ ... بوفير ، مع هنري ... سـ ... شرابول ، وهاري ... و
 عندسون ، الهجرة الدولية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ترجمة
 فوزي السهاونة ، عمان ، ١٩٨٢ .
- ٦٦ ... مارسيل نوكلير ، الوجيز في الشرطة التلقينية ، ترجمة بسام الهاشم ،
 الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ط ١ .
- ٦٧ ... مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ٦٨ ... مأمون محمد سلامة ، اصول علم الاجرام والعقاب ، القاهرة ١٩٧٩ .
- ٦٩ ... محمد ابو زهرة ، الجريمة والعقوبة في الفقه الاسلامي ، دار الفكر
 العربي ، القاهرة .
- ٧٠ ... محمد البيهلي بك ، الاجرام في مصر - اسبابه وطرق علاجه ، مطبعة
 دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤١ .
- ٧١ ... محمد بن سحنون ، كتاب اُداب المعلمين ، تحقيق محمود عبد المولى ،
 الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر ، ١٩٨١ ، ط ٢ .
- ٧٢ ... محمد خلف ، مبادئ علم الاجرام ، مطابع دار الحقيقة ، بنغازي ،
 ١٩٧٧ .
- ٧٣ ... محمد شلال حبيب ، التداوير الاحترافية - دراسة مقارنة ، السدار
 العربية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ ، ط ١ .
- ٧٤ ... محمد شلال حبيب ، الخطورة الاجرامية - دراسة مقارنة ، دار
 الرسالة للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ط ١ .
- ٧٥ ... محمد عثمان نجاتي ، الادراك العنسي عند ابن سينا ، بحث في علم
 النفس عند العرب ، دار الشروق ، بيروت - القاهرة ، ١٩٨٠ ، ط ١ .
- ٧٦ ... محمد فالح حسين ، دور المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة

- الجزيرية وعلاج السلوك الاجرامي - الكويت - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .
الطبعة الثانية *
- ٥٦ - عمر السعيد رمضان ، دروس في علم الاجرام ، محاضرات القايت على
طلبة ديپوم القانون الجنائي بكلية الحقوق جامعة القاهرة . ٩٧٤ ، ٩٧٥ ،
مصحوبة بالرونيو .
- ٥٧ - عوض محمد ، مبادئ علم الاجرام - مؤسسة الثقافة الجامعية ،
الاسكندرية ، ١٩٨٠ .
- ٥٨ - علي عبد القادر القهوجي ، علم الاجرام وعلم العقاب ، الدار
الجامعية ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- ٥٩ - علي كمال ، النفس وانفعالاتها وامراضها وعلاجها ، بيروت ،
١٩٦٧ ، ط ١ .
- ٦٠ - فوزية عبد الستار ، دروس في علم الاجرام وعلم العقاب ، بيروت ،
١٩٧٥ .
- ٦١ - فوزية عبد الستار ، مبادئ علم الاجرام والعقاب ، بيروت ،
١٩٧٨ .
- ٦٢ - كالفن - س - هول ، مبادئ علم النفس الشرطي ، تصريب الامتداد
دحام الكيال مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، ط ٢ .
- ٦٣ - كمال درويش ، محمد محمد الحمادي وامين انور الخولسي ، اتجاهات
جديدة في الترويح وارقان الشراغ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،
١٩٨٢ .
- ٦٤ - لويس التاسير وجورج كانفليم ، دراسات لانسانية ، ترجمة
سهيل القش ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
بيروت ، ١٩٨١ .

- في مكافحة الجريمة . رسالة دكتوراه ، مسجوبة بالرونيسو ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- ٧٧ - محمد فتحي . علم النفس الجنائي علما وعملا . القاهرة ، ١٩٦٩ ، ج ٢ و ٣ ، ط ٤ .
- ٧٨ - محيي الدين ابي زكريا النووي الشافعي ، رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين ، مكتبة الشرق الجديد ، بغداد .
- ٧٩ - مسكويه ، تهذيب الاخلاق ، بيروت ، ١٩٦٦ .
- ٨٠ - مصطفى مويق ، الاسس التفسيرية للتكامل الاجتماعي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ .
- ٨١ - مصطفى فهمي ، علم النفس الاكلينيكي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ٨٢ - مصطفى محمد عمارة ، جواهر البخاري وشرح القسطلاني ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ .
- ٨٣ - مصطفى حجازي ، الاحداث الجانحون ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ٨٤ - مقداد يالجن ، التربية الاخلاقية الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م ، ط ١ .
- ٨٥ - وحيد الدين خان ، الدين في مواجهة العالم ، ترجمة طغر الاسلام خان ومراجعة عبد العليم عويس ، القاهرة ١٩٧٤ ، ط ٣ .
- ٨٦ - يونس انور علي وامال عبد الرحيم عثمان ، الوجيز في علم الاجرام وعلم العقاب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- ٨٧ - يونس انور علي وامال عبد الرحيم عثمان ، علم الاجرام وعلم العقاب ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

ب - البحوث والمؤتمرات والانشورات الاحصائية :

- ١ - احمد الكبيسي ، دور الشريعة الاسلامية في الوقاية من الجرائم الناجمة عن النمو الاقتصادي ، بحث مقدم الى المؤتمر العربي الثاني عشر للدفاع الاجتماعي ، الرباط ، ٢٥ - ٢٨ تشرين الاول ، ١٩٨٢ .
- ٢ - الندوة العلمية لدراسة تطبيق التشريع الاسلامي واثاره في مكافحة الجريمة ، الرياض ١٦ - ٢١ شوال ١٣٩٦ هـ ، الجزء الاول .
- ٣ - النشرة الاجتماعية الاحصائية ، الجهاز المركزي للاحصاء ، مسح الجريمة في مرحلة التحقيق (عندا المخالفات) ، سنة ١٩٧٩ .
- ٤ - بيير ديتيكر ، تطبيقات المناهج الطبية النفسية في علم الاجرام ، تقرير مقدم الى المؤتمر الدولي الرابع لعلم الاجرام ، لاماي ٥ - ١٢ ايلول ، ١٩٦٠ ، المجلة الجنائية القومية ، العدد الثاني ، تموز ١٩٦١ ، المجلد الرابع عشر .
- ٥ - تقرير وتوصيات ندوة الدفاع الاجتماعي والسياسة الجنائية من خلال التشريع الاسلامي ، المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ، الامانة العامة ، الرباط ٦ - ٨ رجب ١٤٠١ هـ - ١١ - ١٣ ماي ١٩٨١ م .
- ٦ - تقرير مؤتمر الامم المتحدة السادس لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين الامم المتحدة - الجمعية - كراكاس ، ١٩٨٠ .
- ٧ - جورج ديول - التدابير الوقائية - تقرير موسي تبود ، بحث منشور في مجلة القضاء والقانون المغربية ، ابريل - مايو / ١٩٦٤ ، السنوية السابعة ، العددان ٦٨ و ٦٩ .
- ٨ - حسين فاضل الربيعي ، الهرمونات والجنينات ، البيولوجيا الجنائية لعلاقة الهرمونات بالمادة الوراثية ، مجلة علوم العدد الثاني ، السنوية الاولى نيسان ١٩٨٤ .

٩ - حمد عبيد الكبيسي . نظرة الشريعة الاسلامية الى دور الجمهور في منع الانحراف ووقاية المجتمع ، بحث مقدم الى الحلقة الدراسية الخاصة بدور الجمهور في منع وقوع الجريمة والوقاية منها ، مجلة الجامعة المستنصرية ، العدد الثالث ، ١٩٧٣ - ١٩٧٤ .

١٠ - حيدر كمونة ، العلاقة بين ظاهرة التحضر والجريمة ، بحث مقدم الى الحلقة الدراسية الخاصة بالجريمة وتنبؤات المسة قبيل ، بغداد ، كانون الاول ، ١٩٨٧ .

١١ - كريم محمد حمزة ، الهجرة والجريمة - ملاحظات نقديه ، بحث مقدم الى المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة ، المكتب العربي لمكافحة الجريمة ، بغداد ، ١٩٨١ .

١٢ - نشرة احصاء حوادث المرور المسجلة لسنة ١٩٧٩ (عدا المخالفات) ، الجهاز المركزي للاحصاء .

تانيا : بالغات الاجنبية :

- 1 - ANTOLISEI : La capacita A. Deliquero scritti Di
Diritto penal Millano. 1955.
- 2 - B. Di TULLIO : Manuel D. Anthropologie. criminelle.
Paris, 1951
- 3 - ERNST SEELING : Traite de Criminologie 1965.
- 4 - EXNER : Kriminologischer Bruch ueber eine Reise
nach Amerika, Berlin.
- 5 - FERRI : Sociologia Criminal. Vol. II. Torino. nrt
- 6 - FERRI:Principi Di Diritto Criminology. Torino, 1928
- 7 - HANS GRASS : Kriminologischer, 1918.
- 8 - G. TRAD : La criminalite comparee. 4ed. paris, 1969.
- 9 - GEMELLI : Lo studio Della Responsabilita Del
Delinquente Noi Suoi Fondamenti Biologici, Millano
1948 .
- 10- KINBREG, O: Les problemes Fondamentaux De La
Criminologie, paris, 1960.
- 11- Marc ANCEL : La defence Sociale. nouvelle. paris.
1966 .
- 12- M. MOUGEST : Le Traitement Des Muneurs Inad-
aptes Dans un Etablissement Breton, (Methodes
Et Resultats)

www.alkottob.com